دفع الشبه عن الرسول ﷺ والرسالة

تأليف

الإمام المجدد أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن

تقي الدين بن أحمد بن عبد القادر الحسني الدمشقي

(٧٥٢ـ٨٢٩ هـ)

تحقيق

نخبة من العلماء

دَفْعُ الشُبَهْ

عن الرسول ﷺ والرسالة

تأليف:

الإمام الكبير الحجّة أبو بكر بن محمّد بن عبدالمؤمن

تقي الدين الحصني الدمشقي (٧٥٢ـ ٨٢٩هـ)

الطبعة الثانية ـ ١٤١٨هـ

محققه ومفهرسة

تحقيق:

جماعة من العلماء

اسم الكتاب في الطبعات السابقة:

دفع شبه من شبه وتمرد
ونسب ذلك الى الإمام أحمد

اسم الكتاب
دَفْعُ الشُّبَهْ عن الرسول ﷺ والرسالة

لأبي بكر الحصني الدمشقي (ت ٨٢٩هـ)

الطبعة الأولى عام ١٣٥٠هـ
دار إحياء الكتاب العربي ـ القاهرة
بتعليق الإمام الكوثري

الطبعة الثانية ـ ١٤١٨هـ
بتحقيق جماعة من العلماء

﴿والحمد لله أولاً وآخراً﴾

المؤلّف الإمام الحصني

قال صاحب شَذَرَات الذَّهَب (الجزء التاسع: الصفحات ٢٧٣ ـ ٢٧٥)، في وفيات عام (٨٢٩هـ): وفيها الشيخ تقي الدين أبو بكر بن محمد بن عبدالمؤمن بن حريز بن سعيد بن داود بن قاسم بن علي بن علوي بن ناشي بن جوهر بن علي بن أبي القاسم بن سالم بن عبدالله بن عمر بن موسىٰ بن يحيىٰ بن علي الأصغر بن محمد التّقي[1] بن حسن العسكري[2] بن علي [الهادي] بن محمد بن الجواد بن علي الرّضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصّادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين الشهيد بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب.

---

(١) كذا الصواب، وفي المطبوع: المتّقي.

(٢) لفظة «العسكري» سقطت من «ط».

الحِصْني ـ نسبة إلى الحِصْن قرية من قرى حوران[١] ـ ثم الدمشقي، الفقيه الشافعي[٢].

ولد سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة، وتفقه بالشَّريشي، والزُّهري، وابن الجابي، والصَّرْخَدي، والغَزّي، وابن غَنُّوم. وأخذ عن الصَّدر اليَاسُوفي، ثم انحرف عن طريقته، وحطَّ على ابن تَيْمِيَّة[٣]، وبالغ في ذلك، وتلقى ذلك عنه الطلبة بدمشق، وثارت بسبب ذلك فتن كثيرة.

وكان يميل إلى التقشف ويبالغ في الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر، وللناس فيه اعتقاد زائد.

ولخّص «المهمات» في مجلد، وكتب على «التنبيه».

قال القاضي تقي الدِّين الأسدي: كان خفيف الرّوح، منبسطاً، له نوادر، ويخرج إلى النُّزَه، ويبعث الطلبة على ذلك.

مع الدِّين المتين، والتَّحري في أقواله وأفعاله، وتزوَّج عدّة نساء، ثم انقطع وتقشَّف وانجمع، وكل ذلك قبل القرن[٤]، ثم ازداد بعد الفتنة تقشّفه وانجماعه، وكَثُرَت مع ذلك أتباعه، حتَّى امتنع من مكالمة الناس، ويُطلق لسانه في القُضاة وأصحاب الولايات.

---

(١) قال ياقوت في «معجم البلدان» (٢٦٥/٢): «حصن مَنْدِيَة»: هو من أعمال أذرعات من أعمال دمشق.

(٢) ترجمته في «إنباء الغمر» لابن حجر العسقلاني ١١٠/٨ وفيه «محمد بن عبدالله» و«طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (٩٧/٤ ـ ٩٩) و«الضوء اللامع» للسخاوي (٨١/١١) و«درر العقود الفريدة» للمقريزي (١٩٠/١ ـ ١٩١)، وترجم له أيضاً: ابن خطيب الناصرية في تاريخ حلب، والرضي الغزّي في بهجة الناظرين، وله ترجمة في الفتاوى السهمية في ابن تيمية.

(٣) لفظة «تيمية» سقطت من «آ».

(٤) أي قبل دخول القرن التاسع الهجري.

وله في الزُّهد والتَّقلُّل من الدّنيا حكايات تضاهي ما نُقِلَ عن الأقدمين، وكان يتعصب للأشاعرة، وأصيب في سَمْعِهِ وبصره فضعف.

وشرع في عِمَارَة رِبَاطٍ داخل باب الصغير، فساعده الناس بأموالهم وأنفسهم، ثم شرع في عِمَارَة خان السَّبيل ففرغ في مدة قريبة.

وكان قد جمع تآليف كثيرة قبل الفتنة، وكتب بخطّه كثيراً في الفقه والزُّهد.

وقال السخاوي: شَرَح «التنبيه»[١] و«المنهاج»[٢] وشرح «مسلم» في ثلاث مجلدات، ولخّص «المهمات»[٣] في مجلدين، وخرّجَ أحاديث «الإحياء» مجلد[٤] وشرح «النواوية» مجلد[٥]، و«أهوال القيامة»[٦] مجلد، وجمع «سير نساء السَّلف العابدات» مجلد، و«قواعد الفقه» مجلد، و«تفسير القرآن إلى الأنعام» آيات متفرّقة مجلد، و«تأديب القوم» مجلد، و«سير السالك» مجلد، و«تنبيه السالك على مضار[٧] المهالك» ست مجلدات، و«شرح الغاية» مجلد، و«شرح النهاية» مجلد، و«قمع النّفوس» مجلد، و«دفع الشُّبه»[٨] مجلد، و«شرح أسماء الله الحسنى» مجلد،

---

(١) التنبيه لأبي إسحاق الشيرازي، في الفقه الشافعي، والشرح (٥) مجلدات.

(٢) المنهاج للنووي، والشرح في (٥) مجلدات.

(٣) المهمات للاسنوي.

(٤) قلت: لم أعثر على ذكر لكتابه المذكور عند السخاوي في «الضوء اللامع» ولكن ذكره ابن قاضي شهبة في «طبقاته» في معرض حديثه عن مؤلّفاته ولعلّ المؤلّف قد نقل عنه وعزا النقل للسخاوي. والله أعلم.

(٥) أي الأربعين النووية.

(٦) في بعض المصادر: أهوال القبور.

(٧) في «ط»: «مظان» وما جاء في «آ» موافق لما عند ابن قاضي شهبة والسخاوي، وفي اسم الكتاب اختلاف.

(٨) كتابنا هذا.

و«المولد» مجلد.

وتوفي بخلوته بجامع المزّاز بالشاغور، بعد مغرب ليلة الأربعاء خامس عشر جمادى الآخرة وصُلِّي عليه بالمصلى، صلَّى عليه ابن أخيه، ثم صُلِّي عليه ثانياً عند جامع كريم الدِّين، ودفن بالقُبيبات في أطراف العمارة على جادة الطريق عند والدته.

وحضر جنازته عَالَمٌ لا يحصيهم إلّا الله، مع بعد المسافة وعدم علم أكثر الناس بوفاته، وازدحموا على حمله للتبرك به، وختم عند قبره ختمات كثيرة، وصلَّى عليه أُمَمٌ ممن فاتته الصلاة على قبره، ورؤيت له منامات صالحة في حياته وبعد موته. انتهى.

وفي كتاب البدر الطالع (١٦٦/١):

السيد أبو بكر بن محمد بن عبدالمؤمن بن حريز ـ بمهملتين وآخره زاي ـ العَلَوي الحسيني الحصني ثم الدمشقي الشافعي المعروف بالتقي الحصني (ولد) سنة ٧٥٢هـ.

وأخذ العلم عن جماعة من أهل عصره وبرع، وقصده الطلبة وصنف التصانيف كشرح التنبيه في خمس مجلدات، وشرح أربعين النووي في مجلد، وشرح مختصر أبي شجاع في مجلد، وشرح الأسماء الحسنى في مجلد، وتلخيص مهمّات الأسنوي في مجلدين، وقواعد الفقه في مجلدين. وله في التصوّف مصنّفات و(مات) ليلة الأربعاء منتصف جمادى الآخرة سنة ٨٢٩هـ.

وقال خير الدين الزركلي الوهابي في الأعلام (٩٩/٢):

الإمام تقي الدين أبي بكر الحصنيّ الدمشقي (ت ٨٢٩هـ):

تقي الدين الحصني: (٧٥٢ـ٨٢٩هـ: ١٣٥١ ـ ١٤٢٦م).

أبو بكر بن محمد بن عبدالمؤمن بن حريز بن معلّى الحسيني الحصني، تقي الدين: فقيه ورع من أهل دمشق. ووفاته بها. نسبته إلى الحصن (من قرى حوران) وإليه تنسب «زاوية الحصني» بناها رباطاً في محلة الشاغور بدمشق، وله تصانيف كثيرة منها: كفاية الأخيار ـ ط، شرح به الغاية في فقه الشافعية، ودفع شبه من شبه وتمرّد ونسب ذلك إلى الإمام أحمد ـ ط، وتخريج أحاديث الإحياء، وتنبيه السالك على مظان المهالك. ست مجلدات، وقع النفوس.

سبب تأليف الكتاب وموضوعه، ونسخته

قال العلامة المحقق المحدث النسابة والذاب عنها بكل ما يستطاع في هذا العصر الشيخ محمد زاهد الكوثري - في ظهر الأصل المقابل به بخط الحافظ محمد بن طولون:

(فائدة) سبب تكلّم المؤلّف رحمه الله تعالى في ابن تيمية وأتباعه ما نقل له عن الشيخ العلامة ناصر الدين التنكزي: أنّه اجتمع ببعض من ينتسب للحنابلة قال. فرأيته يقول بمسألة التناسخ. ولا يقطع لأطفال المسلمين بالجنة وسمع منه هذا القول شخص آخر.

ونُقل للشيخ المؤلف أيضاً - أنّ شخصاً قال عند هذا المبتدع المشار إليه «يا جاه محمد».

فقال: لا تقل «يا جاه محمد»!

وكذا نقل له عن شخص آخر قال ذلك عنده، فقال - لا تقل «يا جاه محمد».

فإنّه قد بقي قفة عظام؟» نعوذ بالله العظيم من هذه الزلة الجسيمة.

وسمع هذا الكلام أيضاً ابن أخ الشيخ المؤلف، فاجتمع مع عمه فتذاكر ما وقع فيه الجاهل المشار إليه، ثم قال: يا عمّ، لو تكلّمت في ذلك، فقال: أنا مشغول بنفسي.

فقال: ما يخلّصك هذا عند الله عزّ وجلّ، كيف يتعرّض هذا الجاهل للرسول ﷺ، وحطّ مرتبته ومراتب النبيين ويتكلّم في الله بما لا يليق بجلاله، وغير ذلك مما هو زندقة؟!! لا يخلّصك هذا عند الله مع تمكّنك من ردع هذا الزائغ عن تغريه الله، وتعظيم رسوله عليه الصلاة والسلام.

فقال المؤلّف رحمه الله تعالى: ائتوني بشيء من كلام هذا الرجل، أنظر فيه، فإذا تكلّمتُ تكلمتُ على بصيرة.

فأتي بأشياء من كلامه، فلمّا رأى كلامه، تكلّم بما تكلّم به[1].

قال شيخنا النعيمي ومن خطه نقلت، نقلتها من خطّ شيخنا شهاب الدين بن قمر، تلميذ المؤلّف ملخصاً لها:

انتهى ما وجدته بخط ابن طولون[2] في ظهر الأصل المذكور

وترجمة المصنف مبسوطة في كتاب (الضوء اللامع في القرن التاسع) للحافظ محمد بن عبد الرحمن السخاوي، وفي (طبقات الشافعية) للتقي بن قاضي شهبة وفي

---

(١) ولاحظ ما سيذكره المؤلف عن سبب التأليف، في مقدمة الكتاب.

(٢) ابن طولون هذا حافظ جليل له من المؤلفات ما يقرب من ستمائة مؤلف وتوفي سنة ٩٥٣ ثلاث وخمسين سنة تسعمائة

وشجره عبد القادر النعيمي له مؤلفات جليلة وقد ترجم في الكواكب السائرة في أعيان المائة العاشرة

وابن قرا هو شهاب الجوارزمي المحدث، مترجم في الضوء اللامع

قاله صاحب الأصل

(الطبقات) للرضي الغزي العامري.

وله مؤلّفات ممتعة. كشرحه على صحيح مسلم في ثلاث مجلدات وشرحه على التنبيه في خمس مجلدات، وشرح على المنهاج كذلك، وطبع حديثاً شرحه على مختصر أبي شجاع في مجلدين، وكان من مفاخر الشافعية في عصره زهداً وعلماً وسيرة، وسنستوفي ترجمته إن شاء الله تعالى عند قيامنا بشرحه.

انتهى كلام الإمام الكوثري.

كلمة لإدارة المطبعة

للطبعة الأولى عام (١٣٥٠هـ)

من عجائب الصدف أننا ما كدنا ننتهي من طبع آخر ملزمة من الكتاب البديع (غوث العباد ببيان الرشاد) لحضرة صاحب الفضيلة مسلك البيان وحامل لو ء البرهان الاستاذ الشيخ مصطفى أبو سيف الحمامي أحد العلماء وخطيب المسجد الزينبي.

حتى ساق الله تعالى إلينا نسخة خطية جليلة من كتاب «دفع شبه من شبّه وتمرّد ونسب ذلك إلى السيد الجليل الإمام أحمد» للإمام الهمام أبي بكر تقي الدين الحصني ﷺ.

عُني حضرة صاحب الفضيلة المرشد الخليل والعلامة النبيل الشيخ سلامة العزّامي القشبندي باستنساخها ونقلها من نسخة أخرى خطية ليس في القطر المصري سواها ـ على ما نعلم ـ هي لحضرة صاحب الفضيلة الباحثة المعروف

و لجهذ لشهير لشيخ محمد زاهد الكوثري.

ومن فضل الله علينا أن هيّأ لنا من الظروف ما مكننا بعد قليل من لنسخة لأصلية لتي بيد لشيخ لكوثري.

فرأينا أن يكون لجمع مع النسخة الفرعية والمقابلة في لتصحيح على لنسخة لأصلية ليخرج لكتاب كما نحب له من الصحة والاتقان.

وبنا نقدمه، بيد لفرح والسرور، إلى إخواننا في جميع أنحاء لعالم لإسلامي. رجين أن يكون ذلك خدمة لهم ولديننا الحنيف الذي يعنينا ويهمنا كثيراً أن نعيش ونموت في خدمته.

وربنا لمسؤول ـ وهو أكرم الأكرمين ـ أن يحقق لنا هذه لأمنية لغالية.

إدارة مطبعة

دار إحياء الكتب العربية

القاهرة ١٣٥٠هـ.

هذه النسخة:

عتمدنا في تحقيق لكتاب على النسخة المطبوعة في د ر إحياء لكتاب لعربي، لأصحابها عيسى لبابي لحلبي وشركاؤه، في القاهرة عام (١٣٥٠هـ)، عن نسخة لإمام لمحقق لعلامة لكوثرى، مع تعليقاته الثمينة

وقد طلعنا على وجود نسخة للكتاب محطوطة في مكتبة جستربتي بمدينة دبلن لايرلندية برقم (٤) في لمجموعة (٣٤٠٦) كتبت عام (٨٣٠)، أي بعام و حد بعد وفاة لمؤلّف جاء ذكرها في مقال (ذخائر التراث العربي) لمنشور في مجلة (لمورد) لبغد دية، لعدد لأول السنة الأولى.

وقد قمنا بتصحيح لمطبوعة، وعرضها على المصادر لتي عتمدها لمؤلّف، مثل كتاب (دفع شُبَه التشبيه) لابن الجوزيّ الحنبلي.

لذي نقل عنه لمؤلّف قسماً كبيراً من عباراته واعتمدنا لنسخة لمطبوعة حديثاً في د ر لإمام لنووي ـ في الأردن ـ عمّان، بضبط فضيلة لشيخ حازم سايف أبو عزن، وتحقيق وتقديم العلامة المحدّث السيد حسن السقاف.

وقد حاولنا تخريج ما أثبته المؤلف من الأحاديث الشريفة، حسب المتوفّر من المصادر، وتصحيح المطبوعة حسب الوارد فيها.

وكذلك تصويب العبارات التي وقع الخطأ في طباعتها، ومنها عبارة الصلاة البتراء التي وقعت في الكتاب، بعد ذكر الرسول، حيث أثبتناها مع ذكر آله، حذراً من ذلك البتر، وتباعاً للسنّة المطهّرة التي علّمتنا الصلاة والسلام على نبيّنا الأكرم، بذكر آله معه في ذلك التكريم.

ثم وضعنا عناوين لما جاء في الكتاب مستخدمين المعقوفات لتمييزها عما جاء من العناوين في الأصل المطبوع.

وقدّمنا للكتاب بتقديم احتوى على التعريف بالمؤلّف، حسب المصادر التي ترجمت لحياته.

والتعريف بالكتاب وذكر سبب تأليفه وبيان موضوعه، وعن نسخته هذه.

ونسأل الله أن يوفق المسلمين لقراءته والتزوّد مما أثبته المؤلّف فيه من حقائق، وأن يجزيه ويثيبنا على العمل الصالح، ويغفر لنا سيّئات أعمالنا آمين

ونحمد الله على إحسانه وإفضاله، ونسأله الرضا عنا بجلاله وكرمه، إنّه ذو الجلال والإكرام.

وآخر دعوانا أنّ الحمد لله ربّ العالمين.

[مقدّمة المؤلّف وسبب التأليف]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين: وصلّى الله على سيّد الأوّلين و الآخرين، وأكرم السابقين و اللاحقين، وسلّم ومجّد وكرّم.

سبحان من بيده الضرّ والنفع، والوصل والقطع، و التفرقة و الجمع، و العطاء و المنع، وفّق من أحبّ لتدريبه، فحمى موضع نظره منه، وكدّ السمع، وخدل من أبغض، فحرى لشقاوته على ما اعتاده وألفه من رديء الطبع، فهبّ على الأوّل سميمُ إسعاده، وعلى الثاني ريحُ إبعاده، لصدع قلبه بتمويه العدوّ، فماله من صَدْعٍ.

تقدّس وتمجّد بعزّ كبريائه وجلاله، وتفرّد بأوصاف عظمته وكماله، كما عمّ بجوده وإفضاله وطَوْله. تقدّس وتبارك عن مشابهة العبيد، وتنزّه عن صفات الحدوث.

فمن شبّه فقد شابه السامرة وأبا جهل والوليد، ومن عطّل ما ثبت له من صفاته بالأدلة القاطعة فهو عن الحقّ مائل ومُحيد[1]، وكلا القسمين سفيه وشقيّ وغير

---

(١) كان ينبغي أن يقول «حائده». ولعلّه اختار ذلك مراعاة للسجع. انتهى مصحّحه

رشيد، ومن ورائها عذاب شديد.

ونال جِلَّق لرضوان في دار الأمان من نزَّه، مع تزيد الكرامات ولديه مزيد.

فشتّان بين من هو رتع في رياض السلامة، ونُزُل الكرامة، في دار المقامة، وبين المطرود المبعود[1]، وقد حقّ عليه الوعيد.

وبعدُ فإنّ سبب وضعي لهذه الأحرف اليسيرة، ما دهمني من الحَيْرة من أقوام أخباث السريرة، يُظهرون الانتماء الى مذهب السيد الجليل الإمام أحمد، وهم على خلاف ذلك والفرد الصمد.

والعجب أنّهم يُعظّمونه في الملأ، ويتكاتمون إضلاله مع بقيّة الأئمة!

وهم أكفر ممن تمرّد وجحد، ويضلّون عقول العوامّ وضعفاء الطلبة بالتمويه الشيطاني، وإظهار التعبّد والتقشّف، وقراءة الأحاديث، ويعتنون بالمُسنَد.

كلّ ذلك خُزَعْبلات منهم وتمويه.

وقد انكشف أمرهم حتّى لبعض العوامّ، وبهذه الأحرف يظهر الأمر ـ إن شاء الله تعالى ـ لكلّ أحد، إلّا لمن أراد عزّ وجلّ إضلاله وبقاءه في العذاب السرمد.

ومن قال بنفي ذلك ـ أي بنفي خلود العذاب وسرمديّته، وهو ابن تيميّة وأتباعه ـ فقد تجرّأ على كلام الغفور، قال تعالى ﴿والّذين كَفَرُوا لَهمْ نَارُ جَهَنَّمَ لا يُقْضىٰ عَلَيْهِمْ فَيمُوتُوا ولا يُخَفَّفُ عَنْهم مِنْ عَذابِهَا كذلك نجزي كلَّ كَفُور﴾[2].

وعلى العليم الحكيم في قوله تعالى: ﴿يُرِيدونَ أن يخرجوا مِن النّار وما هُمْ بخارجين منها ولهم عذابٌ مُقيم﴾[3].

والآيات في ذلك كثيرة عموماً وخصوصاً.

---

(١) اسم المفعول «مُبعد»، فقال فيه كما قال فيما قبله «انتهى مصحّحه»

(٢) سورة فاطر ٣٦

(٣) سورة المائدة ٣٧

ومنها قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا ٱصرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عذابها كان غراما﴾[1] ولغرم لمستمر لذي لا ينقطع، فلو انقطع قدر نَفَسٍ لا يسمى غرماً.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وجاء رَبُّك﴾[2].

قال الإمام أحمد: معناه جاء أمر ربك. قال القاضي أبو يعلى: قال الإمام أحمد: لمراد به قدرته وأمره، وقد بيّنه في قوله تعالى ﴿أو يأتي أمر رَبِّكَ﴾[3].

يُشير إلى حمل المُطلق على المُقيد، وهو كثير في القرآن والسنّة والإجماع وفي كلام علماء الأُمة، لأنّه لا يجوز عليه الانتقال سبحانه وتعالى.

ومثله حديث النزول.

وممن صرّح بذلك الإمام الأوزاعي والإمام مالك؛ لأنّ الانتقال والحركة من صفات الحَدَث، والله عزّ وجلّ قد نزّه نفسه عن ذلك.

ومن ذلك قوله تعالى ﴿إستوى على العرش﴾[4]

فإذا سأل العامّي عن ذلك فيقال له: الاستواء معلوم، والكَيْف مجهول[5]، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة[6].

---

(١) سورة الفرقان ٦٥

(٢) سورة الفجر: ٢٢.

(٣) سورة النحل ٣٣

(٤) سورة الأعراف: ٥٤

(٥) في (دفع شبه التشبيه) لابن الجوزي: والكيف غير معقول

وعلّق محققه بأن «الكيف مجهول» غلط لأنه يثبت لله تعالى كيفاً مجهولاً، إلى آخر ما قال

ولعل المراد بقولهم «الكيف؟» هو السؤال عن كيفية الاستواء؟ الذي يزعم الحشوية والمجسّمة ثبوته لله، حسب ظاهره وبلا تأويل!

وهو الذي نهرّوا عنه بالبلكفة، أي بقولهم: بلا كيف! فتلاحظ

(٦) قاله ابن الجوزي في (دفع شبه التشبيه) ص ١١٠

وسنوضّح ذلك إن شاء الله تعالى.

وإنّما أجاب الإمام ربيعة بذلك، وتبعه تلميذه مالك؛ لأنّ الاستواء الذي يفهمه العوامّ من صفات الحدث، وهو سبحانه وتعالى ـ نزّه نفسه عن ذلك بقوله تعالى ﴿ليس كمثله شيء﴾[1]، فمتى وقع التشبيه ولو بزنة ذرّة جاء الكفر بالقرآن.

قال الأئمة: وإنّما قيل: السؤال بدعة؛ لأنّ كثيراً ممّن يُنسب إلى الفقه والعلم، لا يُدركون الغوامض في غير المتشابه، فكيف بالمتشابه؟!

فآيات المتشابه وأحاديثه لا يعلمها إلّا الله سبحانه، والقرآن والسُنّة طافحان بتنزيهه عزّ وجلّ.

ومن أسمائه القُدّوس، وفي ذلك المبالغة في التنزيه ونفي خيال التشبيه

وكذ في قوله تعالى: ﴿قُلْ هُو الله أحد...إلى آخره﴾[2] لما فيها من نفي الجنسيّة والبعضيّة، وغير ذلك ممّا فيه مبالغة في تنزيهه سبحانه وتعالى

وكان الإمام أحمد ﷺ يقول: أمِرّوا الأحاديث كما جاءت[3]

وعلى ما قال جرى كبار أصحابه كإبراهيم الحربي وأبي داود والأثرم، ومن كبار أتباعه أبو الحسين المنادي، وكان من المحقّقين، وكذلك أبو الحسن التميمي، وأبو محمد رزق الله بن عبد الوهاب، وغيرهم من أساطين الأئمة في مذهب الإمام أحمد[4].

وجرى على ما قاله في حالة العافية وفي حالة الابتلاء.

فقال تحت السياط: «فكيف أقول ما لم يقل».

---

(١) سورة الشورى ١١

(٢) سورة الإخلاص ١

(٣) سنن الترمذي ٦٩٢/٤، لاحظ دفع شبه التشبيه ص١١١.

(٤) نفس المصدر والموضع

وقال في آية الاستواء: «هو كما أراد».

فمن قال عنه: إنّه من صفات الذات، أو صفات الفعل، أو إنّه قال: إنّ ظاهره مراد، فقد افترى عليه، وحسبه الله تعالى فيما نسب إليه ممّا فيه إلحاقه ـ عزّ وجلّ ـ بخلقه الذي هو كفر صريح، لمخالفته كلامه فيما نزّه نفسه به سبحانه وتعالى عمّا يقولون.

[القائلون بالتجسيم من أئمة الحنابلة!]

ومنهم ابن حامد[1] والقاضي تلميذه[2] وابن الزاغوني[3]، وهؤلاء ممّن ينتمي إلى الإمام، ويتبعهم على ذلك الجهلة بالإمام أحمد وبما هو معتمده ممّا ذكرت بعضه، وبالغو في الافتراء عليه إمّا لجهلهم، وإمّا لضغينه في قلوبهم، كالمغيرة بن سعيد وأبي محمّد عبدالله الكرمي، لأنهم أفراخ السامرة في التشبيه واليهود في التجسيم.

---

(١) الحسن بن حامد البغدادي الوراق (توفي ٤٠٣) كان من أكبر مصنفي الحنابلة وشرحهم، له شرح أصول الدين، ردّ عليه ابن الجوزي في (دفع شبه التشبيه) ترجم له الذهبي في سير أعلام النبلاء ج١٧

(٢) هو القاضي أبو يعلى، محمد بن الحسين بن الفرّاء الحنبلي (توفي ٤٥٨) هو صاحب كتاب الصفات نقل ابن الأثير في الكامل ١٠ ٥٢ قول التميمي فيه: لقد شان أبو يعلى الحنابلة شأناً لا يغسله ماء البحار. وقال في حوادث عام (٤٢٩) فيها أنكر العلماء على ابن الفرّاء ما صنفه كتابه من الصفات المشعرة بأنه يعتقد التجسيم.

وقال في حوادث (٤٥٨) ابن في كتابه بكل عجمة وترجم أبوابه تدل على التجسيم بمحض

وقد طبع هذا الكتاب بعض الوهابية الموحّدين! في هذا العصر!

(٣) علي بن عبيدالله بن نصر الحلبي (توفي ٥٢٧) صاحب كتاب الإيضاح، وهو من كتب التجسيم

ترجم له الذهبي في سير أعلام النبلاء ١٩/٦٠٧

وحُرِق لمعيرة ومعه خمسة من أتباعه، كما أذكره من بعد.

قال بن حامد في قوله تعالى ﴿ويبقى وجه ربّكَ﴾[1]، وفي قوله تعالى ﴿كُلُّ شيء هالك إلّا وجهه﴾[2] «نُثبت لله وجهاً، ولا نُثبت له رأساً». وقال غيره: «يموت إلّا وجهه».

وذكروا أشياء يَقْشَعِرُّ الجسد من ذكر بعضها.

قال أبو الفرج بن الجوزي[3]: رأيت من تكلّم من أصحابنا في الأُصول مما لا يصلح و تندب للتصنيف، وهم ثلاثة: ابن حامد، وصاحبه القاضي، وبن الزغواني. صنّفو كُتباً شانو بها المذهب.

وقد رأيتهم نزلوا الى مرتبة العوام، فحملوا الصفات على مقتضى الحسّ.

فسمعوا أنّ الله ـ سبحانه وتعالى ـ خلق آدم على صورته، فأثبتوا له صورة ووجهاً زائداً على الذات، وعينين وفماً ولهوات وأضراساً ويدين وأصابع وكفّاً وخنصراً وإبهاماً وصدراً وفخذاً وساقين ورجلين

وقالوا: ما سمعنا بذكر الرأس.

وقالوا: يجوز أن يُمَسّ ويَمُسّ ويُدني العبد من ذاته.

وقال بعضهم: ويتنفّس.

ثمّ إنّهم يُرضُون العوامّ بقولهم: لا كما يُعقل.

وقد أخذوا بالظواهر في الأسماء والإضافات، فسمّوا الصفات تسمية مُبتدعة؛ لا دليل لهم في ذلك من النقل ولا من العقل.

---

(١) سورة الرحمن ٢٧

(٢) سورة القصص ٨٨

(٣) دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه ص٩٧ ـ ١٠٤

ولم يلتفتوا إلى نصوص الصارفة عن الظواهر إلى المعاني لوجبة لله سبحانه وتعالى، ولا إلى إلغاء ما توجبه الظواهر من سمات الحَدَث.

ولم يقنعوا أن يقولوا: صفة فعل؛ حتّى قالوا: صفة ذات.

ثمّ لمّا أثبتوا أنّها صفات [ذات] قالوا: لا نحملها على ما توجبه اللغة، مثل اليد على النعمة أو القدرة، والاستواء على معنى البرّ واللطف، والساق على الشدّة، ونحو ذلك.

بل قالوا: نحملها على ظواهرها المتعارفة.

والظاهر هو المعهود من نعوت الآدميّين، والشيء إنّما يُحمل على حقيقته إذ أمكن، فإن صرف صارف حُمل على المجاز

وهم يتحرّجون من التشبيه، ويأنفون من إضافته إليهم، ويقولون: نحن أهل السُّنّة وكلامهم صريح في التشبيه.

وقد تبعهم خلق من العوامّ على ذلك لجهلهم ونقص عقولهم، وكفروا تقليداً، وقد نصحتُ للتابع والمتبوع.

[عتاب المؤلّف مع الحنابلة!]

ثمّ أقول لهم على وجه التوبيخ: يا أصحابنا أنتم أصحاب نقل وأتباع، وإمامكم الأكبر أحمد بن حنبل يقول [وهو تحت السياط]: «كيف أقول ما لم يقل؟!».

هل بلغكم أنّه قال: إنّ الاستواء من صفة الذات المقدّسة، أو صفة الفعل؟

فمن أين أقدمتم على هذه الأشياء؟!

وهذا كلّه ابتداع قبيح بمن ينكر البدْعة؟

ثمّ قلتم: إنّ الأحاديث تُحمل على ظاهرها، وظاهر القدم الجارحة.

وإنّما يقال: تُمرّ كما جاءت، ولا تقاس بشيء.

فمن قال: «ستوى بذاته»، فقد أجراه مجرى الحسّيّات، وذلك عين التشبيه.

فاصرفوا بالعقول الصحيحة عنه سبحانه ما لا يليق به من تشبيه أو تجسيم.

وأمِرّوا الأحاديث كما جاءت من غير زيادة ولا نقص.

فلو أنكم قلتم: نقرأ الأحاديث ونسكت، لما أنكر عليكم أحد.

ولا تُدخِلوا في مذهب هذا الرجل الصالح السلفي -أعني الإمام أحمد- ما ليس منه، فلقد كسوتم هذا المذهب شيناً قبيحاً؛ حتّى لا يقال عن حنبليّ إلّا مجسّم.

ثمّ زيّنتم مذهبكم بالعصبيّة لـ«يزيد بن معاوية»، وقد علمتم أنّ صاحب المذهب أجاز لعنته.

وقد كان أبو محمّد التميمي يقول في بعض أئمتكم: لقد شان المذهبَ شيناً قبيحاً لا يُغسل إلى يوم القيامة[1].

فالحاصل من كلام ابن حامد والقاضي وابن الزاغوني -من التشبيه والصفات التي لا تليق بجناب الحقّ- سبحانه وتعالى- هي نزْعة سامرية في التجسيم، ونزعة يهودية في التشبيه، وكذا نزعة نصرانية.

فإنّه لمّا قيل عن عيسى عليه السلام: إنّه روح الله سبحانه وتعالى، اعتقدت النصارى أنّ لله صفة هي روح ولجت في مريم عليها السلام.

وهؤلاء وقع لهم الغلط من سوء فهمهم، وما ذاك إلّا أنّهم سمّوا الأخبار أخبار صفات، وإنّما هي إضافات، وليس كلّ مضاف صفة.

فإنّه -سبحانه وتعالى- قال: ﴿ونَفَخْتُ فيه مِن روحي﴾[2]، وليس لله صفة تسمّى روحاً، فقد ابتدع من سمّى المضاف صفة، ونادى على نفسه بالجهل وسوء الفهم.

---

(١) إلى هنا المنقول عن ابن الجوزي في (دفع شبه التشبيه) وبين المنقول والمطبوع هنا اختلاف، أثبتنا بعضه بين المعقوفات.

(٢) سورة الحجر ٢٩، سورة ص ٧٢

[تأرجح الحنابلة مع الهوى في التجسيم والتأويل]

ثمّ إنّهم في موضع يؤوّلون بالتشهّي

وفي موضع أعرضهم الفاسدة يُجرون الأحاديث على مقتضى العرف والحسّ، ويقولون ينزل بذاته، وينتقل ويتحرّك، ويجلس على العرش بذاته.

ثم يقولون لا كما يُعقل، يغالطون بذلك من يسمع من عامّي وسيّء الفهم.

وذلك عين التناقض، ومكابرة في الحسّ والعقل؛ لأنّه كلام منتهاه يدفع آخره أوّله وأوّله آخره.

وفي كلامهم: «ننزّهه غير أنّنا لا ننفي عنه حقيقة النزول».

وهذا كلام من لا يعقل ما يقول.

ومثل قول بعضهم: المفهوم من قوله ﴿هُوَ اللهُ الحيّ القيُّومُ﴾[1] في حقّه هو المفهوم في حقّنا إلّا أنّه ليس كمثله شيء.

فانظر ـ أرشدك الله ـ كيف حكم بالتشبيه المساوي، ثمّ عقّبه بهذا التناقض الصريح؟!

وهذا لا يرضى أن يقوله من له أدنى زويّة.

ولهم من مثل هذه التناقضات ما لا يحصى.

[تناقض دعواهم]

ومن التناقض الواضح في دعواهم في قوله تعالى: ﴿الرحمنُ على العرشِ استوى﴾[2] أنّه مستقرّ على العرش.

---

(١) البقرة ٢٥٥، آل عمران ٢

(٢) سورة طه ٥

مع قولهم في قوله تعالى ﴿أأمِنتُم مَّن في السماءِ﴾[١] إنّ من قال إنّه ليس في السماءِ فهو كافر. ومن المحال أن يكون الشيء الواحد في حيزين في آن واحد وفي زمن واحد. ومن المعلوم أنّ «في» للظرفية. ويلزم أنّه ـ سبحانه وتعالى ـ مظروف تعالى عن ذلك.

وفي البخاري[٢] من حديث أنس: (أنّه ﷺ رأى نُخامة في القبلة. فشقّ ذلك عليه حتّى رُؤي في وجهه. فقال فحكّها بيده. فقال: إنّ أحدكم إذا قام في صلاته. فإنّه يُناجي ربّه. أو إنّ ربّه بينه وبين القبلة)[٣].

وفيه من حديث ابن عمر ﷺ: أنّه ﷺ رأى نخامة في جدار الكعبة فحكّها. ثمّ أقبل على الناس. فقال: إذا كان أحدكم يصلّي فلا يبصق قِبَل وجهه. فإنّ الله قِبَل وجهه إذا صلى».

وفي «صحيح مسلم»[٤] وغيره من حديث أبي هريرة ﷺ أنّه ﷺ رأى نُخامة في القبلة فقال: (ما بال أحدكم يستقبل ربّه فيتنخّع أمامه. أيُحبّ أحدكم أن يستقبل فيُتنخّع في وجهه).

وفي الصحيحين[٥] من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ. أنّه ﷺ قال: (يا أيها الناس أربعوا على أنفسكم. إنّكم ليس تدعون أصمّ ولا غائباً. إنّكم تدعون سميعاً قريباً. وهو معكم).

---

(١) سورة الملك: ١٦

(٢) صحيح البخاري ١ / ١٥٩ ح ٣٩٧ كتاب الصلاة. أبواب المساجد. ولاحظ فتح الباري (١/٥٠٨)، وقال: فيه الردّ على من زعم أنّه على العرش بذاته

(٣) نفس المصدر السابق ح٣٩٨ ولاحظ فتح الباري (١/ ٥٠٩)

(٤) صحيح مسلم ٢ / ٧٦ كتاب الصلاة

(٥) صحيح البخاري ٤ / ٥٤١ ح ٣٩٨٦ كتاب المغازي. صحيح مسلم ٨ / ٧٣ كتاب الذكر والدعاء والتوبة

وفي رواية «لو لذي تدعون أقرب الى أحدكم من عُنُق رحلته»[١].

وفي الصحيح[٢]: «أنا عند ظنّ عبدي بي، وأنا معه يذكرني».

وحديث المريض[٣]: «أما لو عدته لَوَجدتني عنده».

وقال تعالى ﴿وناديناهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الأيمنِ﴾[٤].

وقال تعالى ﴿ونوديَ مِنْ شاطيء الوادي الأيمنِ في البقعة المباركةِ مِنَ الشجرةِ أنْ ياموسى إنّي أنا الله ربُّ العالمينَ﴾[٥].

وقال تعالى ﴿فأينما تُوَلّوا فَثَمَّ وجهُ الله﴾[٦].

وفي الترمذي[٧] في حديث العنان، وفيه ذكر الأرضين السبع، وأنّ بين كلّ أرض و لأُخرى كما بين السماء والأرض، قال ﷺ: «لو لذي نفسي بيده لو دلّى أحدكم بحبل لوقع على الله سبحانه وتعالى».

ومثل هذه الأدلّة كثير، وكلّها قاضية بالكون السُّفلي دون العُلوي.

[الاستواء لغة وتأويلاً]

وعلم[٨] أنّ الاستواء في اللغة على وجوه، وأصله فتعال من السواء،

---

(١) مسند أحمد ٤ ٤٠٢، وهو في الجامع الصحيح للربيع بن حبيب ٣٥/٣

(٢) صحيح البخاري ٦ ٢٦٩٤ ح ٦٩٧٠ كتاب التوحيد [وصحيح مسلم ٨ ٩١ كتاب التوبة، والنص بلفظ مسلم

(٣) كنز العمال ١٥ / ٨٢٤ ح ٤٣٢٧٧

(٤) سورة مريم ٥٢

(٥) سورة القصص ٣٠

(٦) سورة البقرة ١١٥

(٧) سنن الترمذي ٥ ٣٧٦ ٣٧٧ ح ٣٢٩٨ كتاب التفسير

(٨) من هنا ذكره ابن الجوزي في دفع شبه التشبيه ص ١٢١ وانظر هامش ص ١٢٣

ومعناه ـ أي لسوء ـ لعدل والوسط، وله وجوه في الاستعمال

منها: لاعتدال، قال بعض بني تميم استوى ظالم لعشيرة و لمظلوم: أي عتدلاً.

ومنها: تمام لشيء، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَٱستوىٰ﴾[1].

ومنها: لقصد لى لشيء، ومنه قوله تعالى ﴿ثُمَّ ٱستوى الى السَّماء﴾[2]: أي قصد خلقها.

ومنها: لاستيلاء على لشيء، ومنه قول الشاعر:

ثُمّ استوى بِشرٌ على العراقِ ... من غير سيفٍ ودمٍ مُهراقِ

وقال آخر:

إذا ما غزا قوماً أباح حريمهم
وأضحى على ما ملّكوه قد استوى[3]

ومنها: بمعنى ستقرّ، ومنه قوله تعالى: ﴿وٱستوت علىٰ الجُوديّ﴾[4].

وهذه صفة لمخلوق لحادث، كقوله تعالى: ﴿وجَعَلَ لكُم مِن الفلكِ والأنعامِ ما تركبُون لتستوُوا على ظُهورِهِ﴾[5]

وهو نزّه نفسه سبحانه عن ذلك في كتابه العزيز في غير ما موضع، وقطع لمادّة في ذلك أنّ لمسألة علميّة وكفى الله المؤمنين القتال والجدل.

---

(١) القصص ١٤

(٢) سورة البقرة: ٢٩

(٣) إلى هنا عن (دفع شبه التشبيه) ص ١٢١

(٤) سورة هود ٤٤

(٥) سورة الزخرف ١٢

[كلام ابن الجوزي الحنبلي في الردّ على المجسّمة]

قال أبو الفرج بن الجوزي ـ وجميع السلف على إمرار هذه الآية كما جاءت من غير تفسير ولا تأويل.

قال عبدالله بن وهب: كنّا عند مالك بن أنس ودخل رجل، فقال: يا أبا عبدالله ﴿الرحمن على العرش استوى﴾[1]، كيف استواؤه؟

فأطرق مالك وأخذته الرُّحضاء[2]، ثمّ رفع رأسه فقال: ﴿الرحمنُ على العرشِ استوى﴾، كما وصف نفسه، ولا يقال له: كيف، و«كيف» عنه مرفوع، وأنت رجل سوء صاحب بدعة أخرجوه، فأُخرج[3].

كان بن حامد يقول: المراد بالاستواء القعود[4].

وزاد بعضهم: ستوى على العرش بذاته، فزاد هذه الزيادة، وهي جُرأة على الله بما لم يقل.

قال أبو الفرج، وقد ذهب طائفة من أصحابنا الى أنّ الله ـ عزّ وجلّ ـ على عرشه ما ملأه، وأنّه يُقعِد نبيّه معه على العرش[5].

ثمّ قال: ولعجب من قول هذا: ما نحن مجسّمة!

وهو تشبيه محض، تعالى الله ـ عزّ وجلّ ـ عن المحلّ والحيّز، لاستغنائه عنهما، ولأنّ ذلك مستحيل في حقّه ـ عزّ وجلّ ـ ولأنّ المحلّ والحيّز ممن لوزم لأجرام، ولانزاع في ذلك، وهو ـ سبحانه وتعالى ـ منزّه عن ذلك؛ لأنّ الأجرام من صفات

---

(١) سورة طه ٥

(٢) العرق الكثير يغسل الجلد

(٣) دفع شبه التشبيه ص١٢٢ وانظر تعليقه

(٤) دفع شبه التشبيه ص١٢٨

(٥) دفع شبه التشبيه ص١٢٨

لحدث. وهو عزّ وجلّ منزّه عن ذلك شرعاً وعقلاً. بل هو أزليّ لم يسبق بعدم؛ بخلاف الحادث.

ومن المعلوم أنّ الاستواء إذا كان بمعنى الاستقرار والقعود لابدّ فيه من المماسة، والمماسة إنّما تقع بين جسمين أو جرمين.

والقائل بهذا شبّه وجسّم، وما أبقى في التجسيم والتشبيه بقيّة. كما أبطل دلالة ﴿ليس كمثله شيء﴾[1].

ومن المعلوم في قوله تعالى ﴿لتستووا على ظهوره﴾[2] أنّه الاستقرار على الأنعام والسفن، وذلك من صفات الآدميين.

فمن جعل الاستواء على العرش بمعنى الاستقرار والتمكّن، فقد ساوى بينه ـ عزّ وجلّ ـ وبين خلقه.

وذلك من الأمور الواضحة التي لا يقف في تصوّرها بليد، فضلاً عمّن هو حسن التصوّر جيّد الفهم والذوق، وحينئذٍ فلا يقف في تكذيبه ﴿ليس كمثله شيء﴾ وذلك كفر محقّق.

ثمّ من المعلوم أنّ (الاستواء) من الألفاظ الموضوعة بالاشتراك، وهو من قبيل المجمل، فدعوى أنّه بمعنى الاستقرار في غاية الجهل؛ لجعله المشترك دليلاً على أحد أقسامه خاصّة.

فالحمار مع بلادته لا يرضى لنفسه أن يكون ضُحكة؛ لجعله القسم قسيماً.

فمن تأمّل هؤلاء الحمقى وجدهم على جهل مركّب؛ يحتجّون بالأدلّة المجملة التي لا دليل فيها قطعاً عند أهل العلم.

ويتركون الأدلّة التي ظاهرها في غاية الظهور في الدليل على خلاف دعواهم.

---

(١) سورة الشورى ١١

(٢) سورة الزخرف ١٣

بل بعضها نصوص، كما قدّمته في حديث النحامة وغيرها. فتنبّه لذلك لتتق على بصيرة من جهل أولئك.

ومن المعلوم أنّه ـ عزّ وجلّ ـ واجب الوجود كان، ولا زمان ولا مكان، وهما ـ أعني الزمان والمكان ـ مخلوقان.

وبالضرورة أنّ من هو في مكان فهو مقهور محاط به، ويكون مقدّراً ومحدوداً.

وهو ـ سبحانه وتعالى ـ منزّه عن التقدير والتحديد، وعن أن يحويه شيء، أو يحدث له صفة، تعالى الله عمّا يصفون وعمّا يقولون عُلوّاً كبيراً.

فإن قيل: ففي الصحيحين[1] من حديث شريك بن أبي نمر، عن أنس ﷺ: أنّه ذكر المعراج، وفيه: «فعلا بي الجبّار تعالى، فقال وهو في مكانه: يا ربّ خفّف عنّا» الحديث.

فالجواب: أنّ الحافظ أبا سليمان الخطابي قال: إنّ هذه لفظة تفرّد بها شريك، ولم يذكرها غيره، وهو كثير التفرّد بمناكير الألفاظ.

والمكان لا يضاف إلى الله سبحانه وتعالى، إنّما هو مكان للنبي ﷺ مقامه الأوّل الذي أُقيم فيه.

وفي الحديث: «فأستأذن على ربّي وهو في داره»[2].

يوهم مكاناً، وإنّما المعنى في داره التي دوّرها لأوليائه.

وقد قال القاضي أبو يعلى في كتابه «المعتمد»: إنّ الله سبحانه وتعالى وتقدّس لا يوصف بمكان.

فإن قيل: يلزم من كلامكم نفي الجهات، ونفيها يحيل وجوده.

---

(١) صحيح البخاري ٦ ـ ٢٧٣٢ ح ٧٠٧٩ كتاب التوحيد. وفي طبعة رقم ٦٩٦٣ صحيح مسلم كتاب الإيمان رقم ٢٣٤ و٢٣٥ و٢٣٦ والصلاة ٦٠٧

(٢) رواه البخاري لاحظ فتح الباري ٤٢٢/١٣

فالجواب أنّ هذا السؤال ساقط فيه تمويه على الأغبياء، يجرون الجهات المتعلّقة بالآدميّين بالنسبة إلى الله عزّ وجلّ عن ذلك.

وأيضاً إن كان الموجود يقبل الاتصال والانفصال فسلم، فأمّا إذا لم يقبلهما فليس خُلوّه من طرفي النقيض بمحال.

ويوضّح هذا أنّك لو قلت: كلّ موجود لا يخلو أن يكون عالماً أو جاهلاً.

قلنا إنْ كان ذلك الموجود يقبل الضدّين فنعم، فأمّا إذا لم يقبلهما كالحائط ـ مثلاً ـ فإنّه لا يقبل العلم ولا الجهل.

ونحن ننزّه الذي ليس كمثله شيء ـ سبحانه وتعالى ـ كما نزّه نفسه عن كلّ ما يدلّ على الحَدَث، وما ليس كمثله شيء لا يتصوره وهم، ولا يتخيّله خيال، والتصوّر والخيال إنّما هما من نتائج المحسوسات والمخلوقات تعالى عن ذلك.

ومن هنا وقع الغلط واستدراج العدوّ، فأهلك خلقاً، وقد تنبّه خلق لهذه الغائلة فسلّموا، وصرفوا عنه عقولهم إلى تنزيهه سبحانه وتعالى فسَلِموا.

[مجموعة من الأحاديث المتشابهة]

ومن الأحاديث التي يحتجّون بها حديث عبدالرحمن بن عائش[1]، عن النبيّ ﷺ أنّه قال: **«رأيت ربّي في أحسن صورة، فقال لي: فيم يختصم الملأ الأعلى يا محمد؟ قلت: أنت أعلم يا ربّ فوضع كفّيه بين كتفي، فوجدت بردها بين ثديي، فعلمت ما في السموات وما في الأرض»**[2].

---

(١) سنن الدارمي: ٢/ ١٢٦، مسند أحمد: ٤/ ٦٦ و٥/ ٣٧٨

(٢) سنن الترمذي ٥ ٣٦٩، تاريخ بغداد ٨ ١٥٢، والطبراني في الكبير ١ ٣١٧، وابن الجوزي في الموضوعات ١/ ١٢٥، واللآلىء المصنوعة ١/ ٣١، وسير أعلام النبلاء ١٠ ١١٣، وقال: وهو خبر منكر، وانظر الأسماء والصفات للبيهقي ص ٣٠ ودفع شبه التشبيه لابن الجوزي ص ١٤٨

وهذا الحديث قال الإمام أحمد فيه: إنّ طرقه مضطربة، وقال الدارقطني كلّ أسانيده مضطربة ليس فيها صحيح، وقال البيهقي: رُوي من أوجُه كلّها ضعيفة.

وأحسن طرقه يدلّ على أنّ ذلك كان في النوم، ويدلّ على ذلك أنّه رُوي من حديث أبي هريرة ﷺ، أنّه ﷺ قال: (أتاني آتٍ في أحسن صورة، فقال: فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: لا أدري، فوضع كفّيه بين كتفي، فوجدت بردها بين ثديي، فعرفت كلّ شيء يسألني عنه).

وروي من حديث ثوبان ﷺ قال[٢]: (خرج علينا رسول الله ﷺ بعد صلاة الصبح، فقال: إنّ ربّي أتاني الليلة في أحسن صورة، فقال لي: يا محمّد فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت لا أعلم يا ربّ، فوضع كفّه بين كتفيّ حتّى وجدت برد أنامله في صدري، فتجلى لي ما بين السماء والأرض)[٣].

ورُوي من وجوه كثيرة، فهي أحاديث محتملة، وليس فيها ما يثبت.

مع أنّ عبد الرحمن لم يسمعه من النبيّ ﷺ.

وعلى وجه التنزّل فالمعنى راجع الى رسول الله ﷺ، فالمعنى رأيته على أحسن صفاته؛ أي من الإقبال والرضا ونحو ذلك؛ لأنّ الصورة يعبّر بها ويراد الصفة.

كما في حديث (خلق الله آدم على صورته)[٤].

تقول هذه صورة هذا الأمر؛ أي صفته، فيكون المعنى: خلق الله آدم على

---

(١) كنز العمال ١٥ ٨٩٧ ح ٤٣٥٤٤ عن ابن عباس، و١٥ ٨٩٨ ح ٤٣٥٤٥ عن معاذ، و١٦ ٢٤٥ ح ٤٤٣٢١ عن أنس

(٢) نفس المصدر السابق

(٣) في مجمع الزوائد ٧ ١٧٧ عن البزار في كشف الأستار ٣ ١٣ رقم ٢١٢٨

(٤) البخاري كما في فتح الباري ١١ ٣. صحيح مسلم ٤ ٢٠١٧ رقم ١١٥، وانظر مسند أحمد ٢ ٤٣٤. وفتح الباري ٥ ١٨٣ وانظر دفع شبه التشبيه لابن الجوزي ص١٤٦

صفته من لحياة و لعلم و لقدرة والسمع والبصر والإرادة.

مع أنّ هذا الحديث فيه علل:

منها أنّ الثوري والأعمش كانا يدلِّسان ولم يذكر أنّهما سمعا الحديث من حبيب بن أبي ثابت.

ومنها أنّ حبيباً كان يدلّس، ولم يعلم أنّه سمعه من عطاء.

وهذ كلّه يوجب وهناً في الحديث.

ومع ذلك فالضمير يصحّ عوده الى آدم ﷺ، فالمعنى أنّ الله ـ عزّ وجلّ ـ خلق آدم على صورته لتي خلقه عليها؛ تامّاً لم ينقله من نطفة لى علقة كبنيه.

قال لإمام أبو سليمان لخطابي: وذكره تغلب في أماليه

وقيل: إنّ لضمير يعود الى بعض بني آدم.

وخَلْق من لعلماء سكتو عن تفسير هذا الحديث

فالمشبِّه لامتمسَّك له بهذه لأحاديث لما ذكرناه، وتمسّكه بها يدلّ على جهله وزندقته عافانا الله ـ عزّ وجلّ ـ من ذلك.

ومن ذلك حديث القَدَم: (لا تزال جهنّم تقول: هل من مزيد؛ حتّىٰ يضع ربّ العزّة فيها قدمه) الحديث[1]

وهذ يرجع لى لحُكم. قال الله تعالى: ﴿وبَشِّر الذّين آمنوا أنّ لهم قَدَمَ صِدقٍ عند ربِّهم﴾[2].

وقال لحسن لبصري: القدم في الحديث هم الدين قدّمهم الله من شر ر خلقه وأثبتهم لها.

---

(١) البخاري كما في، فتح الباري ٨ ٥٩٤، وصحيح مسلم ٤ ٢١٨٨، وانظر دفع شبه التشبيه ص ١٧٠

(٢) سورة يونس ٢

وقال البيهقي عن النضر بن شميل: القدم هنا الكفّار الذين سبق في علم الله أنّهم من أهل النار.

وقال الأزهري: لقدم الذين تقدّم القول بتخليدهم في النار.

وقال ابن الأعرابي: القدم المتقدّم، وكلّ قادم عليها يسمى قدماً، والقدم جمع قادم، كما يقال: عيب وعائب.

وروى الدارقطني (حتّى يضع قدمه أو رجله) وفي هذه دلالة على تغيير الرواية بالظنّ.

مع أنّ الرِّجْل في اللغة هي الجماعة، ألا تراهم يقولون: رجل من جراد، فيكون المعنى يدخلها جماعة يُشبهون الجراد في الكثرة.

قال ابن عقيل: تعالى الله أن يكون له صفة تشغل لأمكنة، وهذا عين التجسيم، وليس الحقّ بذي أجزاء وأبعاض، فما أسخف هذا الاعتقاد وأبعده عن المكوّن تعالى الله عن تخايل الجسمية.

وذكر كلاماً مُطوّلاً بالغاً في التنزيه وتعظيم الله تعالى.

وقد تمسّك بهذا الحديث ابن حامد المشبّه، فأثبت لله سبحانه وتعالى صفات.

وزاد، فروى من حديث ابن عباس ﷺ أنّه ﷺ قال: (لمّا أُسري بي رأيت الرحمن على صورة شابّ أمرد توّره يتلألأ، وقد نُهيتُ عن صفته لكم، فسألت ربّي أن يُكرمني بُرؤيته، فإذا كأنّه عروس حين كشف عنه حجابه مستوٍ على عرشه).

وهذا من وضعه وفتريته وجرأته على الله ـ عزّ وجلّ ـ وعلى رسوله ﷺ.

ومَنْ أعظم فريةً ممن شبّه الله ـ عزّ وجلّ ـ بأمرد وعروس؟

وكان بعض أئمة الحنابلة يتوجّع، ويقول: ليت ابن حامد هذا ومن ضاهاه لم ينسبوا إلى أنّهم من أتباع الإمام أحمد، فقد أدخلوا بأقوالهم الفترة لشينَ على المذهب، والتعرّض إلى الإمام أحمد بالتشبيه والتجسيم، وحاشاه من ذلك، بل هو

من أعظم المنزّهة لله عزّ وجلّ، وقد خاب من افترى.

وقال بعض أئمة الحنابلة المتزهين: مَنْ أثبت لله تعالى هذه الصفات بالمعنى المحسوس، فما عنده من الإسلام خبر. تقدّس الله -عزّ وجلّ- عمّا يقولون عُلوّاً كبيراً.

وخوضهم في ذلك كلام من لا يعرف الله عزّ وجلّ.

وكذ خوضهم في الأحاديث خوض من لا يعرف كلام الله تعالى ولا كلام أهل اللغة، فيحرفونها على المتعارف عند الخلق، فيقعون في الكفر

ونوضّح ذلك إيضاحاً مُبيناً يدركه أبلد العوام، فضلاً عن أذكياء الطلبة والعلماء الأخيار، الذين جعل الله -عزّ وجلّ- قلوبهم معادن المعاني المردة وكنوزها.

فمن ذلك ما في الصحيحين[1] من حديث أبي هريرة ﷺ في حديث الضيف، فيه: (لقد عجب الله من صنيعكما الليلة).

وفي أفراد البخاري[2] من حديث أبي هريرة ﷺ: (عجب ربّك من قوم جيء بهم في السلاسل حتّى يُدخلهم الجنّة).

قال ابن الأنباري: معنى «عجب ربّك» زادهم إنعاماً وإحساناً فعبّر بالعجب عن ذلك.

قال الأئمة: لأنّ العجب إنّما يكون من شيء يدهم الإنسان، فيستعظمه ممّا لا

---

(١) بهذا اللفظ في صحيح مسلم في الأشربة رقم ٣٨٣٠ وانظر رقم ٣٨٢٩، وفي البخاري كتاب المناقب رقم ٣٥١٤ بلفظ: ضحك الله الليلة أو عجب من فعالكما، ومثله في تفسير القرآن رقم ٤٥١٠، وانظر شرح النووي لمسلم ١٢/١٤، وفتح الباري لابن حجر ١١٩/٧، وسنن الترمذي ٤٠٩/٥ رقم ٣٣٠٤، وعارضة الأحوذي ١٢/ ١٩٠

(٢) رواه البخاري في الجهاد والسير رقم ٢٧٨٨، بلفظ: «من قوم يدخلون الجنة في السلاسل» وهو في سنن أبي داود، الجهاد رقم ٢٣٠٢، ومسند أحمد بلفظ: عجب ربنا

يعلمه، وذلك إنّما يكون في المخلوق، وأمّا الخالق فلا يليق به ذلك، فمعناه عظم قدر ذلك الشيء عنده؛ لأنّ المتعجّب من الشيء يعظم قدره عنده.

فالمعنى في حديث الضيف: عظم قدره وقدر زوجته عنده حتّى نوّه بذكرهما في أعظم كتبه، وعظم قدر المحيي بهم في السلاسل حتّى أدخلهم الجنّة، وجعلهم من أوليائه وأنصار دينه.

ومن ذلك حديث: (لَلّهُ أفرح بتوبة عبده)[1]، ومعناه أرضى بها.

ومنه[2] قوله ﴿كُلُّ حِزبٍ بما لديهم فرحون﴾[3]: أي راضون، ونحو ذلك مما هو كثير في القرآن، وكذا الأحاديث:

ومنها حديث النزول.

وهو في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه ﷺ قال: (ينزل ربّنا كلّ ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثُلُث الليل الآخر، يقول: من يدعوني فأستجيب له.....) إلى آخره.

وهذا الحديث رواه عشرون نفساً من الصحابة رضي الله عنهم.

وقد تقدّم أنّه يستحيل على الله -عزّ وجلّ- الحركة والنقل والتغيّر، لأنّ ذلك من صفات الحدث، فمن قال ذلك في حقّه تعالى فقد ألحقه بالمخلوق، وذلك كفر صريح لمخالفة القرآن في تنزيهه لنفسه سبحانه وتعالى.

ومن العجب العجيب أن يقرأ أحدهم قوله تعالى: ﴿وأنزلنا الحديد﴾ مع أنّ معدنه في الأرض.

وقوله تعالى ﴿وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج﴾.

---

(١) مسلم ٨/ ٩١ كتاب التوبة

(٢) أي من هذا الاستعمال اهـ مصححه

(٣) سورة المؤمنون ٥٣

فيالله لعجب، من شخص لم يعرف نزول الجمل، كيف يتكلّم في تفصيلها.

وقد قال تعالى: ﴿وأنزلنا إليك الكتاب﴾.

وقال تعالى: ﴿قد أنزل الله إليكم ذِكراً﴾. فنسب الإنزال إلى هاتين لعايتين إليه سبحانه وتعالى.

وقد قال تعالى: ﴿مَن يُضلل اللهُ﴾ أي ببدعته ﴿فلا هادي له ونذرهم في طغيانهم يعمهون﴾، ولعمَهُ في البصيرة، كما أنّ العمى في لبصر، ولعَمَه في لبصيرة منه لهلكة أعاذنا الله من ذلك.

وروى أبو عيسى لترمذي عن مالك بن أنس وسفيان بن عُيينة وبن لمبارك: أنّهم قالوا: أمّروا هذه لأحاديث بلاكيف[1].

قال لأئمة: فوجب على لخلق اعتقاد لتنزيه وامتناع تجويز لنُقلة ولحركة.

فإنّ لنزول ـ لذي هو انتقال من مكان الى آخر ـ يفتقر الى لجسمية ولمكان لعالي ولمكان السافل ضرورة.

كما في قوله تعالى: ﴿يخافون ربّهم من فوقهم﴾ فإنّ لفوقية باعتبار لمكان لا تكون بالضرورة إلّا في الأجرام والاجسام مركّبة كانت أو بسيطة، ولربّ ـ سبحانه وتعالى ـ منزّه عن ذلك، إذ هو من صفات الحدث.

وقال بن حامد لرسم نفسه بالحنبلي: هو فوق لعرش بذاته، ويتنزل من مكانه لذي هو فيه، فينزل وينتقل.

ولمّا سمع تلميذه لقاضي منه هذا استبشعه، فقال: لنزول صفة ذاتية، ولا نقول: نزوله انتقال.

أراد أنْ يغالط الأغبياء بذلك.

---

(١) سنن الترمذي ٣ ٨٧ ذيل حديث ٦٥٩، و٤ ٦٩٣. وقال: وهذا لذي اختاره أهل الحديث أن يروي هذه لاشياء كما جاءت ونؤمن بها ولا نفسّر ولا نتوهّم ولا يقال كيف

وقال غيره: يتحرّك إذا نزل.

وحكو هذه لمقالة عن الإمام أحمد، فحوراً منهم، بل هو كذب محض على لسيد لجليل السلفي المنزّه.

فإنّ لنزول إذ كان صفة لذاته لزم تجدّدها كلّ ليلة وتعدّدها، و لأجماع منعقد على أنّ صفاته قديمة، فلا تجدّد ولا تعدّد تعالى الله عمّا يصفون.

وقد بالغ في لكفر من ألحق صفة الخلق بالخلق، وأدرج نفسه في حريدة لسامرة و ليهود لذين هم أشدّ عداوة للذين امنوا.

ومنها: حديث الأصابع.

وهو في لصحيحين من حديث ابن مسعود ﷺ قال: «جاء حَبْرٌ لى رسول الله ﷺ فقال: يا محمّد إنّ الله يضع السماء على أصبع، و لجبال على أصبع، و لشجر على أصبع، و لأنهار على أصبع، وسائر الخلق على أصبع - وفي لفظ - و لماء و لثرى على أصبع، ثمّ يهزّهنّ

فضحك رسول الله ﷺ، وقال: ﴿وما قَدَروا ٱللَّهَ حَقَّ قَدرِهِۦ﴾ وفي لفظ: «فضحك رسول الله ﷺ تعجّباً وتصديقاً له»[1].

قال لأئمة - منهم أبو سليمان الخطابي - لا تثبت لله صفة إلّا بالكتاب، أو خبر مقطوع بصحّته مستند لى أصل في الكتاب أو السُّنّة المقطوع بصحّتها[2]، وما كان بخلاف ذلك فالو جب لتوقّف عن إطلاق ذلك، ويتأوّل على ما يليق بمعاني لأصول لمتّفق عليها من أقو ل أهل العلم مع نفي التشبيه.

---

(١) صحيح البخاري ٦ ٣٣، وانظر ٨ ١٧٤ و١٨٧ و٢٠٢ - دار الفكر -، وفتح لباري ١٣ ٣٩٣ و٣٩٨، وصحيح مسلم ٨ ٢٥ - دار الفكر.

(٢) لو لاحظ المتكلمون في هذه المواضيع هذا الأصل لاستراحوا وأراحوا انتهى. مصحّحه

وقال غيره: قد نفى الله تعالى التشبيه عنه في قوله تعالى ﴿وما قدروا الله حقّ قدره والأرض جميعاً قبضته يومَ القيامةِ والسمواتُ مطوياتٌ بيمينِهِ سُبحانه وتعالى﴾ دفعاً لما يتبادر إليه الفهم باعتبار المحسوسات.

قال الأئمة: معناه ما عرفوه حقّ معرفته.

وقال المبرّد: ما عظّموه حقّ عظمته.

وقبضة الله ـ عزّ وجلّ ـ عبارة عن قدرته وإحاطته بجميع مخلوقاته.

واليمين ـ في كلام العرب ـ بمعنى الملك والقدرة، كما قال تعالى: ﴿لأخذنا منه باليمين﴾ أي بالقوة والقدرة.

وأشعار العرب في ذلك أكثر جدّاً من أن تُذكر، وأشهر من أن تُنشد وتُبرز وتُظهر.

وفي الحديث (الحجرُ الأسودُ يمينُ الله تعالى)

وقال تعالى ﴿يدُ الله فوق أيديهم﴾

وقال أبو الوفاء بن عقيل ـ من أصحاب الإمام أحمد ـ: ﴿ما قدروا الله حقّ قدره﴾ إذ جعلوا صفاته تتساعد وتتعاضد على حمل مخلوقاته، وإنّما ذكر الشرك في الآية ردّاً عليهم.

وفي معنى هذا الحديث قوله ﷺ: (إنّ قلوب بني آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن يُقلّبها كيف شاء)[1].

وفي ذلك إشارة إلى أنّ القلوب مقهورة لمقلّبها.

قال الخطابي: واليهود مشبّهة، ونزول الآية دليل على إنكار الرسول عليهم، وهذا ضحك ﷺ على وجه الإنكار.

---

(١) رواه مسلم ٢٠٤٥/٤ رقم ١٧، ومسند أحمد ١٦٨/٢، والترمذي ٤٤٩/٤ برقم ٢١٤١، ومستدرك الحاكم ٢٨٨/٢

وليس معنى لأصابع معنى الجارحة لعدم ثبوته، بل يُطلق لاسم في ذلك على ما جاء به لكتاب من غير تكييف ولا تشبيه!

وقال غيره من حمل الأصابع على الجارحة فقد ردّ على الله ـ سبحانه وتعالى ـ في قوله ﴿سبحانه﴾ وأدخل نفسه في أهل الشرك؛ لقوله تعالى ﴿سبحانه وتعالىٰ عمَّا يشركون﴾.

وهو ـ عزّ وجلّ ـ يذكر في كتابه المبين التحرّس عمّا لا يليق؛ دفعاً وردّاً لأعدائه، كقوله تعالى: ﴿وقالوا اتخذ الله ولداً، سبحانه﴾ وقال تعالى: ﴿وخرقوا له بنين وبناتٍ بغير علم، سبحانه﴾ ونحو ذلك، وآكد من ذلك قوله: ﴿وأنّه تعالى جدُّ ربِّنا ما اتخذ صاحبةً ولا ولداً﴾ قدّم بتنزيهه ـ عزّ وجلّ ـ أوّلاً في هذه الآية.

والقرآن طافح بذلك.

ومنها: ما رواه الشيخان من حديث أبي هريرة ﷺ أنّه ﷺ قال: (لمّا قضى الله الخلق كتب في كتاب، فهو عنده فوق العرش: أنّ رحمتي غلبت غضبي) وفي لفظ: «سبقت».

قال القاضي المشبِّه ـ تلميذ ابن حامد ـ: ظاهر قوله: «عنده» لتقرب من الذات.

وما قاله يستدعي القرب والمساحة، وذلك من صفات الأجسام، وقد عمي عن قوله تعالى ﴿مسومة عند ربِّكَ﴾.

ومن المعلوم أنّك تقول: عندي فوق الغرفة كتاب كذا، وهو في موضع شاسع نازل عن الغرفة بمسافة بعيدة.

ثمّ إنّ هذا القاضي روى عن الشعبي أنّه قال: إنّ الله قد ملأ العرش حتّى أنّ له أطيطاً كأطيط الرَّحْل، وهو كذب على الشعبي[1].

---

(١) دفع شبه التشبيه ص٢٤٩

وقال بعضهم ﴿ثم استوى على العرش﴾ قعد عليه.

وقال بن لزعوني: خرج عن الاستواء بأربع أصابع [١].

ولهم ولأتباعهم مثل ذلك خبائث كلّها صريحة في لتشبيه و لتجسيم، لاسيما في مسألة لأستواء.

وهو ـ سبحانه وتعالى ـ متنزه عمّا لا يليق به من صفات لحدَث.

ثمّ إنّ هؤلاء لجهلة وأعالي الجهلة، يلزمهم أن يقولو في لحديث لذي رو ه مسلم وغيره ما لم يكن لقول به من أجهل الناس: (**ولا يزال عبدي يتقرّب اليّ بالنوافل حتّى أُحبه، فإذا أحببته كنتُ سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يُبصر به، ويده التي يَبطش بها، ورجله التي يمشي بها.**) الى آخره

وبالضرورة لا يكون سبحانه جارحةً لعبده، ومع هذ يلزم لتعدّد بحسب لمتقرّبين و لتحزئة و لتفرقة، وغير ذلك ممّا لا يقوله حمار، بل ولا حماد، تعالى الله وتقدّس عن ذلك.

قال بن لجوزي. وهؤلاء وأتباعهم جهلوا معرفة ما يجوز على الله وما يستحيل عليه.

ومن أعجب ما رأيت لهم، ما ذكروا عن ابن أبي شيبة أنّه قال في كتاب لعرش إنّ الله قد أحجرنا. أنّه صار من الأرض الى السماء، ومن لسماء لى لعرش، فاستوى على لعرش.

ثمّ قال. وبرأ من أقوام شانوا مذهبنا، فعابنا الناس بكلامهم.

ولو فهمو أنّ الله ـ سبحانه وتعالى ـ لا يوصف بما يوصف به لخلق، لما بنو أمورهم وقو عدهم على لمحسوسات التي بها المساواة بينه وبين خلقه، وفي ذلك

---

(١) دفع شبه التشبيه ص٢٤٨

تكذيبه في تنزيهه وتقديسه نفسَهُ عزّ وجلّ.

وقال أبو الوفاء بن عقيل: تحسب الجهلة أنّ الكمال في نسبة النقائص إليه فيما نزّه نفسه عنه عزّ وجلّ، ولذي أوقعهم في ذلك القياسُ المطعون، وكيف يكون له حكم لدليل وقد قضى عليه دليل العقل بالردّ؟!

[اختلاف الناس في هذه الأخبار]

قال أبو الفرج بن الجوزي: والناس في أخبار الصفات على ثلاث مراتب:

إحداها: إمرارها على ماجاءت من غير تفسير ولا تأويل إلّا أن تقع ضرورة، كقوله تعالى ﴿وجاء ربُّكَ﴾ أي جاء أمره، وهذا مذهب السلف

المرتبة الثانية: التأويل وهو مقام خطر.

المرتبة الثالثة: القول فيها بمقتضى الحسّ، وقد عمّ جهله الناقلين؛ إذ ليس لهم علوم المعقولات التي بها يعرف ما يجوز على الله -عزّ وجلّ- وما يستحيل.

فإنّ علم المعقولات يصرف ظواهر المنقولات عن التشبيه، فإذ عدموها تصرّفوا في النقل بمقتضى الحسّ.

ولو فهموا أنّ الله -عزّ وجلّ- لا يوصف بحركة ولا انتقال ولا جارحة ولا تغير، لما بقوا على المحسّيات التي فيها عين التشبيه وهو كفر بالقرآن أعاذنا الله من ذلك.

ولا شكّ أنّ مذهب السكوت أسلم وقد ندم خلق من أكابر المتكلّمين على الخوض في ذلك.

قال أبو المعالي الجويني في آخر عمره: «خليتُ أهل الإسلام وعلومهم، وركبتُ البحر الأعظم، وغُصْتُ في الذي نهوا عنه، ولآن رجعتُ إلى قولهم. عليكم بدين العجائز، فإن لم يُدركني الحقّ بلطفه وأموت على دين العجائز، وإلّا

فالويل لابن الجويني».

قال أبو الوفاء بن عقيل ـ معنى دين العجائز أنّ المدقّقين سالعو في البحث والنظر، ولم يشهدوا ما يشفي العقل من التعليل، فوقفوا مع الرسم وستطرحوه، وقالوا: لاندري.

وسئل الإمام أحمد ـ قدس الله روحه ـ عن الاستواء، فقال «هو كما أخبر، لا كما يخطر بالبشر».

فانظر ـ وفقك الله ورشدك الى الحق ـ الى هذه العبارة ما أرشقها وعلى اتباعه ما أشقها[1]، عنقاد قويم ومنهاج سليم.

[اتهام الإمام أحمد بالتجسيم]

قال الحافظ أبو الفرج بن الجوزي ـ واسمه عبدالرحمن بن علي ـ: لمّا رأى الحُسّاد للإمام أحمد ما حصل له من الرفعة ونفاسة مذهبه، لتشييده بالكتاب والسُّنّة، نتموا الى مذهبه ليُدخلوا عليه النقص والخلل وصرف الناس عنه؛ حسداً من أنفسهم، فصرّحوا بالتشبيه والتجسيم، ولم يستحيوا من الخبير العليم، ونسبوه إليه افتراء عليه.

ومن نظمه في ذلك:

ولمّا نظرتُ في المذاهب كلّها
طلبتُ الأسدَّ في الصواب وماأغلو
فألفيتُ عند السبر قول ابن حنبلٍ
يزيد على كلّ المذاهب بل يعلو

---

(١) بعده «ماأشقها» بحذف إحدى القافين، أو بإبدال إحداهما فاء. انتهى مصحّحه

وكـــلّ الذي قـــد قـــاله فـــمثيَّد
بنقل صحيح والحديث هو الأصـلُ
وكـانَ بـنقل العـلم أعـرف مـن روى
بِقوم من الـسادات ما شـانهم عظم[1]
ومـــــــذهبه أن لا يشـــبّه ربّـــه
ويتبع في التسليم من قد مضى قبلُ

يشير لى صاحبه الإمام الشافعي وغيره من علماء السلف كما أذكر.

فـقام له الحُسّـاد مـن كـلّ جـانب
فـقام عـلى رجّـل الثبات وهـم زلّـوا
وكـــان له أتـــباعُ صـــدقٍ تـتابعوا
فكم أرشدوا نحو الهدى ولَكم دلّوا
وجـــاءك قـــوم يـــدّعون تـمذهباً
بـــمذهبه مـــا كـــلّ زرع له أُكـلُ
ومـالوا الى التشبيه أخـذاً بـصورة الـ
ـذي نـقلوه فـي الصفات وهـم غُـفلُ
وقـالوا: الذي قـلناهُ مـذهبُ أحـمدٍ
فـمال الى تـصديقهم من بـه جـهلُ
فـــصار الأعـــادي قـائلين لكـلّنا:
مشـبّهة قـد ضـرّنا الصحبّ والخـلُّ

(١) الشطر الثاني، لم يرد في المطبوعة في مصر، وأحدناه من المصدر

فـــقد فـــضحوا ذاك الإمـــام لجـــهلهم
ومـــذهبُ التـــنزيهُ لكـــن هُـــمُ آختـــلّوا
لَـــعمري لقـــد أدركتُ مـــنهم مشـــايخاً
وأكـــثر مـــا أدركـــته مـــاله عـــقلُ[1]

وحذفت أبياتاً من هذه القصيدة؛ لأنّي في هذه الورقات على سبيل الاقتصاد والرمز إلى منهج الحقّ والرشاد.

[كلام الإمام الشافعي وأبي حنيفة ومالك في التأويل]

وسُئل الإمام الشافعي ـ قدّس الله روحه ـ عن «الاستواء»؟ فقال: «آمنتُ بلا تشبيه، وصدّقت بلا تمثيل، واتهمتُ نفسي في الإدراك، وأمسكتُ عن الخوض فيه كلّ الإمساك».

وهذا شأن الأئمّة، يُمسكون أعنّة الخوض في هذا الشأن، مع أنّهم أعلم الناس به، ولا يخوض فيه إلّا أجهل الناس به.

وسئل الإمام أبو حنيفة ـ قدّس الله روحه ـ عن ذلك؟ فقال: «من قال: لا أعرف الله أفي السماء أم في الأرض فقد كفر؛ لأنّ هذا القول يؤذن أنّ الله سبحانه وتعالى مكاناً، ومن توهّم أنّ الله مكاناً فهو مُشبِّه».

وسئل الإمام مالك عن الاستواء؟ فقال: «الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة».

ففي العلم بالكيف، فمن استدلّ بكلامه على أنّه ـ سبحانه وتعالى ـ فوق عرشه، فهو لجهله وسوء فهمه.

---

(١) أورد القصيدة كاملة ابن الجوزي في (دفع شبه التشبيه) ص ٢٧٥ ـ ٢٧٧

وقال الإمام مالك عند قوله ﴿فلا تضربوا لله الأمثالَ﴾ من وصف شيئاً من ذاته سبحانه وتعالى، مثل قوله تعالى ﴿قالتِ اليهودُ يدُ الله مغلولةٌ غُلّت أيديهم﴾ (فأشار بيده إلى عنقه) قُطعت، وكذا السمع والبصر يقطع ذلك منه، لأنّه شتم الله بنفسه.

وقال مالك رحمه الله: «الاستواء معلوم» يعني عند أهل اللغة.

وقوله: «والكيف مجهول» أي بالنسبة إلى الله عزّ وجلّ، لأنّ الكيف من صفات الحدث، وكلّ ما كان من صفات الحدث فالله -عزّ وجلّ- مُنزّه عنه، فإثباته له سبحانه كفر محقّق عند جميع أهل السُّنة والجماعة.

وقوله: «والإيمان به واجب» أي على الوجه اللائق بعظمته وكبريائه.

وقوله: «والسؤال عنه بدعة» لأنّ الصحابة -رضي الله عنهم- كانوا عالمين به وبمعناه اللائق بحسب اللغة، فلم يحتاجوا إلى السؤال عنه فلمّا ذهب العالمون به، وحدث من لم يعلم أوضاع لغتهم، ولا له نور كنورهم، شرع يسأل الجهلة بما يجوز على الله عزّ وجلّ، وفرح بذلك أهل الزيغ، فشرعوا يُدخلون الشُّبهة على الناس، ولذلك تعيّن على أهل العلم أن يبيّنوا للناس، وأن لا يهملوا البيان؛ لقوله تعالى: ﴿وإذ أخذ الله ميثاق الذينَ أُتوا الكتابَ لتبيّنُنّه للنّاس ولا تكتُمُونهُ﴾.

فهذه[1] الأئمّة الأربعة[2] مدار الأمّة عليهم في دينهم، متّفقون في العقيدة، فمن زعم أنّ بينهم خلافاً في ذلك، فقد افترى على أئمّة الإسلام والمسلمين، والله حسيبه، وسيجزي الله المفترين.

وفي الصحيحين من حديث ابن عبّاس رضي الله عنهما، أنّه ﷺ قال: (من فارق الجماعة شبراً فمات، مات ميتةً جاهليّة).

---

(١) بعده فهؤلاء انتهى مصححه

(٢) بعده الذين انتهى مصححه

وقال ﷺ: «إنّ لشيطان ذئب الإنسان كذئب الغنم، يأخذ القاصية والنافرة والشاذّة، إياكم والشِّعاب، وعليكم بالعامّة والجماعة والمساجد». رواه الطبراني وغيره من حديث معاذ ﷺ، ورواه الإمام أحمد، ورجاله ثقات[1].

وسُئل الإمام أحمد عن الشافعي؟ فقال: «ما الذي أقول فيه، وهو الذي أخرج من قشور لتشبيه لبابها، وأطلع على معارفها أربابها، وجمع مذهبه أكنافها وأطنابها. فالمحدّثون صيادلة والشافعي طبيبهم، والفقهاء أكابر والشافعي كبيرهم. وما وضع أحد قلمه في محبرة إلّا وللشافعي عليه منّة».

وكان كثير الدعاء للشافعي، قال له ابنه عبدالله: أيّ شيء كان الشافعي، فإنّي أسمعك تُكثر الدعاء له؟ قال: «يا بُنيّ كان الشافعي كالشمس للدنيا، وكالعافية للناس، فانظر هل لهذين من خلف أو عوض؟»

[كلام السلف في التأويل]

وسئل بعض أئمّة السلف عن قوله تعالى ﴿الرحمن على العرشِ استوى﴾؟

فقال: الرحمن ـ جلّ وعلا ـ لم يزل والعرش مُحدَث بالرحمن استوى، ثمّ قال: كلّ ما ميّزتموه بأوهامكم وأدركتموه في أتمّ عقولكم، فهو مصروف إليكم ومردود عليكم، محدث ومصنوع مثلكم؛ لأنّ حقيقته عالية عن أن تلحقه عبارة، أو يدركه وهم، أو يُحيط به علم، كلّا، كيف يُحيط به علم وقد اتّفق فيه الأصداء بقوله سبحانه وتعالى ﴿هو الأوّل والآخرُ والظّاهر والباطنُ﴾؟!

أيّ عبارة تُخبر عنه؟! حقيقة الألفاظ كلام، قصرت عنه العبارات، وخرست عنه الألسنة بقوله ﴿ليس كمثله شيء﴾ تعالى الله وتقدّس عن المجانسة والمماثلة.

---

(١) في مجمع الزوائد للهيثمي ٢ ٣٣ عن أحمد وفي ٥ ٢١٩ عن أحمد والطبراني، وكنز العمال ١/٢٠٦ رقم ١٠٢٦ و١٠٢٧ و٧/٥٨١ رقم ٢٠٣٥٥

قال ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الآية: معناها ليس له نظير.

وقال أهل التحقيق: ذكر العرش إظهاراً لقدرته، لا مكاناً لذاته؛ إذ الذات ممتنعة عن الإحاطة بها والوقوف عليها، كما أشار إلى ذلك في قوله تعالى: ﴿الله لا إله إلّا هو ربُّ العرشِ العظيم﴾.

فسبحانه هو المنزّه عن الشبيه، القدّوس المبرّأ عن الآفات، والمُسبَّح بجميع اللغات، السلام السالم من نقائص المخلوقات، الصمد السيّد الذي لا يُشبهه شيء من المصنوعات والمخلوقات، الغنيّ عن الأغيار، تبارك وتعالى عن أن تحويه الجهات، الفرد الذي لا نظير له، المنفرد بصفات الكمال والقدرة، ومن بعض مقدوراته الكرسيّ والعرش والأرضون والسموات، شهد لنفسه بالوحدانية، ونزّهها بالآيات البيّنات، فصفاته لا يوصف بها غيره.

ومن تعرّض لذلك فقد طعن في كلامه، وضاهى أهل العناد، فاستوجب اللعن وأشدّ العقوبات.

[قول البغداديين في التأويل]

قال البغداديون في قوله تعالى: ﴿بديع السمواتِ والأرضِ وإذا قضى أمراً فإنّما يقولُ له كن فيكونُ﴾[1]: كلّ صُنع صنعه ولا علّة لصنعته، ليس لذاته مكان؛ لأنّه قبل الكون والمكان، وأوجد الأكوان بقوله. ﴿كُنْ﴾ أزل العلل عن ذاته بالدرك[2] وبالعبارة عنه وبالاشارة، فلا يبلغ أحد شيئاً من كنه معرفته؛ لأنّه لا يعلم أحد ما هو إلّا هو، حيّ قيّوم لا أوّل لحياته، ولا أمد لبقائه، حتجب عن

---

(١) البقرة ١١٧.

(٢) قوله «بالدرك» متعلق بمحذوف فيما يظهر، بتقديره: وأعجز الخلق عن أن يحيطوا به بالدرك... الى آخره. والدرك: الإدراك. انتهى مصحّحه.

لعقول و لأفهام . كما احتجب عن الأبصار فعجز العقل عن لدرك ، و لدرك عـن لاستبساط .و ينتهي لمخلوق الى مثله ، وأسنده الطلب الى شكله . انتهى .

وقولهم «كلّ صنع» عبّروا بالمصدر عن اسم المفعول ، كـقوله تـعالى ﴿هـذا خلقُ الله﴾[1] .

ومن لجهل لبيّن أن يطلب العبد المقهور بـ«كُنْ» درك ما لا يُدرك ،كيف ؟ وقد تنزّه عن أن يُدرك بالحوا سّ ، أو يتصوّر بالعقل الحادث و لقياس ، مَنْ لا يـدركه لعقل من جهة لتمثيل ، ويُدركه من جهة الدليل .

فكلّ ما يتوهّمه لعقل لنفسه فهو جسم ، وله نهاية في جسمه وجنسه ونوعه وحركته وسكونه ، مع ما يلزمه من الحدود والمساحة ، من لطول و لعرض وغير ذلك من صفات لحدث ، تعالى عن ذلك

فهو لكائن قبل لزمان والمكان ، وهو الأوّل قبل سوابق لعدم ، لأبدي بعد لو حق لقِدَم ، ليس كذاته ذات ، ولا كصفاته صفات ، جلّت ذاته لقـديمة ـ لتي لم تُسبق بعدم ـ أن يكون لها صفة حادثة ،كما يستحيل أن يكون للذات لحادثة صفة قديمة .

قال تعالى ﴿أولا يذكُرُ الإنسانُ أنّا خلقناهُ مِنْ قبلُ ولم يكُ شيئاً﴾[2] .

[كلام يحيى بن معاذ في التأويل]

وسأل بعض لمخبثين[3] الطوية للإمام العالم العلامة الجامع بين لعلوم لشّـتّية

---

(١) لقمان ١١

(٢) مريم ٦٧

(٣) لعله «حشي» أي احرقه ، وقوله «للإمام» لعلّ اللام الأولى من حروف الجـر ، وهذا ظنّ في كلّ ما تقدّم أو يجيء في هذا الكتاب من الألفاظ التي يخالف السعة ، لأنّ الإمام الحصني أجلّ من أن يخفى عليه مثل ذلك انتهى مصححه

و لمناهج لعَلِية ، يحيى بن معاذ الرازي ، فقال له أخبرنا عن الله؟ فقال : إله و حد . فقال له كيف هو؟ قال . إله قادر . قال : فأين هو؟ قال بالمرصاد .

فقال لسائل : لم أسألك عن هذا . فقال : ما كان غير هذ فهو صفة لمخلوق ، فأمّا صفته فالذي أخبرتك عنه .

فالسائل سأل عن لذات والكيفية ، فأجابه هذا لمخبر بالصفات لجلاليّة لقُدسيّة .

وهذ أخذه من قصة سيّدنا موسى ﷺ مع فرعون للعين لمّا قال له موسى ﷺ ﴿إنّي رسول ربِّ العالمينَ﴾ فسأله فرعون ﴿وما ربُّ العالمينَ﴾ [1] فقال موسى ﴿ربُّ السمواتِ والأرضِ وما بينهما إنْ كنتم موقنين﴾ [2]

فضمّن لجو ب لعدول عمّا سأل ، لأنّه عدل فيه عن مطابقة لسؤ ل ؛ لأنّ فرعون سأل عن ماهيّته سبحانه وتعالى ، وموسى أجابه عن قدرته وصفاته ، فجاز له ـ حين خلط في لسؤ ل وأخطأ ، وسأل عمّا لا يمكن إدركه ـ لعدولُ عن سؤ له .

فقال فرعون ﴿ألا تستمعونَ﴾ [3] أنا أسأله عن شيء ، فيجيب عن غيره .

فقال موسى ﷺ ﴿ربُّكم وربُّ آبائِكم الأولينَ﴾ [4] .

فلما قال موسى ﷺ ذلك استشعر فرعون أنّه أخطأ في لسؤ ل ، فخشي أن يدرك ذلك جلساؤه ، فقال : ﴿إنَّ رسولَكُم الذي أُرسل إليكم لمجنونٌ﴾ رماه بذلك حتّى يتخلص ويصير موسى ﷺ في مقام لا يُلتفت الى قوله ، ولا يؤخذ به .

---

(١) الزخرف ٤٦

(٢) الدخان ٧

(٣) الشعراء ٢٥

(٤) الدخان ٨

فتأمّل ـ أرشدك الله عزّ وجلّ وهداك إلى الحق ـ كيف أنّ ذلك معلوم عند الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ وغيرهم عدم العلم بالذات والكيف ؟

فلا أجهل ولا أعمى بصيرة ممن فرعون أهدى منه في معرفته بالعجز عن درك ذاته!

[قول أهل التحقيق من أهل السنة والجماعة بالتأويل]

قال الإمام الحافظ محمّد بن علي الترمذي ـ صاحب التصانيف المشهورة ـ: «من جهل أوصاف العبودية فهو بنعت الربوبيّة أجهل».

وقال أهل التحقيق من أهل السُّنّة والجماعة: «من اعتقد في الله ـ عزّ وجلّ ـ ما يليق بطبعه كالعامّي، فهو مشبّه.

فإنّه ـ عزّ وجلّ ـ منزّه عن كلّ ما يصفه الآدمي أو يتخيّله؛ لأنّ ذلك من صفات الحدَث تعالى وتقدّس عن ذلك»

فالإيمان للعامّيّ لضعف علمه وعقله بقبل التشكيك [1].

[مجموعة من تأويلات ابن عباس]

قال ابن عبّاس رضي الله عنهما في قوله تعالى ﴿وما يؤمن أكثرهم بالله إلّا وهم مشركون﴾ هم الذين شبّهوا الله سبحانه وتعالى بخلقه، يؤمنون به مُجملاً، ويكفرون به مفصّلاً، حملهم على ذلك زُخرفُ العدوّ وإغواؤه، بدسيسة عدم علمهم بغوائل النفس الأمّارة بالسوء وعدم تأمّلهم قوله تعالى: ﴿ما أشهدتهم خلق

(١) هذا الكلام ليس على عمومه، فإنّ من العامّة من يدهش العالم لمنع كمال إيمانه بالله عزّ وجل، وقد نصادف ذلك في بعض العوامّ الذين لم يشأوا في حجور أهل الدين، ولم يختلطوا بهم، وهم أندر من الكبريت الأحمر بين طبقات العوامّ. انتهى مصحّحه

السمواتِ والأرضِ ولا خلقَ أنفسِهم﴾[1]، وفي ذلك إشارة إلى عجز الخليفة أن تدرك بعض صفات ذوتها في ذاتها، أو تدري كيف كُنهها في أنفسها، بعدم شهودهم خلق السموت و لأرض وخلق أنفسها. فلم تملك أن تحتوي علم أنفسها في أنفسها، فكيف تدري أو تدرك شيئاً من صفات مُوجدها من العدم وبارئها ومالكها؟!

وقال تعالى ﴿ومن كلِّ شيءٍ خلقنا زوجين﴾[2] ﴿سُبحانَ الذي خلق الأزواج كُلَّها﴾[3]. وفي ذلك إشارة ظاهرة الى عجزك عن إدراك كُنه بعض لمخلوقات على ختلاف ذوتها وصفاتها، وفي بعضها ما لا يخطر على قلب بشر. فكيف بالخالق لدي نزّه نفسه بقوله تعالى ﴿ليس كمثله شيء﴾؟!

وهو ـ سبحانه وتعالى ـ مباين لخلقه من كلّ وجه لا يسعه غيره ولا يحجبه سو ه، تقدّس أن يدركه حادث أو يتخيّله وهم أو تتصوّره خيال، كل دلك محال.

فهو لملك لقُدّوس لمنزّه في دانه وصفاته عن مشابهة مخلوتاته، وأنت من مخلوقاته؛ ركّبك على منو ل عجيب، وجعلك في أحسن صورة وأعجب ترتيب، مع تنقّل تارت من ماء مهين، فقال عزّ وجلّ ﴿ولقد خلقنا الإنسانَ من سلالة من طين * ثمَّ جعلناه نطفةً في قرار مكين * ثمّ خلقنا النُّطفةَ علقةً فخلقنا العلقة مضغةً فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثمّ أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين﴾[4].

لإنسان هنا هو آدم عليه السلام وسلالته، لأنّه سلّةً من كلّ تربة، وكان عليه السلام يتكلم

(١) الكهف ٥١
(٢) الذاريات، ٤٩
(٣) يس، ٣٦
(٤) المؤمنون ١٢ـ١٤

سبعمائة ألف لغة.

وقوله تعالى: ﴿ثمّ جعلناه﴾ أي الإنسان ﴿نطفةً في قرار مكين﴾ أي حرز منيع، وهو لرحم ﴿ثم خلقنا علقةً﴾ أي دماً ﴿فخلقنا العلقة مضغةً﴾ أي قدر ما يُضغ ﴿فخلقنا المضغة عظاماً﴾ وبين كل خلقتين أربعون يوماً ﴿فكسونا العظام لحماً ثمّ أنشأناه خلقاً آخر﴾ وهو نفخ الروح فيه.

قاله ابن عباس ومجاهد والشعبي وغيرهم.

وقيل: نبات الأسنان والشعر، قاله قتادة.

وقيل: ذكراً أو أنثى، قاله الحسن، وقيل غير ذلك.

﴿فتبارك الله أحسن الخالقين﴾ أي المصوّرين والمقدّرين

تنزّه سبحانه وتعالى بعد ذكر هذه الأطوار، المعنى: أنّ مَن هذه مِن بعض مقدوراته، يستحقّ التعظيم والتنزيه؛ لأنّ هذه التارات والمنتقلات إنشاء بعد إنشاء، في غاية الدلالة على كمال القدرة ووصف الألوهية، ثمّ لإنشاء الآخر أن شقّ الشقوق وحرق الخروق، وأخرج العصب وجعل العروق كالأنهار الجارية، وركّبها على هيكل عجيب، مع كونه خلقاً سوياً، فأظهر بيد القدرة والآيات الظاهرة، وكمال الصنع والحكمة الباهرة، وأودع فيه الروح والحركة والسكون والإدراك والتمييز، واللغات الكلام والعلم والمعرفة والفهم والفطنة والفراسة، وغير ذلك مما يليق بهذا النوع الإنساني الحيواني الى غير ذلك مما يطول عدّه، ويتعسر تقديره وحدّه ﴿فتبارك الله أحسنُ الخالقين﴾.

ولو قيل لك: أخبرني عن قدر عروقك رقّة وثخانة وطولاً وقصراً، أو عن حقيقة بعض ما في باطنك من أي نوع كان، لعجزت عن بيان ذلك ولخرست، وأنت وجميع هذا النوع الإنساني نُتفة تراب جعله بشراً منتشراً.

فتعالى الله وتبارك أن يخوض في ذاته وصفاته إلّا من عَدِم الرشاد، وسلك

سبيل لفساد و لعناد، وصيّر نفسه أخسّ العباد.

فمن حقّق نظره واستعمل فكره، وجد نفسه أجهل الجاهلين بعظمة هذا العظيم.

فلا يقدّره أحد قدره ولا يعرفه سواه، وإن قرّبه وأدناه فسبحانه ما أثنى عليه حقّ ثنائه غيرُه، ولا وصفه بمبلغ يليق به سواه عجز الأنبياء و لمرسلون عن ذلك، قال أجلّهم قدراً وأرفعهم محلاً وأبلغهم نُطقاً، مع ما أُعطي من جوامع الكَلِم: «لا أحصي ثناءً عليك، أنت كما أثنيت على نفسك».

ومن تأمل كلام الله ـ عزّ وجلّ ـ وجده محشواً بتنزيهه تارةً بالتصريح، وتارة بالتلويح، وتارة بالإشارت، وتارة بما تقصر عنه العبارت

وهؤلاء[1] العلماءُ ورثة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، الذين قربو من درجة النبوّة، لأنّهم دلّو الناس على ما جاءت به الرسل عليهم الصلاة و لسلا، ويرجح مدادهم على دم الشهداء، ويستغفر لهم من في السموات و لأرض حتّى الحيتان في الماء، وهم أمناء الله ـ عزّ وجلّ ـ في أرضه، وأحدهم على الشيطان أشدّ من ألف عابد.

وقد قيل في قوله تعالى: ﴿ربِّ زدني علماً﴾[2]، أي زدني علماً بالقرآن ومعانيه.

وهؤلاء لهم علم لَدُنيّ يرد على قلوبهم من غيب الهدى، لها جَوَلان في الملكوت، فترجع إلى صاحبها بطرائف الحكمة من غير أن يلقي إليها عالم علمه.

---

(١) معطوف على الأنبياء، أي عجزوا كما عجز الأنبياء عن وصف ربنا ـ عزّ وجلّ ـ كما ينبغي له ويليق به، ولولا ما علّمهم الله تعالى في ذاته ما عرفوا ما عرفوا من وجوه، وإنما قلنا بذلك العطف؛ لأنّه لم يجيء بعدهم حديث عنهم، فليعلم. انتهى. مصححه

(٢) الكهف ١١٤

ومن ثمرة ذلك حصول الخشية وتزايد الخوف، والعمل بالإخلاص والصدق والزهد وصون النفس عن مواطن الهلكة، وإلّا هلك وأهلك غيره.

ومثل العالم كمثل السفينة إذا اخترقت غرقت وغرق أهلها، فوجب على العالم أن يحترز لئلا يَهلك ويُهلك غيره، فيلقى الله بذنوبه وذنوب غيره، فيضاعف عليه العذاب.

[قول محمد بن المنكدر بالتأويل]

قال محمد بن المنكدر ـ وهو من سادة التابعين، وكانت عائشة رضي الله عنها تحبّه وتُكرمه وتَبِرّه لفقيه يدخل بين الله ـ عزّ وجلّ ـ وبين عباده، فلينظر كيف يدخل؟

وصدق ونصح قدّس الله روحه.

وهذا شأن السلف بذلوا النصيحة للإسلام والمسلمين، وكانوا شديدين على من خالف، ولا سيّما لما ظهر أهل الزيغ، وتظاهروا بالتنويه بذكر آيات المتشابه وأحاديثه، بالغوا في التحذير منهم ومن مجالستهم، وكانوا يقولون: هم الذين عنى الله ـ عزّ وجلّ ـ في قوله تعالى: ﴿فأمّا الذين في قلوبهم زيغٌ فيتبعون ما تشابه منهُ ابتغاء الفتنةِ﴾[1] الآية.

وكذا قالت عائشة رضي الله عنها.

وكانوا يقولون ـ إذا جلس أحد للوعظ والتذكير ـ: تفقدوه منه أموراً، ولا تغترّوا بكلّ واعظ، فإنّ الواعظ إذا لم يكن صادقاً ناصحاً سليم السريرة من الطمع والهوى هلك وأهلك.

وذكروا أشياء بعضها تنطوي على النار الشبه التي بها يموّه أهل الزيغ.

---

(١) آل عمران ٧

ومن لا يقبلها فما ذلك إلّا أنّ الله ـ عزّ وجلّ ـ يريد إهلاكه وحشره في زمرة السامرة واليهود والزنادقة، ومن يرد الله ـ عزّ وجلّ ـ إضلاله فلا هادي له ﴿والله يحكم لا معقب لحكمه﴾ ﴿لا يُسأل عمّا يفعل﴾ قسّم الخلق إلى شقيّ وسعيد، فهو الفعّال لما يريد، فمن تبع هداه فلا يضلّ ولا يشقى، ومن اتبع هوى نفسه الأمّارة وأهل الزيغ والضلالة، وحاد عن سبيل من بهم يُقتدى هلك في الرمق.

ولنرجع إلى قول السلف رضي الله عنهم: إذا جلس شخص للوعظ فتفقدوه منه أموراً إن كانت فيه، وإلّا فاهربوا منه، وإياكم والجلوس إليه، وإلّا هلكتم من حيث طلبتم النجاة.

قالوا ذلك حين ظهر أهل الزيغ والبدع، وكثرت المقالات، وذلك بعد وفاة عمر رضي الله عنه وحديث حذيفة رضي الله عنه يدلّ لذلك وللفظ لمسلم.

[حديث حذيفة في الفتن ونبوغ الأهواء]

قال حذيفة: كنّا عند عمر رضي الله عنه، فقال: أيّكم سمع رسول الله ﷺ يذكر الفتن؟ فقال قوم: نحن سمعناه، فقال: لعلّكم تعنون فتنة الرجل في أهله وجاره، قالوا: أجل، قال: تلك تُكفّرها الصلاة والصيام والصدقة، ولكن أيّكم سمع النبيّ ﷺ يذكر التي تموج موج البحر؟ قال حذيفة رضي الله عنه: فأسكت القوم، فقلت: أنا، قال: أنت لله أبوك.

قال حذيفة رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: تُعرض الفتنُ على القلوب كالحصير، فأيّ قلب أُشربها نُكت فيه نكتة سوداء، وأيّ قلب أنكرها نُكت فيه نكتة بيضاء؛ حتّى يصير على قلبين على أبيض مثل الصفاة، فلا تضرّه فتنة ما دامت السموات والأرض، والآخر أسود مربادّاً كالكوز مجخّياً، لا يعرف معروفاً، ولا ينكر منكراً، إلّا ما أُشرب من هواه.

قال حذيفة ﷺ وحدّثته أنّ بينك وبينها باباً مُغلقاً يوشك أن يُكسر.

قال: قال عمر ﷺ أكسر لا أبا لك، فلو أنّه فتح لعلّه كان يعاد. قال لا، بل يُكسر.

وحدّثته أنّ ذلك الباب رجل يُقتل أو يموت حديثاً ليس بالأغاليط.

قال أبو خالد فقلت لسعيد: يا أبا مالك ما «أسود مربادّاً»؟

قال: شدة البياض في السواد.

قال قلت فما «لكور محخيّاً»؟ قال: منكوساً[1].

فقوله «ليس بالأغاليط» يعني أنّه عن رسول الله ﷺ.

ولفتن كلّ أمر كشفه الاختبار عن أمر سوء، وأصله في اللغة الاختبار، وشُبّهت موج البحر؛ لاضطرابها ودفع بعضها ببعض وشدّة عظمها وشيوعها

وقوله «تعرض الفتن على القلوب» أي تلصق بعرض القلوب؛ أي بجانبها كالحصير تلصق بجنب النائم، وتؤثر فيه لشدة التصاقها

وهذ شأن المشبّهة تلصق فتنة التشبيه في قلوبهم وتؤثّر، وتحسن لعقولهم ذلك حتّى يعتقدو ذلك ديناً وقرباناً من الله عزّ وجلّ، وما يقنع أحدهم حتّى يبق داعية وحريصاً على[2] إفتان من يقدر على إفتانه، كما هو مشاهد منهم.

وإلى مثل ذلك قوله «أُشربها» أي دخلت فيه دخولاً تامّاً وألزمها وحلّت منه محلّ الشراب ومنه قوله تعالى: ﴿وأُشربوا في قلوبهم العجل﴾[3] أي حبّه.

---

(١) صحيح مسلم كتاب الإيمان الحديث ٢٠٧، والبخاري في مواقيت الصلاة رقم ٤٩٤ وفي الزكاة ١٣٤٥ وفي الصوم ١٧٦٣ وفي المناقب ٣٣٢١ وفي الفتن ٦٥٦٧، والترمذي في الفتن ٢١٨٤، وابن ماجة في الفتن ٣٩٤٥، وأحمد في المسند رقم ٢٢٣٢٢

(٢) يريد فتنة من يقدر على فتنته أو فتن أو فتون إلى آخره انتهى مصححه

(٣) سورة البقرة ٦٣

فقوله: «إنّ بينك وبينها باباً مُغلقاً» معناه أنّ تلك الفتن لا تفتح، ولا يخرج منها شيء في حياتك.

وقوله: يُوشك ـ هو بضم الياء وكسر الشين ـ معناه أنّه يكسر عن قرب، والرجل هو عمر، وقد جاء مبيّناً في الصحيح.

والحاصل: أنّ الحائل بين الناس وبين الفتن هو عمر ﷺ ما دام حيّاً، فإذا مات دخلت.

ومبدأ الفتن هو الذين شرقوا[1] بالنبي ﷺ وبأبي بكر وعمر رضي الله عنهما؛ لعلمهم أنّ الدين لا يتمّ إلّا بهما؛ لأنّ عندهم علماً بذلك، وكانوا يُظهرون الإسلام ويقرؤون شيئاً من القرآن، وكانوا يرمزون الى التعرّض بالنقص حتّى في النبيّ ﷺ حتّى أنّ منهم من كان يؤمّ الناس ولا يقرأ في الجهرية إلّا بعبس؛ لما فيها من العتاب مع النبيّ ﷺ لأحد بني أمّ مكتوم، وهمّ ﷺ على[2] قاله

وتظاهر شخص بسؤال: ماالذاريات ذرواً؟ فقال عمر ﷺ: للّهمّ أمكني منه، فمرّ يوماً، فقيل له: هودا، واسم الرجل صبيغ، فشمّر عمر ﷺ عن ذراعيه وأوجعه جلداً، ثمّ قال: أرجلوه، فاركبوه على راحلته، فقال: طيفوا به في حيّه ليعلم الناس بذلك[3].

وكان ﷺ شديداً في دين الله ـ عزّ وجلّ ـ لا تأخذه في الله لومة لائم، وقد ذكرت نبذة يسيرة من سيرته في كتاب «قمع النفوس».

ولما كان أوخر القرن الأوّل اتّسع الأمر من القُصّاص.

---

(١) أي عضّوه ﷺ وصاحبه، فلم يستطيعوا أن يفعلوا ما يضمرون من الكيد للإسلام في وجودهم؛ لعلمهم. الى آخره انتهى

(٢) وعلى؛ موضع الباء انتهى مصحّحه

(٣) ونفاه بعد ذلك ﷺ، ولم يرجعه حتّى صلحت توبته انتهى مصحّحه

وتظاهر شخص يقال له المغيرة بن سعيد، وكان ساحراً، و شتهر بالوضّاف، وجمع بين الإلحاد و لتجسيم، ويقول إنّ ربه على صورة رجل على رأسه تاج، وبن أعضاءه على عدد حروف لهجاء، ويقول ما لا ينطق به، ويقول إنّ لأمانة في قول الله تعالى ﴿إنّا عرضنا الأمانةَ على السمواتِ والأرضِ والجبالِ﴾[1]، هي أن لا يُمنع عليٌّ لخلافة، وقوله تعالى: ﴿وحَمَلَها الإنسانُ إنّه كانَ ظلوماً جَهولاً﴾[2] هو أبو بكر ﷺ، وقال عمر ﷺ لأبي بكر أن يحملها ويمنع عليّاً منها، وضمن عمر أنّه يعيّن أبا بكر بشرط أن يجعل أبو بكر الخلافة له بعده، فقبل أبو بكر منه، وأقدما على لمنع متظاهرين.

ثمّ وصفهما بالظلم و لجهل، فقال: وحملها أبو بكر إنّه كان ظلوماً جهولاً، وزعم أنّه نزل في حقّ عمر ﷺ ﴿كمثلِ الشيطانِ إذ قال للإنسانِ أكفرْ...﴾[3] لآية، وكان يقول بتكفير سائر لصحابة رضي الله عنهم إلّا لمن ثبت مع عليّ ﷺ.

وكان يقول إنّ لانبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ لم يختلفوا في شيء من لشرائع، وكان يقول بتحريم إنكار المنكر قبل خروج الإمام.

وقال لمحمّد لباقر: أقرّ أنّك تعلم العيب حتّى أجبي لك لعراق، فانتهره وطرده.

وكذ فعل بجعفر لصادق ـ ولد محمّد الباقر ـ فقال: أعوذ بالله.

وكان يقول: نتظروا محمد بن عبدالله الإمام، فإنّه يرجع ومعه ميكائيل وجبريل يتبعانه من الركن والمقام.

وكان له حبائث، فلمّا كان في السنة التاسعة عشرة و لمائة ظفر به خالد بن

---

(١) الأحزاب: ٧٢

(٢) الأحزاب: ٧٢

(٣) الحشر: ١٦

عبدالله لقسري، فأحرقه وأحرق معه خمسة من أتباعه [١].

فهذ شأن أهل الزيغ.

و ستمرّ لأمر على ذلك، إلّا أنّهم سلكوا مسلك المكر والحيلة بإظهار لكتّ[٢] على سماع لحديث، ويكثرون من ذكر أحاديث المتشابه ويجمعونها ويسردونها على لناس و لعوامّ.

ثم كثرت لمقالات في رمن الإمام أحمد وكثر القُصّاص، وتوجّع هو و بن عُيينة وغيرهما منهم. وكان لإمام أحمد يقول كنت أودّ لو كان قصّاصاً صادقاً نصوحاً طيّب لسريرة.

[بدعة الكرامية والحنابلة]

ونبغ في زمنه محمّد بن كرام السجستاني، وترافق مع لإمام أحمد، وأظهر حسن لطريقة حتّى وثقه هو وابن عيينة، وسمع الحديث لكثير، ووقف على لتفاسير، وأظهر لتقشّف مع العفّة ولين الجانب، وكان ملبوسه جلد ضأن غير مخيط، وعلى رأسه قَلَنسُوة بيضاء، ثم أخذ حانوتاً يبيع فيه لبناً، و تّخذ قطعة فَرْوٍ يجلس عليها، ويعظ ويذكّر ويحدّث ويتخشّع.

حتّى أحد بقلوب لعوامّ والضعفاء من الطلبة لوعظه وبرهده؛ حتّى حصر من

---

(١) جمع المؤلّف في الحديث عن المعتزة من سعيد بين هذه الخرافات وخلط فيها بين الحقّ والباطل بقلاً عن أعداء آل محمدﷺ تشويهاً لسمعتهم وبعاداً لناس عنهم وعن مآثرهم ومكارمهم ومعارفهم، فليتروّ القارىء في أكثر هذه المقولات، وسقرأها بحذر!

فإنّ أكثر أهل هذا الشأن هم أهل الحديث، والمنتسبون إلى السنّة والمذهب الحسن كما صرّح المؤلّف في مواضع. ومن الكرامية والجهمية، وهم أبعد الناس من آل محمد ومن مذهب أهل البيت

(٢) يريد «الإكباب» انتهى. مصحّحه

تبعه من الناس فإذا هم سبعون ألفاً، وكان من غلاة المشبهة، وصار يُلقي على العوامّ الآيات المتشابهة والأخبار التي ظواهرها يوافق عقول العوامّ وما ألفوه.

ففطن لحُذّاق من العلماء، فأخذوه ووضعوه في السجن، فلبث في سجن نيسابور ثماني سنين.

ثمّ لم يزل أتباعه يسعون فيه حتّى خرج من السجن، وارتحل إلى الشام، ومات بها في رعر، ولم يعلم به إلّا خاصّة من أصحابه، فحملوه ودفنوه في القدس الشريف، وكان اتباعه في القدس أكثر من عشرين ألفاً على التعبّد والتقشّف، وقد زيّن لهم الشيطان ما هم عليه وهم من الهالكين وهم لا يشعرون، وستمرّ على ما هم عليه خَلق شأنهم حمل الناس على ما هم عليه إلى وقتك هذ.

قال الله تعالى ﴿أفمن زُيِّنَ له سوءُ عمله فرآه حسناً﴾[1] قال سعيد بن جبير: هذه الآية نزلت في أصحاب الاهواء والبدع المعنى: أنّه ركض في ميادين الباطل، وهو يظنّها حقّاً

وكان ابن عبّاس ـ رضي الله عنهما ـ يقول عند هذه الآية: إنّ للضلالة لها حلاوة في قلوب أهلها.

والبدعة هي استحسان ما يسوق إليه الهوى والشهوة مع الظنّ بكونها حقّاً.

وهؤلاء يُنزع من قلوبهم نور المعرفة، وسراج التوحيد من أسرارهم، ووُكلوا إلى ما اختاروا فضلّوا وأضلّوا ﴿ويحسبون أنّهم على شيء ألا إنّهم هم الكاذبون﴾[2] حتّى يكشف لهم الأمر.

كما قال الله تعالى ﴿وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون﴾[3] قيل: عملوا

---

(١) فاطر ٨

(٢) المجادلة ١٨

(٣) الزمر: ٤٧

أعمالاً ظنّوا أنّها في كفّة الحسنات، فإذا هي في كفة السيئات.

وهذه الآية قيل: إنّها في أهل البدع، يتصوّر[1] ويعتقد ـ مع تمام الورع والزهد وتمام الأعمال الصالحة وفعل الطاعات والقُرُبات ـ ما عاقبته خطرة، ومن ذلك أن يعتقد في ذات الله وصفاته وأفعاله ما هو خلاف الحقّ، ويعتقده على خلاف ما هو عليه، إمّا برأيه ومعقوله الذي يُحاكي به المحسوم، وعليه يُعوّل وبه يغترّ، قد زيّن له العدوّ وحلّاه له حتّى اعتقده ديناً ونعمة، وإمّا أخذاً بالتقليد ممّن هذه حاله، وهذا التقليد كثير في العوامّ، لا سيّما من يعضد بدعته واعتقاده بظاهر آية أو خبر، وهو على وفق الطبع والعادة.

وقد أهلك للعين مثل هذا خلقاً لا يُحصون حتّى إنّهم يعتقدون أنّ الحقّ في مثال ما هم عليه، وأنّ غيرهم على ضلالة.

ومثل هؤلاء ومن تبعوهم إذا بدا لهم ناصية مَلَك الموت، تكشف لهم[2] ما اعتقدوه حقّاً ـ باطلاً وجهلاً، وختم لهم بالسوء، خرجت أرواحهم على ذلك، وتعذّر عليهم التدارك، وكذا كلّ اعتقاد باطل.

ولا يفيد زوال ذلك كثرة التعبّد وشدّة الزهد وكثرة الصوم والحجّ، وغير ذلك من أنواع الطاعات والقربات، لأنّها تبع لأمر باطل.

ولا ينجو أحد إلّا بالاعتقاد الحقّ وقد قال تعالى: ﴿فماذا بعد الحقّ إلّا الضّلال﴾[3] وهذه الآية صريحة في أنّه ليس بين الحقّ والباطل واسطة.

والباطل هو الذهاب عن الحقّ، مأخوذ من ضلّ الطريق، وهو العدول

---

(١) أي أحدهم انتهى مصحّحه

(٢) في الأصل «تكشف لهم بطلان ما اعتقدوه» وهو من سهو القلم، والصحيح حذف كلمة «بطلان» ولعلّ «بطلان» من زيادة النسّاخ انتهى مصحّحه

(٣) يونس ٣٢

عن سمته.

والحقّ هو الصراط المستقيم الذي في قوله تعالى: ﴿وأنّ هذا صراطي مُستقيماً فاتّبعوه ولا تتّبعوا السُّبلَ فتفرّقَ بكم عن سبيلِهِ ذلكم وصّاكم به لعلّكم تتّقون﴾[1] وصف الله تعالى صراطه ـ وهو دينه ـ بالاستقامة، وأمر باتّباعه.

والمستقيم هو الذي لا اعوجاج فيه، فمن اتّبعه أوصله إلى مقعد صدق عند مليك مقتدر.

قال سهل: الصراط المستقيم هو الاقتداء والاتّباع وترك الهوى والابتداع.

ثمّ إنّه تعالى نهى عن اتّباع السُّبل؛ لما فيها من الحيدة عن طريق الاستقامة، فقال: ﴿ولا تتّبِعُوا السُّبلَ فتفرّقَ بِكم عن سبيله﴾ أي تميل بكم عن طريقه ـ التي رتضى، وبه[2] أوصى ـ إلى سُبُل الضلالات من الأهواء، فتهلكو.

قيل لعبد الله بن مسعود ﷺ: ما الصراط المستقيم؟ فقال: «ما تركنا محمّد ﷺ في أدناه وطرفه في الجنّة، وعن يمينه جوادّ، وعن يساره جوادّ، وثَمّ رجال يدعون من مرّ بهم، فمن أخذ في تلك الجوادّ انتهت به إلى النار، ومن أخذ على الصراط انتهى به إلى الجنّة، ثمّ تلا: ﴿وأنّ هذا صراطي مُستقيماً﴾ الآية

فأشار ﷺ بالرجال الذين على الجوادّ إلى علماء السوء وأهل البدع، وأشار بقوله «يدعون من مرّ بهم» إلى الوعّاظ الذين هم سبب هلاك من قعد إليهم.

ولقد بالغ السلف رضي الله عنهم في التحذير من مجالسة كلّ أحد، وقالوا: إذا جلس للوعظ فتفقّدوه فيه أموراً، فإن كانت فيه فأهربوا منه، وإلّا هلكتم من حيث ظننتم النجاة.

---

(١) الأنعام: ١٥٣

(٢) راعى في وصف الطريق بـ«التي» جواز تأنيثها، وراعى في رجوع الضمير إليها «به» جواز تذكيره، فيعلم انتهى مصحّحه

منها. إن كان مبتدعاً فاحذروه واجتنبوه، فانه على لسان الشيطان ينطق، ومن نطق على لسان الشيطان فلا شكّ ولا ريب في إغوائه، فيهلك الإنسان من حيث يظنّ السلامة.

وأيضاً ففي المشي إليه ومجالسته تعظيم له وتوقير.

روى ابن عدي من حديث عائشة رضي الله عنها: «من وقّر صاحب بدْعةٍ فقد أعان على هدم الإسلام»، ورواه الطبراني في مُعجمه الأوسط، ورواه الحافظ أبو نعيم من حديث عبد الله بن بشر، وبهذا وغيره يجب التبرّي من أهل البدع والتباعد.

قال بعض السلف: «من بشّ في وجه مبتدع أو صافحه فقد حلّ عُرى الإسلام عروة عروة».

وقال شخص من أهل الأهواء لأيوب السختياني رحمه الله: أكلّمك كلمة؟ فقال: لا والله ولا نصف كلمة.

وكان يقول: ما ازداد صاحب بدعة اجتهاداً إلا ازداد من الله بُعداً.

قال رحمه الله: كنّا ندخل على أيوب السختياني، وإذا ذكرنا له حديثاً عن رسول الله ﷺ يبكي حتّى نرحمه.

وكان يقول: إذ بلغني موت أحد من أهل السُّنّة فكأنّما يسقط عضو من أعضائي.

وكان يقول: والله ما صدق عبد إلّا سرّه ألّا يراه أحد[٢].

وكان يونس بن عبيد يقول: احفظوا عنّي ثلاثاً متُّ أو عشتُ، لا يدخلنّ أحد

---

(١) وعلى: بمعنى عن أو الباء. انتهى مصححه

(٢) أي وهو بعمل الصالحات. وهو كلام جليل، فليفكّر فيه القارىء طويلاً لعله يتحقق به. انتهى مصححه

على سلطان يعطه أو يعلّمه، ولا يخلونّ بأمرأة شابة وإن أقرأها القرآن، ولا يمكّن سمعه من ذي هوىً، وأشدها الثالثة، لما فيها من الريع أعاذنا الله من ذلك.

وكان يقول: ما يزال العبد بخير ما أبصر ما يفسد عمله.

ويونس هذا تابعي من أصحاب الحسن البصري.

وكان أبو عبد الله الأصبهاني من عباد الله الصالحين ومن المكّائين، ولم يكن بأصبهان أزهد منه ولا أورع منه، قال: وقفت على علي بن ماشاذة، وهو يتكلّم على الناس.

فلمّا جاء الليل رأيت ربّ العزة في النوم، فقال لي: وقفت على مبتدع وسمعت كلامه لأحرمنّك النظر في الدنيا، فاستيقظ وعيناه مفتوحتان لا يبصر بهما شيئاً.

وقال الحميدي: سمعت الفضيل يقول: من وقّر صاحب بدعة أورثه الله عمًى قبل موته.

قيل: أراد أيضاً عمى البصيرة.

[البدعة وأسبابها]

وأعلم أنّ الكلام على البدعة وأهلها فيه طول جدّاً، وقد ذكرت جملة منه في «تنبيه السالك على مظانّ المهالك».

ومنها: أن يكون الواعظ سيء الطعمة، فإنّه إنّما ينطق بالهوى؛ لأنّ مثل هذا يوقع الناس في الحرام، أو ربّما اعتقدوا حلّه؛ لأنّهم يقتدون به في فعله بسبب سطوة قوله.

ومنها: أن يكون رديء العقل أحمق، فإنه يفسد بحمقه أكثر مما يصلح، والأحمق هو الذي يضع الشيء في غير موضعه ويعتقد أنّه يصيب.

قال عيسى عليه السلام: «أبرأت الأكمه والأبرص وأعياني الأحمق».

فالأحمق مقصوده صحيح، ولكن سلوكه للطريق فاسد، فلا يكون له رؤية صحيحة في طريق لوصول الى الغرض، ويختار ما لاينبغي أن يختار، وهذا وجه لاجتناب.

بخلاف صاحب لعقل الصحيح، فإنّه يُثمر حسن النظر وجودة لتدبير وثقافة لرأي وإصابة لظنّ، ولتفطن لدقائق الأدلّة والأعمال وخفايا لنفس لأمّارة وغرور لشيطان.

ومنها: أن يذكر الأدلّة التي هي رجاء وتوسعة على النفوس، ويسكت عن آيات الخوف والرهبة وكذا الأخبار والآثار؛ لأنه بذلك يحلّ من لقلوب لزوجر، ويسهل رتكاب لمعاصي، لا سيّما إذا علم منه ارتكاب شيء ولو كان مكروهاً، فانه يوقع لناس في ورطة عظيمة.

قال «إذ عبث لعلماء بالمكروه عبث العوامّ بالحرام، وإذ عبث لعلماء بالحرم كفر لعوامّ»؛ معناه أنّهم يعتقدون حلّه لارتكاب العلماء ذلك؛ لأنّهم لقادة وعليهم لمعوّل في لتحليل والتحريم.

ومنها: أن يتعرّض لآيات المتشابه وكذلك الأخبار، ويجمعها ويسردها ويكرّر الآية والخبر مراراً؛ لأنّه يوقع العامّي فيما اعتاده وألفه، ويُجري صفات لخالق سبحانه وتعالى على ما ألفه وجرى عليه طبعه، ويريّنه لشيطان له بغروره، لا سيّما إن كان لواعظ ممن يُظهر زهداً وورعاً وشفقة على الناس، فكم من شخص حسن لظاهر خبيث لباطن، جميل الظاهر قبيح السرائر والضمائر.

ولسلف رضي الله عنهم لهم اعتناء بشدّة مجانبة هذا ولتباعد عنه.

ومنها: أن يكون متهماً بالرفض وبسبّ الصحابة رضي الله عنهم.

وهؤلاء نبّه مالك ﷺ على أنّهم من سلالة المنافقين، وأوضح ذلك نوّر الله تعالى قلبه، فقال: أرادوا أن يقدحوا في النبيّ ﷺ بشيء فلم يجدوا مساغاً،

فقدحو في لصحابة، لأنّ لقدح في الرجل قدح في صاحبه وخليطه، وهؤلاء كفّار لاستحلالهم سبّ أفضل الخلق بعد الأنبياء عليهم أفضل لصلاة و لسلام.

ومنهم: أقوام يُلبسون على الناس بقراءة البخاري وغيره، وهم لا يعتقدون البخاري، ويسمّونه فيما بينهم بالفشاري، وهم خبائث عديدة كلّ و حدة كفر محقّق.

وبقي أُمور لا أطوّل بذكرها.

فمن أراد الله به خيراً حماه عن مجالسة هؤلاء، لأنّ لقلب سريع لانقلاب وقبول لرخص و لشبه، فإذ علقت به الشبهة والريبة فبعيد أن ترتفع عن قلبه غشاوة ما وقر فيه، وأقلّ ما ينال القلب التردّد والحيرة، وذلك عين لفتنة ومراد لشيطان.

فإن كان لذي دخلت قلبه الشبهة عامياً، والمبدع أدخلها عليه بـ«قال الله عزّ وجلّ وقال رسول الله ﷺ» فبعيد أن يرجع وينقشع عن قلبه غشاوة لجهل و لحيرة لتحكّم لشبهة بالدليل، وهذا من الهالكين إلّا أن يتداركه الله برحمته.

لأنّ عمدة لناس الكتاب والسُّنّة، والهلكة الجهلة يفهمونهما على غير لمراد منهما على لوجه المرضيّ.

فمن حقّ لعبد لطالب للنجاة حراسة قلبه وسمعه عن خزعبلات لمبتدعة وترويق كلامهم، وأن لا يغترّ بتقشّفهم وكثرة تعبّدهم وزهدهم ووصفهم لأنفسهم، فإنّ ذلك من أقوى حبائلهم التي يصطادون بها، وبها تتشرّب لقلوب لبدعتهم لا سيّما من قلبه مشغوف بحبّ الدنيا، إذا رأى زهداً فيها، مع إكبابه على لكتاب و لسُّنّة، مع لورع والزهد والعفّة والقناعة، فلا شكّ ولا ريب أنّه يرغب فيه غاية لرغبة، ويميل إليه غاية الميل، ولا يصدّه عنه صادّ، كما هو مشاهد من لعوامّ ومحبّتهم ورغبتهم لمن هو بهذه المثابة.

فتنته لذلك. فقد أوضحتُ طريق السلامة والتباعد من مظانّ الهلكة.

فكم من شخص قصدُهُ صالحٌ، قد هلك بمثل هؤلاء إخوان الشياطين وهو لا يشعر.

وعليك بالاقتداء بالأطباء؛ أعني أطباء القلوب، وهم الأنبياء عليهم السلام؛ لأنهم العالمون بأسباب الحياة الأُخروية، ثمّ أتباعهم الذين أخذوا عنهم، وشاهدوا منهم مالم يشاهده غيرهم. شعر:

من كان يرغب في النجاة فما لَهُ ... غير اتّباع المصطفى فيما بدا
فاتبعْ كتاب الله والسنن التي ... صحّت فذاك إذا اتّبعتَ هو الهدى
فالدينُ ما قال النبيُّ وصحبُهُ ... فإذا اقتديت بهم فنعم المُقتدى

فسبحان الحليم الودود، المهل الكريم العميم الجود، العالم بخفايا الضمائر ودبيب النملة على الصخرة في الليالي السود، ويرى جريان الماء في العود، القادر فكلّ ما سواه بقدرته موجود، نزّه نفسه بنفسه لعجز خلقه عن ذلك، فتعالى عن الأشكال والأمثال والجهات والحدود، صفاته قديمة ثابتة بالنقل والعقل، فمن عطّل وقع في الجحود، وتنزيهه عن النقائص والأشباه محقّق ومعلوم، والتشبيه مذهب السامرة واليهود، وكفّ الكيف مشلولة بل مقطوعة، وباب التشبيه مردوم ومسدود، فمن فتحه هجمت عليه نار الوعيد، فأهلكته كما هلك فرعون ونمرود، وأصحاب الأخدود وعاد وثمود، فنسأل الله العافية من الفتن ومن أسبابها ومن النار ذات الوقود، ونتوسّل إليك بسيّد الأوّلين والآخرين محمّد، كما توسّل به أبو البشر فقبلته، فهو أحمد المحمود، صاحب الحوض المورود، والمقام المحمود، فهو أعظم الوسائل، ولا يخيب من توسّل به ولو كان من أهل الجحود.

[التوسّل بالنبيّ ﷺ في القرآن]

قال الله تعالى ﴿وكانوا﴾ أي اليهود ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ أي بعث محمّد ﷺ ﴿يستفتحون﴾ أي يستنصرون ﴿على الذين كفروا﴾[1] وهم مشركو العرب. كانو يقولون إذا حَزَبَهُمْ أمر أو دهمهم عدوّ: «اللّهمّ انصرنا بحاه النبيّ المبعوث آخر الزمان، الذي نجد صفته في التوراة». فكانوا يُنصرون. وكانو يقولون لأعدائهم كغطفان وغيرها من المشركين: «قد أظلّ زمانُ نبيٍّ يخرج بتصديق ما قلناه، فنقتلكم معه قتل عاد وثمود».

فانظر ـ أرشدك الله ـ إلى قدره ودُنوّ منزلته عند ربّه، كيف قبل عزّ وجلّ لتوسّل به من اليهود، مع علمه سبحانه بأنّهم يكفرون به، ولا يوقّرونه ولا يعظّمونه، بل يؤذونه، ولا يتّبعون النور الذي أُنزل معه؟

فمن منع لتوسّل به فقد نادى على نفسه، وأعلم الناس بأنّه أسوأ حالاً من اليهود.

شعر:

أنت الملاذُ لنا وأنت المرتجى	وبك اللياذُ وأنت ملجأُ مَن لجا
يا سيّد الكونين يامَن قد سما	معراجُه فوق السماءِ وعرَّجا
يا سيّد الثقلين والحكم الهدى	والمقصد الأسنى لأبواب الرجا
يا سيّداً مَن أمَّ بابَ مقامه	ألفاهُ خير مقام سُؤْلٍ يُرتجى
يا سيّداً ما أمَّهُ من خامةٌ	ربُ الزمان بخَطبه إلّا نجا
يا سيّداً جعل الإلهُ وجودَهُ	للعالمين المرتجى والمُلتجا
يا خاتم الرُّسُل الكرام ومن به	ربُّ البريّة كلَّ همٍّ فرَّجا

---

(١) البقرة ٨٩

غيره

وكـــن مـــتجيراً بـــالذي نـــالَ رفـعةً
الى عـــزّها ذلَّ المـــلوكُ الأكـاسرُ
نـــبيٌّ لهُ جـــاهٌ عـــريض ومـنصَبٌ
عـظيمٌ له تُـعزى العُـلى والمفاخرُ
جـــليلٌ جـــميلٌ راحـــمٌ مُـتعطِّفٌ
فـصيحٌ مـليحٌ كـاملُ الحُـسن باهرُ
ألا يـا رسـول الله يـا غـاية المُنى
لقـد نـلتَ فـخراً مـا لأدناه آخرُ
أيـــا دُرة الأنـــباء يـاجوهر الورى
هـــنيئاً لنـفسٍ فـي هـواك تُـتاجرُ
لقـد ربـحتْ فـي بـيعها وتنعّمت
وفـد سَـعِدت يـادرّها والحـواهرُ
حـبيبي رسـولَ الله كُـنْ لـيَ شـافعاً
أغِـثْني أجِرْني يـومَ تُـبلى السرائرُ
بـجاهك آمـالُ الضـعيف تـعلّقتْ
إذا نُـصب المـيزانُ والعـقلُ طـائرُ
فكـــن شـــافعي عـند الإله فـإنّه
حـــليمٌ كـريمٌ غـافرُ الذنبِ سـاترُ
مضى العُـمرُ فـي لهـوٍ وزهـوٍ وغـفلةٍ
وإنّـي عـن الفـعل الحـميد لقـاصرُ

فـــيارَبِّ داركْـــنا بـعفوٍ ورحـمةٍ
فأنت جـيـلٌ العـفو للكـــرِ جـابرُ
وخُـــذْ بـنواصـينا وطـهِّرْ قُـلوبَنا
ومُـنَّ بـعفوٍ مـنكَ فـالعفوُ غـامرُ
وصـلِّ عـلى البدر الذي من جبينِهِ
بَدا الشـمسُ والأقـمارُ والنجمُ زاهـرُ

نحزتُ هذه لأحرف لمباركات على قارئها ومستمعيها ،المتأسّين بأهل لحق ، لتابعين للصفوة من أولي المعجزات ، المـنزّهين لربّ العـالمين ، و لمـعظّمين لسيّد لأوّلين و لآخرين ، وسائر الأنبياء والمرسلين ، وسرح هذه لأُمّـة مـن بـعدهم ، كالصدّيقين وسائر لصحابة والتابعين لهم بأحسان الى يوم لدين

[ابن تيمية الحرّاني وآراؤه]

وكنتُ قد عزمت على أن أقتصر على ذلك؛ لأنّ في بعض ما ذكرته وقاية من لمقت و لمهالك.

ثمّ قيل لي وكُرِّر عليّ. إنّ أهل التشبيه والتجسيم و لمزدرين بسيّد لأولين و لآخرين ـ تبعاًلسلالة لقردةوالخنازير ـلهم وجودوفيهمكثرة، وقدأخذو بعقول كثير من لناس؛ لما يزيّنون لهم من الأطراء على قدوتهم، ويُرخرفون لهم بالأقو ل و لأفعال، ويموّهون لهم بإظهار التنسّك، والإقبال على كثرة لصلاة و لصوم و لحجّ و لتلاوة، وغير ذلك ممّا يحسن في قلوب كثير من الرجال، لا سيما لعوامّ لماثلين مع كلّ ريح أتباع لدجّال، فانقادوا لهم بسبب ذلك، وأوقعوهم في سر لمهالك.

فرأيت بسبب هذه لمكايد والخزعبلات أن أتعرض لسوء عقيدتهم؛ قمعاً لهذ لرائغ عن طريق أهل لحقّ، وهم الأئمّة الأربعة المقتدى بهم و لمعوّل عليهم في جميع لأعصار و لأقطار؛ لأنّهم النجوم الذين بهم يُهتدى.

وقد بالغ جمع من لأحبار من المتعبّدين وغيرهم من لعلماء، كأهل مكّة وغيرها، أن أذكر ما وقع لهذ الرجل من الحيدة عن طريق هذه لأئمة ولو كان أحرفاً يسيرة، إما بالتصريح أو بالتلويح مشيرة، فاستخرتُ الله ـ عزّ وجلّ ـ في

ذلك مدّة مديدة.

ثم قلت: لا أبا لك، وتأملت ما حصل وحدث بسببه من الإغواء والمهالك، فلم يسعني عند ذلك أن أكتم ما علمت، وإلّا ألجمتُ بلجام من نار ومقت.

وها أنا أذكر الرحل، وأُشير باسمه الذي شاع وذاع، وتسع به الباع، وسار بل طار في أهل القرى والأمصار.

وأذكر بعض ما أنطوى باطنه الخبيث عليه، وما عوّل في الإفساد بالتصريح أو الاشارة إليه.

ولو ذكرت كثيراً مما ذكره ودوّنه في كتبه المختصرات، لطال جداً، فضلاً عن المبسوطات.

وله مصنّفات أُخر لا يمكن أن يطّلع عليها إلّا من تحقّق أنّه على عقيدته الخبيثة، ولو عصر هو وتباعه بالعاصرات؛ لما فيها من الزيغ والقبائح النجسات.

قال بعض العلماء من الحنابلة في الجامع الأموي في ملأ من الناس: لو طّلع الحصني على ما طّلعنا عليه من كلامه، لأخرجه من قبره وأحرقه وأكّد هؤلاء أن أتعرّض لبعض ما وقفت عليه.

وما أفتى به مخالفاً لجميع المذاهب، وما خطّىء فيه وما انتقد عليه.

وأذكر بعض ما اتّفق له من المجالس والمناظرات، وما جاءت به المراسيم العالیات.

وأتعرض لبعض ما سلكه من المكايد التي ظنّ بسببها أنّه تخلص من ضرب السياط والحبوس وغير ذلك من الإهانات، والهيبات.

[انتساب ابن تيمية إلى مذهب أحمد بن حنبل]

فأوّل شيء سلكه من المكر والخديعة أن انتمى الى مذهب الإمام أحمد،

وشرع يطلب العلم ويتعبّد، فمالت إليه قلوب المشايخ، فشرعوا في إكرامه والتوسعة عليه. فأظهر التعفّف فزادوه في الرعبة فيه والوقوع عليه، ثمّ شرع ينظر في كلام العلماء، ويعلّق في مسوّدّته حتّى ظنّ أنّه صار له قوّة في التصنيف والمناظرة. وأخذ يدوّن ويذكر أن جاءه استفتاء من بلد كذا، وليس لذلك حقيقة، فيكتب عليها صورة الجواب، ويذكر مالا يعتقد عليه، وفي بعضها ما يمكن أن يعتقد، إلّا أنّه يشير إليه على وجه التلبيس، بحيث لا يقف على مراده إلّا حاذق عالم متفنّن، فإذا ناظر أمكنه أن يقطع من ناظره إلّا ذلك المتفنّن الفطن.

[خداعه لعوامّ الناس]

ثمّ شرع يتلقى الناس بالأُنس وبسط الوجه ولين الكلام، ويذكر أشياء تحلو للنفوس، لاسيّما لألفاظ العذبة، مع اشتمالها على الزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة، فطلبوا منه أن يُذكّر الناس ففعل، فطار ذكره بالعلم والتعبّد والتعفف، ففرغ الناس إليه بالأسئلة، فكان إذا جاءه أحد يسأله عن مسألة، قال له: عاودني فيها، فإذا جاءه قال: هذه مسألة مشكلة، ولكن لك عندي مخرج أقوله لك بشرط، فإني أتقلدها في عنقي، فيقول: أنا أوفي لك، فيقول: أن تكتم عليّ، فيعطيه العهود والمواثيق على ذلك، فيفتيه بما فيه فرجه؛ حتّى صار له بذلك أتباع كثيرة يقومون بنصرته أن لو عرض له عارض.

ثمّ إنّه علم أنّ ذلك لا يخلّصه، فكان إذا كان في بعض المجالس، قال: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، قد افتقت فتوق من أنواع المفاسد يبعد رتاقها، ولو كان لي حكم لكنت أجعل فلاناً وزيراً، وفلاناً محتسباً، وفلاناً دويدراً، وفلاناً أمير البلد، فيسمع أولئك وفي قلوبهم من تلك المناصب، فكانوا يقومون في نصرته.

[محاولته للعلماء]

ثمّ علم أنّ مثل هؤلاء قد لا يقدرون على مقاومة العلماء إذ قاموا في نحره، فجعل له مخلصاً منهم، بأن ينظر الى من الأمر إليه في ذلك المجلس، فيقول له: ما عقيدة إمامك، فإذا قال: كذا وكذا، قال: أشهد أنّها حقّ، وأنا مخطيء، وشهدوا أني على عقيدة إمامك، وهذا كان سبب عدم إراقة دمه، فإذا انفضّ المجلس أشاع أتباعه أنّ الحقّ في جهته ومعه، وأنّه قطع الجميع؛ ألا ترون كيف خرج سالماً حتّى حصل بسبب ذلك فتنان خلق كثير، لا سيّما من العوامّ.

فلمّا تكرر ذلك منه علموا أنّه إنّما يفعل ذلك خديعة ومكراً، فكانوا مع قوله ذلك يسجنونه، ولم يزل ينتقل من سجن الى سجن حتّى أهلكه الله ـ عزّ وجلّ ـ في سجن الزندقة والكفر.

[التزام ابن تيميّة للتقيّة]

ومن قواعده المقرّرة عنده، وجرى عليها أتباعه، التوقّي بكلّ ممكن حقّاً كان أو باطلاً ولو بالأيمان الفاجرة، سواء كانت بالله ـ عزّ وجلّ ـ أو بغيره.

وأمّا الحلف بالطلاق فإنه لا يوقعه، ألبتّة، ولا يعتبره، سواء كان بالتصريح أو الكناية أو التعليق أو التنجير، وهذا مذهب فرقة الشيعة، فإنهم لا يرونه شيئاً، وإشاعته هو وأتباعه أنّ الطلاق الثلاث واحدة خُزَعْبلات ومكر، وإلّا فهو لا يوقع طلاقاً على حالف به، ولو أتى به في اليوم مائة مرة على أيّ وجه، سواء كان حنثاً أو معاً أو تحقيق خبر، فاعرف ذلك، وأنّ مسألة الثلاث إنّما يذكرونها تستّراً وخديعة وقد وقفتُ على مصنّف له في ذلك[1]، وكان عند شخص شريف زيبي،

---

(١) هذا شيء مدهش جدّاً، ولو أنّ الذي يحكيه [غير] الإمام الحصني المعروف بشحّه على دينه، ما وجد ما يحكيه الى النفوس سبيلاً. انتهى مصحّحه

وكان يردّ لزوجة لى روحها في كلّ واقعة بخمسة دراهم، وإنّما أطلعني عليه لأنّه ظنّ أنّي منهم. فقلت له: ياهذا أتترك قول الإمام أحمد وقول بقيّة الأئمة بقول ابن تيميّة؟!

فقال: أشهد عليّ أنّي تُبتُ.

وظهر لي أنّه كذب في ذلك، ولكن جرى على قاعدتهم في التستّر والتقيّة. فنسأل الله العافية من المخادعة، فإنّها صفة أهل الدَّرك الأسفل[1].

[تزوير ابن تيميّة في المصنّفات والمصادر]

ثمّ علم قبل الخوض في ذكر بعض ما وقع منه وانتقد عليه أنّه يذكر في بعض مصنّفاته كلام رجل من أهل الحقّ، ويدسّ في غضونه شيئاً من معتقده الفاسد، فيجري عليه لعيّ بمعرفة كلام أهل الحقّ فيهلك، وقد هلك بسبب ذلك خَلق كثير.

وأعمق من ذلك أنه يذكر: أنّ ذلك الرجل ذكر ذلك في الكتاب الفلاني، وليس لذلك الكتاب حقيقة، وإنّما قصده بذلك انفضاض المجلس، ويؤكّد قوله بأن يقول: ما يبعد أنّ هذا الكتاب عند فلان، ويسمّي شخصاً بعيد المسافة، كلّ ذلك خديعة ومكر وتلبيس لأجل خلاص نفسه، ولا يحيق المكر السيء إلّا بأهله.

ولقد لم يزل فيهم التعازير والضرب بالسياط والحبوس وقطع الأعناق، مع تكتمهم ما يعتقدونه والمبالغة في التكتم؛ حتّى أنّهم لا ينطقون بشيء من عقائدهم الخبيثة إلّا في الأماكن الخفية، بعد التحرّز وغلق الأبواب والنطق بما هم عليه بالمحافتة، ويقولون: إنّ للحيطان آذاناً.

---

(١) لا تتردّد عاقل في أن ما سيحكيه الإمام الحصني بعدُ فعلُ وحوشٍ لا علماء، فيقرأه العاقل، وليعجب كيف يكون من هذه بلاياهم أئمة في دين الله؟! انتهى مصحّحه

[أساليب التيميّة في خداع المسلمين]

ومن حملة مكرهم وتحيّلهم: أنّ الكبير منهم المشار إليه في هذه الحوائث، له أتباع يُظهرون له العلم والعظمة والتعبّد والتعفّف؛ يخدعون بذلك أرباب الأموال، لاسيما الغرباء، فيدفع ذلك الغريب أو غيره إلى ذلك الشيخ شيئاً، فيأبى ويُظهر التعفّف، فيزداد ذلك الرجل حرصاً على الدفع، فلا يأخذ منه إلّا بعد جهد، فيأخذها ذلك الخبيث، ولا عليه من أطّلاع الله تعالى على خبث طويّته، ويدفع بعضها إلى بعض أتباعه وإلى غيرهم، ويتمتّع هو وخواصّه بالباقي، وهم يد وقدرة على ذلك.

ومن جملة مكرهم من هذا النوع أن يكسو عشرة مساكين قمصاناً أو غيرها، ثمّ يقولون: انظروا هذا الرجل كيف يجيئه الفتوح فيؤثركم بها وغيركم، ويترك نفسه وعياله وأصدقاءه، وهكذا كان السلف، وبكون قد أخذ أضعاف ما دفع، وكثير من الناس في غفلة من هذا.

ولولا أنّ ذلك من جملة النصيحة لما ذكرته ولما تعرضت له، وكان ما في نفسي شاغلاً عن ذلك، إلّا أنّه كما قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ بسبب نجدة الحروري لمبتدع: «لولا أن أكتم علماً لما كتبت إليه»؛ يعني جواب ما كتب إليه بأن يعلّمه مسائل، والقصة مشهورة حتّى في صحيح مسلم[1].

وقال ﷺ: «من سئل عن علم فكتمه أُلجم يوم القيامة بلجام من نار» رواه عشرة من حديث أبي هريرة ﷺ ـ منهم أبو داود، وكذا الترمذي، وحسّنه، والحاكم وصحّحه[2].

---

(١) صحيح مسلم: في الجهاد والسير رقم ٣٣٧٧، وانظر مسند أحمد رقم ١٨٦٦، وسنن أبي داود في الجهاد رقم ٢٣٥١.

(٢) سنن أبي داود في العلم رقم ٣١٧٣، وكذا الترمذي برقم ٢٥٧٣، والحاكم في المستدرك ١/ ١٠١.

ثمّ إن كان المال المدفوع زكاة فلا تبرأ الذمّة بدفعه إليهم؛ لأنّهم ليسوا من أهلها. فليتنبّه لذلك فإنّه قد يخفى مع ظهوره. وقد تشكّك في ذلك وتلاعب الشيطان به. فلتأخذه بجانب الاحتياط منه. فإنّه طريق السلامة. والله أعلم.

وأعلم أني لو أردت أن أذكر ما هم عليه من التلبيسات والخديعة والمكر، لكان لي في ذلك مزيد وكثرة وفيما ذكرته أنموذج يتنه بعضه على غيره. لا سيّما لمن له أدنى فراسة وحسن نظر بموارد الشرع ومصادره، التي أشار إليها رسول الله ﷺ، وبعضها صرّح به تصريحاً ظاهراً. لا يخفى إلّا على أكمه لا يعرف القمر.

وفي الصحيحين من حديث عليّ ﷺ، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (سيخرج قوم في آخر الزمان حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام، يقولون من خير قول البرية، يقرؤون القرآن لا يجاوز إيمانهم حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرميّة، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم، فإنّ في قتلهم أجراً لمن قتلهم عند الله يوم القيامة).

وفي صحيح مسلم من حديث علي ﷺ، قال: سمعت النبيّ ﷺ يقول: (يخرج قوم من أمّتي يقرؤون القرآن، ليس قراءتكم إلى قراءتهم بشيء، وليس صلاتكم إلى صلاتهم بشيء، ولا صيامكم إلى صيامهم بشيء، يقرؤون القرآن يحسبون أنّه لهم، وهو عليهم، لا تجاوز صلاتهم تراقيهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرميّة)[1].

وفي الصحيحين[2] من حديث ابن عمر ﷺ، قال: سمعت النبيّ ﷺ يقول وهو على المنبر: (ألا إنّ الفتنة هنا ـ ويشير إلى المشرق ـ من حيث يطلع قرن الشيطان).

---

(١) صحيح مسلم في الزكاة رقم ١٧٧٣.

(٢) البخاري في بدء الخلق رقم ٣٠٣٧، والمناقب رقم ٣٢٤٩، ومسلم في الفتن وأشراط الساعة رقم ٥١٦٧ ـ ٥١٧٢، والترمذي في الفتن ٢١٩٤، ومسند أحمد رقم ٤٤٥٠.

وفي رواية (إنّ لفتنة ههنا) ثلاثاً، وفي رواية أخرج رسول الله ﷺ من بيت عائشة رضي الله عنها، فقال: رأس الكفر ههنا من حيث يطلع قرن الشيطان[1].

هذا المبتدع من حزن الشرق، بلدة لا تزال يخرج منها أهل البدع، كجعد وغيره.

وفي سنن أبي داود من حديث أبي سعيد الخُدري وأنس - رضي الله عنهما - أنه ﷺ قال: (سيكون في أمتي اختلاف، وفرقة يحسنون القيل ويسيئون الفعل، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، هم شرّ الخلق، طُوبى لمن قتلهم أو قتلوه، يَدْعُو إلى كتاب الله، وليسوا منه في شيء، من قتلهم كان أولى بالله منهم، قالوا: يا رسول الله وما سيماهم؟ قال: التحليق والتسبيد، فإذا رأيتموهم فأنيموهم)[2] أي اقتلوهم، والتسبيد هو الحلق واستئصال الشعر، وقيل: ترك التدهّن وغسل الرأس وغير ذلك

والأحاديث في ذلك كثيرة، وفي واحد كفاية لمن أراد الله - عزّ وجلّ - به الرشد والهداية.

فقد أوضحهم سيّد الناصحين ﷺ - باعتبار أوصافهم وأماكنهم - إيضاحاً جلياً لا خفاء فيه لا جهالة، فلا يتوقّف في معرفتهم بعد ذلك إلّا من أراد الله تعالى إضلاله.

[التحذير من عقائد التيمية أهل الزيغ]

وقد تمهّد لك هذا أيّها الراغب في فكاك نفسك من رِبْقة عقائد أهل الزيغ

---

(١) صحيح البخاري ٤ ١٧٩ و٦ ١١٥، ٨ ٥٢. ومسند أحمد - مسند المكثرين - رقم ٤٥٢١، والنسائي ٧/١١٨، وصحيح مسلم ٣/١١٤، والبيهقي ٨ ١٧٠، والترمذي ٣/٣٢٦ عن عبدالله

(٢) سنن أبي داود كتاب السنة رقم ٤١٣٧

لصالين لمصلين، و لاقتد ء بأهل السلامة في الدين.

فاعلم أنّي نظرت في كلام هذا الخبيث الذي في قلبه مرض لريغ، لمتتبّع ما تشابه في لكتاب و لسُّنّة ابتغاء الفتنة، وتبعه على ذلك خلْق من لعو مّ وغيرهم ممّن أرد لله ـ عزّ وحلّ ـ إهلاكه، فوجدت فيه ما لا أقدر على لنطق به[1]، ولا لي أنامل تُطاوعني على رسمه وتسطيره.

لما فيه من تكذيب ربّ العالمين في تنزيهه لنفسه في كتابه لمبين.

وكذ لاردرء بأصفيائه المنتخبين وخلفائهم الراشدين وأتباعهم لموّفقين.

فعدلت عن ذلك لى ذكر ما ذكره الأئمة المتقون، وما تّفقو عليه من تبديعه وإخرجه ببعضه من لدين، فنه ما دُوّن في المصنّفات، ومنه ما جاءت به لمر سيم لعليات، وأجمع عليه علماء عصره ممّن يرجع إليهم في الأمور لملمّات و لقضايا لمهمات، وتضمّنه لفتاوى لزكيّات من دنس أهل الجهالات، ولم يختلف عليه أحد، كما شتهر بالقرءة و لمناداة على رؤوس الأشهاد في الجامع لجامعة؛ حتّى شاع ودع، و تّسع به لباع حتّى فى الفوات.

[المرسوم السلطاني بشأن ابن تيمية]

فمن ذلك نسخة لمرسوم الشريف السلطاني[2]، ناصر لدنيا و لدين محمّد بن قلاوون ـ رحمه لله تعالى ـ وقُرىء على منبر جامع دمشق، نهار لجمعة سنة خمس وسبعمائة، صورته[3]:

---

(١) يتأمل هذا جداً، فإنه عجيب. انتهى مصحّحه

(٢) لفظ «ناصر الدين» صفة لموصوف محذوف فطناً لستقيم لكلام، ولتقدير الصادر من السلطان ناصر الدين الى آخره. انتهى مصحّحه

(٣) لاحظ الدرر الكامنة لابن حجر العسقلاني ص١٤٥

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

لحمد لله لذي تنزّه عن الشبيه والنظير، وتعالى عن لمثل، فقال تعالى ﴿لَيسَ كمثلِهِ شيء وهو السميعُ البصيرُ﴾[1].

نحمده على ما ألهمنا من العمل بالسُّنّة والكتاب، ورفع في أيّامنا أسباب لشكّ و لأرتياب.

ونشهد أن لا إله إلّا لله وحده لا شريك له؛ شهادة من يرجو بإخلاصه حسن لعقبى و لمصير. وينزّه خالقه عن التحيّز في جهة؛ لقوله تعالى: ﴿وهو معكمْ أينما كنتُمْ واللهُ بما تعملونَ بصيرٌ﴾[2].

ونشهد أنّ سيّدنا محمّداً عبده ورسوله الذى نهج سبيل لنجاة لمن سلك سبيل مرضاته. وأمر بالتفكّر في لآيات، ونهى عن الفكر في ذ ته ﷺ وأصحابه لذين علا بهم منارُ لإيمان و رتفع، وشيّد الله بهم من قواعد لدين لحنيفِ ما شرع، وأخمد بهم كلمة من حاد عن الحقّ ومال الى البدع.

وبعدُ:

فإنّ لقو عد لشرعية؛ وقواعد الإسلام المرعيّة، وأركان لإيمان لعلمية، ومذاهب لدين لمرضيّة، هي الأساس الذي بُني عليه، والموئل الذي يرجع كلّ أحد إليه، و لطريق لتي من سلكها فاز فوزاً عظيماً، ومن زاغ عنها فقد ستوجب عذ باً أليماً ولهذ يجب أن تتعقد أحكامها ويؤكد دوامها، وتصان عقائد هذه لأُمة عن لاختلاف، وتُزين بالرحمة والعطف والائتلاف، وتُحمد ثو ئر لبدع، ويُفرّق من فرقها ما جتمع.

وكان ابن تيميّة في هذه المدّة قد بسط لسان قلمه، ومدّ مجهله عنان كلمه،

---

(١) الشورى ١١

(٢) الحديد ٤

وتحدّث بمسائل لذات والصفات، ونصّ في كلامه الفاسد على أمور منكرت، وتكلّم فيما سكت عنه لصحابة والتابعون، وفاه بما اجتنبه لأئمة لأعلام لصالحون. وأتى في ذلك بما أنكره أئمة الإسلام، وانعقد على خلافه جماع لعلماء و لحكّام، وشهر من فتاويه ما استخفّ به عقول العوامّ، وخالف في ذلك فقهاء عصره، وأعلام علماء شامه ومصره، وبثّ به رسائله لى كلّ مكان، وسمّى فتاويه بأسماء ما أنزل الله بها من سلطان.

ولمّا تصل بنا ذلك، وما سلك به هو ومريدوه، من هذه لمسالك لخبيثة وأظهروه، من هذه لأحو ل وأشاعوه، وعلمنا أنّه استخفّ قومه فأطاعوه، حتى تصل بنا أنّهم صرّحو في حقّ الله سبحانه بالحرف والصوت و لتشبيه و لتجسيم،

فقمنا في نصرة الله، مشفقين من هذا النبأ العظيم، وأنكرنا هذه لبدعة، وعزنا[1] أن يشيع عمّن تضمّنه ممالكه هذه السمعة، وكرهنا ما فاه به لمبطلون، وتلونا قوله تعالى ﴿سبحانَ ربِّك ربِّ العزةِ عمّا يصفونَ﴾[2]

فإنّه ـ سبحانه وتعالى ـ تنزّه في ذاته وصفاته عن لعديل و لنظير ﴿لا تدركه الأبصارُ وهو يدركُ الأبصارَ وهو اللّطيفُ الخبيرُ﴾[3].

فتقدمت مرسيمنا باستدعاء ابن تيميّة المذكور لى أبوبنا، حين ما سارت فتاويه لباطلة في شامنا ومصرنا، وصرّح فيها بألفاظ ما سمعها ذو فهم إلّا وتلا قوله تعالى ﴿لقد جئت شيئاً نُكراً﴾[4].

---

(١) هذه الفقره محرّفة، ومعناها ليس بظاهر، والذي يصير أنّ أصلها «وعندنا» أن يشيع عمّن يضمّه ممالكه هذه السمعة» يستعيد السلطان بالله أن يشيع عنه هو بيت لسمعة» لأنّ مرجع في مملكته انتهى. مصحّحه

(٢) الصافات: ١٨٠

(٣) الأنعام: ١٠٣

(٤) الكهف ٧٤

ولمّا وصل إلينا لجمع أولوا العقد والحلّ، وذوو التحقيق و لنقل، وحضر قضاة لإسلام، وحكّام لأنام، وعلماء المسلمين، وأئمة الدنيا و لدين، وعُقد له مجلس شرعيّ في ملأ من لأئمة وجمع، ومن له دراية في مجال لنظر ودفع.

فثبت عندهم جميع ما نُسب إليه، بقول من يُعتمد ويُعوّل عليه، وعقتضى خطّ قلمه لد لّ على مُنْكَر معتقده[1].

و نفصل ذلك لجمع وهم لعقيدته الخبيثة مكرون، وأخذوه بما شهد به قلمه تالين ﴿سَتُكْتَبُ شهادَتُهم ويُسألُونَ﴾[2].

وبلغنا أنّه قد سُتِيبَ مراراً فيما تقدّم، وأخّره الشرع لشريف لما تعرّض لذلك وأقدم، ثمّ عاد بعد منعه، ولم يدخل ذلك في سمعه.

ولمّا ثبت ذلك في مجلس لحاكم المالكي، حكم الشرع لشريف أن يُسجن هذ لمذكور، ويُمنع من لتصرّف والظهور.

ويكتب مرسومنا هذ بأن لا يسلك أحد ما سلكه لمذكور من هذه لمسالك، وينهى عن لتشبيه في عتقاد مثل ذلك، أو يعود له في هذ لقول متّبعاً، أو لهذه لألفاظ مستمعاً، أو يسرى في مسراه، أو ينوه بجهة لعلّو بما فاه، أو يتحدّث أحد بحرف أو صوت، أو يفوه بذلك الى الموت، أو ينطق بتجسيم، أو يحيد عن لطريق لمستقيم، أو يخرج عن رأي الأئمة، أو ينفرد به عن علماء لأُمّة، أو يحيّز الله سبحانه وتعالى في جهة، أو يتعرّض لى حيث وكيف، فلس لمعتقد هذ إلّا لسيف[3].

فليقف كلّ و حد عند هذا الحدّ، ولله الأمر من قبل ومن بعد.

وليلزم كلّ و حد من لحنابلة بالرجوع عن كلّ ما أنكره لأئمّة من هذه لعقيدة،

---

(١) ليحفظ هذا، ثم ليحفظه لمعترون. انتهى. مصحّحه

(٢) الزخرف ١٩

(٣) ليعتبر هذا كذلك. انتهى. مصحّحه

والرجوع عن الشبهات الذائعة الشديدة، ولزوم ما أمر الله تعالى به، والتمسك بمسالك أهل الإيمان الحميدة، فإنه من خرج عن أمر الله فقد ضلّ سواء السبيل.

ومثل هذا ليس له إلّا التنكيل، والسجن الطويل مستقرّه ومقيله وبئس المقيل.

وقد رسمنا بأن يُنادى في دمشق المحروسة والبلاد الشامية، وتلك الجهات الدانية والقاصية بالنهي الشديد، والتخويف والتهديد، لمن تبع ابن تيمية في هذا الأمر الذي أوضحناه.

ومن تابعه تركناه في مثل مكانه وأحللناه، ووضعناه من عيون الأمة كما وضعناه، ومن أصرّ على الامتناع، وأبى إلّا الدفاع، أمرنا بعزلهم من مدارسهم ومناصبهم، وأسقطناهم من مراتبهم مع إهانتهم، وأن لا يكون لهم في بلادنا حكم ولا ولاية، ولا شهادة ولا إمامة، بل ولا مرتبة ولا إقامة

فإنّا أزلنا دعوة هذا المبتدع من البلاد، وأبطلنا عقيدته الخبيثة التي أضلّ بها كثيراً من العباد أو كاد، بل كم أضلّ بها من خلق، وعاثوا بها في الأرض الفساد.

ولتثبت المحاضر الشرعية على الحنابلة بالرجوع عن ذلك، وتسيّر المحاضر بعد إثباتها على قضاء المالكية. وقد أعذرنا وحذّرنا، وأنصفنا حيث أنذرنا.

وليُقرأ مرسومنا الشريف على المنابر؛ ليكون أبلغ وعظ وزجر، لكلّ بادٍ وحاضر.

والاعتماد على الخطّ الشريف أعلاه.

وكُتب ثامن[1] عشرين شهر رمضان سنة خمس وسبعمائة[2].

---

(١) كذا بالأصل، والمعنى ظاهر، ولعلّ الأصل في ثامن وعشرين من شهر .. الخ، وكذا ما يأتي بقال فيه ذلك انتهى. مصحّحه

(٢) إنّ في ذلك لعبرة لأولي الأبصار. انتهى مصحّحه

[تاريخ ابن تيمية كما نقله المؤرّخ ابن شاكر]

وأزيد على ذلك ما ذكره صاحب «عيون التواريخ»، وهو ابن شاكر، ويعرف بصلاح الدين الكتبي وبالتريكي. وكان من أتباع ابن تيميّة، وضُرب لضرب للبليغ؛ لكونه قال للمؤذّن في مأذنة العروس وقت السحر: أشركت، حين قال:

ألا يـــارسول الله أنتَ وسيلتي الى الله في غفران ذنبي وزلّتي

وأردو ضرب عنقه، ثمّ حدّدوا إسلامه.

وإنّما أذكر ما قاله لأنه أبلغ في حقّ ابن تيميّة في إقامة الحجّة عليه، مع أنّه أهمل أشياء من خبثه ولؤمه، لما فيها من المبالغة في إهانته قدوته. ولعجب أنّ ابن تيميّة ذكرها، وهو سكت عنها:

كلام ابن تيميّة في الاستواء ووثوب الناس عليه

فمن ذلك ما أخبر به أبو الحسن علي الدمشقي ـ في صحن الجامع الأموي ـ عن أبيه، قال: كنّا جلوساً في مجلس ابن تيمية، فذكر ووعظ وتعرّض لآيات الاستواء، ثمّ قال: (واستوى الله على عرشه كاستوائي هذا).

قال: فوثب الناس عليه وثبة واحدة، وأنزلوه من الكرسي، وبادروا إليه ضرباً باللكم واللعال وغير ذلك؛ حتّى أوصلوه الى بعض الحكّام.

واجتمع في ذلك المجلس العلماء، فشرع يناظرهم، فقالوا: ما الدليل على ما صدر منك؟

فقال: قوله تعالى: ﴿الرحمنُ على العرشِ استوىٰ﴾[1].

فضحكوا منه، وعرفوا أنّه جاهل لا يجري على قواعد العلم.

---

(١) طه ٥

ثمّ نقلوه ليتحققوا أمره. فقالوا: ما تقول في قوله تعالى ﴿فأينما تُولُّوا فثمّ وجه الله﴾؟

فأجاب بأجوبة تحقّقوا أنّه من الجهلة على التحقيق، وأنّه لا يدري ما يقول.

وكان قد غرّه بنفسه ثناء العوامّ عليه، وكذا الحامدون[1] من الفقهاء، لعارون عن العلوم التي بها يجتمع شمل الأدلّة على الوجه المرضي.

وقد رأيت في فتاويه ما يتعلّق بمسألة الاستواء، وقد أطنب فيها، وذكر أموراً كلّها تلبيسات وتحرّيات خارجة عن قواعد أهل الحقّ، ولناظر فيها إذا لم يكن ذا علوم وفطنة وحُسن رويّة، ظنّ أنّها على منوال مرضيّ.

ومن جملة ذلك بعد تقريره وتطويله «إنّ الله معنا حقيقة، وهو فوق العرش حقيقة، كما جمع الله بينهما في قوله تعالى: ﴿هو الذي خلق السمواتِ والأرضَ في ستةِ أيّام ثمّ استوى على العرشِ يعلم ما يَلِجُ في الأرضِ وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصيرٌ﴾، فأخبر أنّه فوق العرشِ يعلم كلّ شيء، وهو معنا أينما كنّا».

هذه عبارته بحروفها.

فتأمّل ـ أرشدك الله تعالى ـ هذا التهافت، وهذه الجرأة بالكذب على الله تعالى أنه ـ سبحانه وتعالى ـ أخبر عن نفسه أنّه فوق العرش، ومحتجاً بلفظ الاستواء الذي هو موضوع بالاشتراك، ومن قبيل المجمل.

وهذا وغيره مما هو كثير في كلامه يتحقّق به جهله وفساد تصوّره وبلادته.

وكان بعضهم يسمّيه: حاطب ليل، وبعضهم يسمّيه: الهذر المهذر.

وكان الإمام العلامة شيخ الاسلام في زمانه أبو الحسن علي بن إسماعيل

---

(١) كذا بالأصل، وليس يخفى أنّ لفظ «الحامدين» حقّه الحامدون، وكذا العارون. انتهى مصححه

لقوبوي يصرّح بأنّه من الجهلة، بحيث لا يعقل ما يقول.

ويخبر أنه أحد مسألة التفرقة[1] عن شيخه، الذي تلقّاها عن أفرخ لسامرة ولليهود لذين أظهرو لتشرّف بالاسلام.

وهو[2] من أعظم لناس عداوة للنبي ﷺ، وقتَلَ عليٌّ رضي الله عنه و حداً منهم. تكلّم في مجلسه كلمة فيها ازدراء بالنبي ﷺ.

وقد وقفت على لمسألة؛ أعني مسألة التفرقة التي أثارها ليهود، ليردروه بها، ومحثو فيها على قو عد مأخوذة من الاشتقاق، وكانوا يقطعون بها لضعفاء من لعلماء. فتصدّى لهم لجهابذة من العلماء، وأفسدو ما قالوه بالنقل و لعقل و لاستعمال لشرعي و لعرفي، وأبادوهم بالضرب بالسياط وضرب لأعناق. ولم يبقَ منهم إلّا لضعفاء في لعلم، ودامت فيهم مسألة التفرقة حتّى تلقّاها بن تيميّة عن شيخه، وكنت أظنّ أنّه بتكرها.

و تفق لحُذّ ق في زمانه من جميع المذاهب على سوء فهمه وكثرة خطئه، وعدم درك للمأخذ لدقيقة وتصوّرها، عرفوا ذلك منه بالمفاوضة في مجالس لعلم.

[تاريخ ابن تيمية الأسود]

ولنرجع لى ما ذكره بن شاكر في تاريخه؛ ذكره في الجزء لعشرين.

قال. وفي سنة خمس وسبعمائة في ثامن رجب، عُقد مجلس بالقصاة و لفقهاء بحضرة نائب لسلطنة بالقصر الأبلق، فسُئل ابن تيميّة عن عقيدته؟ فأملى شيئاً منها.

---

(١) ظاهر أنها لفرقة، وكذا ما يأتي بعد كذلك أو الشعرقة حساء الرسول وسمانه. انتهى مصححه

(٢) ظاهر أنّ اللفظ هم لا هو. انتهى مصححه

ثمّ حُصرت عقيدته الواسطيّة، وقرئت في المجلس، ووقعت بحوث كثيرة، وبقيت موضع حُرّت الى مجلس ثانٍ، ثمّ اجتمعوا يوم الجمعة ثاني عشر رجب.

وحضر المجلس صفي الدين الهندي، وبحثوا، ثمّ تفقوا على أنّ كمال الدين بن الزملكاني يحاقق ابن تيميّة، ورضوا كلّهم بذلك، فأفحم كمالُ الدين ابن تيميّة، وخاف ابن تيميّة على نفسه، فأشهد على نفسه الحاضرين أنّه شافعيّ المذهب، ويعتقد ما يعتقده الإمام الشافعي، فرضوا منه بذلك وانصرفوا.

ثمّ إنّ أصحاب ابن تيميّة أظهروا أنّ الحقّ ظهر مع شيخهم، وأنّ الحقّ معه، فأُحضروا الى مجلس القاضي جلال الدين القزويني، وأحضروا ابن تيميّة وصُفع ورُسم بتعزيره، فشفّع فيه، وكذلك فعل الحنفي باثنين من أصحاب ابن تيميّة.

ثمّ قال: ولمّا كان سلخُ رجب جمعوا القضاة والفقهاء، وعُقد مجلس بالميدان أيضاً، وحضر نائب السلطنة أيضاً، وباحثوا في أمر العقيدة، وسلك معهم المسلك الأوّل.

فلمّا كان بعد أيّام ورد مرسوم السلطان، صحبة بريديّ من الديار المصرية بطلب قاضي القضاة نجم الدين بن صصرى وابن تيميّة، وفي الكتاب: تعرّفونا ما وقع في سنة ثمانٍ وتسعين في عقيدة ابن تيميّة.

فطلبوا الناس وسألوهم عمّا جرى لابن تيميّة في أيّام نُقل عنه فيها كلام قاله، وأحضروا للقاضي جلال الدين القزويني العقيدة التي كانت حُصرت في زمن قاضي القضاة إمام الدين، وتحدّثوا مع ملك الأمراء في أن يكاتب في هذا الأمر، فأجاب، فلمّا كان ثاني يوم وصل مملوك ملك الأمراء على البريد من مصر، وأخبر أنّ الطلب على ابن تيميّة كثير، وأنّ القاضي المالكي قائم في قضيّته قياماً عظيماً، وأخبر بأشياء كثيرة من الحنابلة وقعت في الديار المصرية، وأنّ بعضهم صُفع، فلمّا سمع ملك الأمراء بذلك انحلّت عزائمه عن المكاتبة، وسيّر شمس الدين بن محمّد

لمهمندار الى ابن تيميّة، وقال له:

قد رسم مولانا ملك الأمراء بأن تسافر غداً. وكذلك رح لى قاضي لقضاة. فشرعو في لتجهيز. وسافر صحبة ابن تيميّة أخواه عبد لله وعبد لرحمن. وسافر معهم جماعة من أصحاب ابن تيميّة.

وفي سابع شوّ ل وصل البريدي الى دمشق. وأخبر بوصولهم لى لديار لمصريّة. وأنّه عقد لهم مجلس بقلعة القاهرة بحضرة لقضاة و لفقهاء و لعلماء و لأمرء فتكلّم لشيخ شمس الدين عدنان الشافعي وادّعى على بن تيميّة في أمر لعقيدة. فذكر منها فصولاً.

فشرع بن تيميّة فحمد الله تعالى وأثنى عليه. وتكلّم بما يقتضي لوعظ. فقيل له: ياشيخ بنّ لدي تقوله نحن نعرفه. وما لنا حاجة لى وعظك. وقد أدّعي عليك بدعوى شرعية فأجب.

فأراد بن تيميّة أن يعيد التحميد. فلم يمكّنوه من ذلك. بل قيل له. أجب.

فتوقّف. وكُرِّر عليه لقول مراراً. فلم يزدهم على ذلك شيئاً. وطال لأمر. فعند ذلك حكم لقاضي لمالكي بحبسه وحبس أخويه معه.

فحبسوه في بُرج من أبراج القلعة فتردّد إليه جماعة من لأمرء. فسمع لقاضي بذلك. فاجتمع بالأمرء. وقال: يجب عليه التضييق إذ لم يقتل. وإلّا فقد وجب قتله. وثبت كفره.

فنقلوه لى لحُبّ بقلعة لجبل. ونقلوا أخويه معه بإهانة.

وفي سادس عشر دي القعدة وصل من الديار المصرية قاضي لقضاة نجم لدين بن صصري. وجلس يوم الجمعة في الشباك الكمالي. وحضرو لقرّء و لمشدون. و نشدت لتهاني. وكان وصل معه كتب ولم يعرضها على نائب لسلطنة. فلمّا كان بعد أيّام عرضها عليه. فرسم ملك الأمرء بقرءتها و لعمل بما

فيها أمتثالاً للمراسيم السلطانية.

وكانو قد بيّتو على الحنابلة كلّهم بأن يحضروا الى مقصورة الخطابة بالجامع الأموي بعد الصلاة، وحضر القضاة كلّهم بالمقصورة. وحضر معهم الأمير الكبير ركن الدين بيبرس العلائي، وأحضروا تقليد القضاة نجم الدين بن صصري، الذي حضر معه من مصر باستمراره على قضاء القضاة وقضاء العسكر ونظر الأوقاف وزيادة المعلوم. وقرىء الكتاب الذي وصل على يديه، وفيه ما يتعلّق بمخالفة ابن تيمية عقيدته وإلزام الناس بذلك، خصوصاً الحنابلة، والوعيد الشديد عليهم، والعزل من المناصب، والحبس وأخذ المال والروح، لخروجهم بهذه العقيدة عن الملّة المحمّدية.

ونسخة الكتاب نحو الكتاب المتقدّم، وتولّى قراءته شمس الدين محمّد بن شهاب الدين الموقع، وبلغ عنه الناس ابن صبح المؤذّن، وقُرىء بعد تقليد الشيخ برهان الدين بالخطابة، وأحضروا بعد القراءة الحنابلة مُهانين بين يدي القاضي جمال الدين المالكي بحضور باقي القضاة، واعترفوا أنّهم يعتقدون ما يعتقده محمّد بن إدريس الشافعي ﷺ.

وفي سابع شهر صفر سنة ثمان عشرة، ورد مرسوم السلطان بالمنع من الفتوى في مسألة الطلاق الذي يُفتي بها ابن تيمية.

وأمر بعقد مجلس له بدار السعادة، وحضر القضاة وجماعة من الفقهاء، وحضر ابن تيميّة وسألوه عن فتاويه في مسألة الطلاق، وكونهم نهوه وما انتهى، ولا قبل مرسوم السلطان، ولا حكم الحكام بمنعه، فأنكر.

فحضر خمسة نفر، فذكروا عنه أنّه أفتاهم بعد ذلك، فأنكر وصمّم على الإنكار، فحضر ابن طليش وشهود شهدوا أنّه أفتى لحّاماً اسمه قمر مسلماني في بستان ابن مجا.

فقيل لابن تيمية اكتب بخطك، أنك لا تُفتي بها ولا بغيرها، فكتب بخطّه، أنه لا يُفتي بها وما كتب بغيرها.

فقال القاضي نجم الدين بن صصري: حكمتُ بحبسك و عتقالك.

فقال له حكمك باطل، لأنك عدوّي، فلم يُقبل منه، وأخذوه و عتقلوه في قلعة دمشق.

وفي سنة إحدى وعشرين وسبعمائة يوم عاشوراء، فُرج عن ابن تيمية من حبسه بقلعة دمشق، وكانت مدّة اعتقاله خمسة أشهر ونصفاً.

وفي سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة في السادس عشر في شعبان، قدم بريدي من الديار المصرية، ومعه مرسوم شريف باعتقال ابن تيمية

فاعتقل في قلعة دمشق، وكان السبب في اعتقاله وحبسه أنّه قال: لا تُشدّ الرحال إلّا إلى ثلاثة مساجد، وإنّ زيارة قبور الأنبياء لا تُشد إليها الرحال وغيرها، كقبر إبراهيم الخليل وقبر النبي ﷺ

ثمّ إنّ الشاميّين كتبوا فُتيا أيضاً في ابن تيمية؛ لكونه أوّل من أحدث هذه المسألة، التي لا تصدر إلّا ممن في قلبه ضغينة للسلف الأولين و الآخرين.

فكتب عليها الإمام العلّامة برهان الدين الفراريّ نحو أربعين سطراً بأشياء، وآخر القول أنّه أفتى بتكفيره.

ووافقه على ذلك الشيخ شهاب الدين بن جهبل الشافعي، وكتب تحت خطّه، كذلك المالكي.

وكذلك كتب غيرهم.

ووقع الاتّفاق على تضليله بذلك وتبديعه وزندقته.

ثمّ أراد النائب أن يعقد لهم مجلساً، ويجمع العلماء والقضاة، فرأى أنّ الأمر يتّسع فيه الكلام، ولابدّ من إعلام السلطان بما وقع، فأخذ الفتوى وجعلها في

مطالعه وسيّرها.

فجمع لسلطان لها لقضاة، فلمّا قرئت عليهم أخذها قاضي لقضاة بدر لدين بن جماعة، وكتب عليها. القائل بهذه المقالة ضالّ مبتدع.

وو فقه على ذلك الحنفي والحنبلي، فصار كفره مُجمعاً عليه[1].

ثمّ كُتب كتاب لى دمشق بما يعتمده نائب السلطنة في أمره.

وفي يوم لجمعة عاشر شهر شعبان حضر كتاب السلطان لى نائب لبلد، وأمره أن يُقرأ على لسدّة في يوم الجمعة ففُرىء، وكان قارىء الكتاب بدر لدين بن لأعزري لموقع و لمبلغ ابن النحيبي المؤذّن.

ومضمون لكتاب بعد البسملة: أدام الله تعالى نعمه، ونوضّح لعلمه لكريم ورود مكاتبته لتي جهّزها بسبب ابن تيميّة، فوقفنا عليها، وعلمنا مضمونها في أمر لمذكور وقدمه على لفتوى بعد تكرير المراسيم الشريفة بمنعه؛ حسب ما حكم به لقضاة وأكابر العلماء.

وعقدنا بهذ لسبب مجلساً بين أيدينا الشريفة، ورسمنا بقرءة لفتوى على لقضاة و لعلماء.

فذكروا جميعاً من غير خلف: أنّ الذي أفتى به ابن تيميّة في ذلك خطأ مردود عليه، وحكمو بزجره وطول سجنه ومنعه من الفتوى مطلقاً.

وكتبو خطوطهم بين يدينا على ظاهر الفتوى المجهّزة بنسخة ماكتبه ابن تيميّة.

وقد جهّزنا لى لجناب العالي طيّ هذه المكاتبة، فيقف على حكم ما كتب به لقضاة الأربعة.

ويتقدم عتقال لمذكور في قلعة دمشق، ويُمنع من الفتوى مطلقاً، ويُمنع لناس من لاجتماع به و لتردّد ليه تضييقاً عليه، لجرأته على هذه لفتوى.

---

(١) ليطرهد المعرورون. انتهى مصححه

فيحيط به علمك الكريم، ويكون اعتماده بحسب ما حكم به الأئمة الأربعة، وأفتى به العلماء في لسجن للمذكور وطول سجنه.

فإنّه في كلّ وقت يُحدث للناس شيئاً منكراً، وزندقة يشغل خو طر لناس بها، ويُفسد على لعو مّ عقوهم الصعيفة وعقلياتهم وعقائدهم.

فيمنع من ذلك، وتسدّ الذريعة منه.

فليكن عمله على هد لحكم، ويتقدّم أمره به.

وإذ عتمد لحساب لرفيع العالي هذا الاعتماد الذي رسمنا به في أمر بن تيمية، فيتقدم منع من سلك مسالكه، أو يُفتي بهذه الفتاوى، أو يعمل بها في أمر لطلاق، أو هذه لقضايا لمستحدثة.

وإذ طّلع على أحد عمل بذلك، أو أفتى به، فيعتبر حاله، فإن كان من مشايخ لعلماء، فيعزّر تعزير مثله

وإن كان من لشبّان لذين يقصدون الظهور ـ كما يقصده بن تيميّة ـ فيؤدّبهم ويردعهم ردعاً بليغاً، ويعتمد في أمرهم ما يُحسم به مو دّ أمثاله؛ لتستقيم أحو ل لناس، وتمشي على لسد د، ولا يعود أحد يتجاسر على لإفتاء بما يخالف لإجماع، ويبتدع في دين الله ـ عزّ وجلّ ـ من أنواع الاقتراح ما لم يسبقه أحد إليه.

فالجناب لعالي يعتمد هذه الأمور التي عرّفناه إيّاها لآن وسدّ لدر ئع فيها.

وقد عجّلنا بهذ لكتاب، وبقيّة فصول مكاتبته تصل بعد هذ لكتاب إن شاء الله تعالى.

وكتب في سابع عشرين رجب سنة ستٍّ وعشرين وسبعمائة.

[فتوى الأئمة الأربعة بكفر ابن تيمية]

صورة لفتوى من لمنقول من خطّ القضاة الأربعة بالقاهرة على ظاهر لفتوى.

لحمد لله . هذ لمنقول باطنها جواب عن السؤال عن قوله إنّ زيارة لأنبياء و لصالحين بدعة .

وماذكره من نحوذلك، وأنّه لا يرخّص بالسفر لزيارة لأنبياء باطل مردود عليه.

وقد نقل جماعة من لعلماء : أنّ زيارة النبيّ ﷺ فضيلة وسُنّة مجمع عليها . وهذ لمفتي لمذكور ينبغي أن يُزجر عن مثل هذه الفتاوي لباطلة عند لأئمة و لعلماء . ويُمنع من لفتاوى الغريبة . ويحبس[1] إذا لم يمتنع من ذلك . ويشهر أمره ، ليحتفظ لناس من الاقتداء به .

وكتبه محمّد بن برهيم بن سعد الله بن جماعة الشافعي

وكذلك يقول محمّد بن الجريري الأنصاري الحنفي لكن يُحبس لأن حبزماً مطلقاً.

وكذلك يقول محمّد بن أبي بكر المالكي ويبالغ في زجره حسبما تندفع به لمفسدة وغيرها من المفاسد .

وكذلك يقول أحمد بن عمر المقدسي الحنبلي

ووجدو صورة فتوى أخرى يقطع فيها : بأنّ زيارة قبر لنبيّ ﷺ وقبور لأنبياء معصية بالإجماع مقطوع بها .

وهذه لفتوى هي لتي وقف عليها الحكّام ، وشهد بذلك لقاضي جلال لدين محمّد بن عبد لرحمن لقزويني ، فلمّا رأوا خطّه عليها تحققو فتوه ، فعارو لرسول ﷺ عيرة عظيمة ، وللمسلمين الذين تدبو لى زيارته ، وللزائرين من أقطار لأرض ، و تّفقو على تبديعه وتضليله وزيعه ، وأهانوه ووضعوه في لسجن .

وذكر لشيخ لإمام لعلّامة شمس الدين الذهبي بعض محنته ، وأنّ بعضها كان في سنة خمس وسبعمائة ، وكان سؤالهم عن عقيدته وعمّا ذكر في لواسطيّة ، وطلب

---

(١) ظاهر أنّ لفظ «ويحبس» لا يجلس انتهى مصحّحه

وصوّرت عليه دعوى المالكي، فسجن هو وأخواه بضعة عشر شهراً، ثمّ أُخرج، ثمّ حبس في حبس الحاكم.

وكان ممّا ادُّعي عليه بمصر أن قال: الرحمن استوى على العرش حقيقة، وأنّه تكلّم بحرف وصوت.

ثمّ نودي بدمشق وغيرها من كان على عقيدة ابن تيميّة حلّ ماله ودمه[1].

[حكم ابن حيان على ابن تيمية بالتشبيه]

وذكر أبو حيّان النحوي الأندلسي في تفسيره المسمّى بـ«النهر» في قوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمواتِ والأرضَ﴾ ما صورته: وقد قرأت في كتاب لأحمد بن تيميّة هذا الذي عاصرناه، وهو بخطّه سمّاه «كتاب العرش» إنّ الله يجلس على الكرسيّ، وقد أخلى مكاناً يقعد معه فيه رسول الله ﷺ.

تحيّل عليه لتاج محمّد بن علي بن عبدالحقّ، وكان من تحيّله عليه أنّه أظهر أنّه دعية له حتّى أخذ منه الكتاب، وقرأنا ذلك فيه.

ورأيت في بعض فتاويه: أنّ الكرسي موضع القدمين.

وفي كتابه المسمّى بـ«التدمرية» ما هذا لفظه بحروفه -بعد أن قرّر ما يتعلق بالصفات المتعلّقة بالخالق والمخلوق-: ثمّ من المعلوم أنّ الربّ لمّا وصف نفسه بأنّه حيّ عليم قادر، لم يقل المسلمون: إنّ ظاهر هذا غير مراد؛ لأنّ المفهوم ذلك في حقّه مثل مفهومه في حقّنا.

فكذلك لمّا وصف نفسه: أنّه خلق آدم بيديه، لم يوجب ذلك أنّ ظاهره غير مراد؛ لأنّ مفهوم ذلك في حقه مثل مفهومه في حقّنا.

هذه عبارته بحروفها، وهي صريحة في التشبيه المساوي، كما أنّه جعل الاستواء

---

(١) ليتأمل العاقل هذا، ثمّ ليتأمّله. انتهى مصحّحه

على لعرش مثل قوله تعالى ﴿لتستووا على ظهوره﴾ تعالى الله وتقدّس عن ذلك.

وقال في كلام حديث النزول المشهور. أنّ الله ينزل الى سماء لدنيا لى مَرْحة خضرء. وفي رحليه نعلان من ذهب. هذه عبارته الزائغة الركيكة.

وله من هذ لنوع وأشباهه مغالاة في التشبيه، حريصاً على ظاهرها و عتقادها. وبطال ما نزّه الله تعالى به نفسه في أشرف كتبه. وأمر به عموماً وخصوصاً. وذكره بخباراً عن الملأ الأعلى والكون العُلوي و لسُّفلي. ومن تأمّل لقرآن وحده مشحوناً بذلك.

وهذ لخبيث لا يعرُج على ما فيه التنزيه. وإنّما يتتبع لمتشابه. ويُمعن لكلام فيه. وذلك من أقوى لأدلّة على انّه من أعظم الزائغين

ومن له أدنى بصيرة لا يتوقّف فيما قلنه، إذ القرائن لها عتبار في لكتاب و لسُّنّة. وتفيد لقطع. وتفيد ترتّب الأحكام الشرعية. لا سيّما في محلّ لشُّبه.

قال بعض لسلف رضي الله عنهم - الإعراض عن لحقّ و لتسخّط له علامة لركون لى لباطل. وطريق الحقّ دقيق وبعيد. والصبر معه شديد. و لعدوّ لا يزل عنه يحيد. وأثقال لحقّ لا يحملها إلّا مطايا الحقّ

وقال بعض لسلف: داعي الحقّ داعي رشد. ليس للشيطان فيه يد. ولا للنفس فيه نصيب ودعي الباطل من نزعات الشيطان وهوى لنفس. ومتّبعها هالك لا محالة؛ لأنّه عاصٍ في صورة طائع. ومُبعِد في صورة مُقرّب.

وصدق ونصح ﷺ. فقد هلك بسبب ذلك خلق لا يُحصون عدّاً. ولا يمكن ضبطهم حدّاً.

قال لعلماء: إنّ وسوسة التشبيه من إبليس. فالردّ عليه و بطال وسوسته أن يقول في نفسه كلّ ما تصوّر في صدري فالربّ بخلافه. فإنّه لا يتصوّر في صدري إلّا مخلوق له كيفيّة ومِثل. والربّ ـ سبحانه وتعالى ـ لا مِثل له ولا كيفية. فما مثل في

صدري فهو غير ربي، فهو ـ سبحانه وتعالى ـ موحّد الذات والصفات.

[التوحيد والعدل في كلام الأئمة]

وسُئل علي ﷺ عن التوحيد والعدل، فقال: «التوحيد أن لا تتوهّمه، والعدل أن لا تتّهمه».

وقال يحيى بن معاذ: التوحيد في كلمة واحدة ما تصوّر في الأوهام فهو بخلافه.

وقال علي ﷺ: «ليس لصفته حدّ محدود، ولا نعت موجود».

وقال ﷺ: «أوّل الدين معرفته، وكمالُ معرفته التصديق به، وكمالُ التصديق به توحيده، وكمالُ توحيده الإخلاص له، وكمالُ الإخلاص له نفي الصفات المُحدَثة عنه، فمن وصفه بحادث فقد قرنه، ومن قرنه فقد ثنّاه[1]، ومن ثنّاه فقد جزّأه، ومن جزّأه فقد جهله، ومن أشار إليه فقد حدّه، ومن حدّه فقد عدّه»[2].

قال محقّقون: من عتقد في الله ـ سبحانه وتعالى ـ ما يليق بطبعه فهو مشبّه؛ لأنه ـ سبحانه وتعالى ـ منزّه عمّا يصفه به أو بتخيّله؛ لأنّ ذلك من صفات الحَدَث.

وسُئل ـ أعني عليّاً ﷺ ـ: بمَ عرفت ربّك؟ فقال: «عرفتُه بما عرّف به نفسه؛ لا يُدرك بالحواس، ولا يُقاس بالناس، قريب في بُعده، بعيد في قُربه، فوق كلّ شيء ولا يقال تحته شيء وأمام كلّ شيء، ولا يقال أمامه شيء، وهو في كلّ شيء لا كشيء في شيء، فسبحان من هو هكذا وليس هكذا غيره»[3].

وقال أيضاً ﷺ: «عرّفنا الله ـ سبحانه وتعالى ـ نفسه بلا كيف، وبعث سيّدنا

---

(١) قوله «ثنّاه هي ثناه» انتهى. مصحّحه

(٢) نهج البلاغة، الخطبة الأولى ص٣٩ تحقيق الدكتور صبحي الصالح

(٣) لاحظ هذا النص في كتب الشيعة الإمامية: المحاسن للبرقي ص٢٣٩، والكافي للكليني ٨٥/١، والتوحيد للصدوق ص٢٨٥

محمّداً ﷺ تبليغ القرآن، وبيان المفصّلات للإسلام والإيمان، وإثبات الحجّة وتقويم الناس على منهج الإخلاص، فصدّقته بما جاء به).

وقال الإمام الحافظ محمّد بن علي الترمذي صاحب التصانيف المشهورة: من جهل أوصاف العبوديّة فهو بنعت الربوبيّة أجهل.

قال جعفر [الصادق] في قوله تعالى: ﴿قل هو الله أحدٌ﴾: (هو الذي لم يُعطِ لأحد من معرفته غير الاسم والصفة).

وقيل: هو الذي لا يدرك حقيقة نعوته وصفاته إلّا هو.

وقوله تعالى ﴿الله الصمد﴾ قيل هو الذي أيست العقول من أن تطّلع عليه، أو تُدرك ما وصف به نفسه ونسب إليه.

وقيل: هو السيّد الذي لا نهاية لسؤدده.

وقيل: هو المصمود إليه في الحوائج.

وقيل: هو الذي لا يستغني عنه شيء من الأشياء.

وقال ابن عبّاس رضي الله عنهما: معناه الذي لا جوف له. وقيل غير ذلك.

وقوله ﴿لم يلد ولم يُولد﴾ نفي الجنسية والبعضية.

وقوله ﴿ولم يكنْ له كفواً أحدٌ﴾ نفي الشريك والنظير، فهو الذي لا نظير له في ذاته ولا صفاته ولا أفعاله.

فتعالى أن تُدركه الأوهام والعقول والعلوم، بل هو كما وصف نفسه، والكيفية عن وصفه غير معقولة ولا موهومة، كيف يكون ذلك؟ وهو قديم الذات والصفات، والتحيّل إنّما يكون في المحدثات.

وسئل الإمام العلّامة أبو الحسن الدينوري عن الاستدلال بالشاهد على الغائب، فقال: كيف يستدلّ بصفات من يشاهد ويعاين وذو مثل على من لا يُشاهد ولا يُعاين في الدنيا ولا نظير له ولا مثل؟!

هذا من جهل الجاهلين بالآيات التي قلبوا بها حقائق الأمور، فجعلوا الآيات صفات، ومعنى الآيات العلامات.

وهو كلام إمام محقّق، وقد زلّ خلق كثير بمثل ذلك.

فسبحان الأحدي الذات، العليّ الصفات، المنزّه عن الآلات، المقدّس عن الكيفيات، المنزّه عن مشابهة المخلوقات، تعالى عمّا يقوله من الإلحاقات.

كيف يُقاس القادر بالمقدورات والصانع بالمصنوعات؟! وهي من آياته البيّنات الطاهرات.

رفع السموات، وبسط الأرض وثبتها بالأوتاد الرسيات، وأتحفها بالمُزن الماطرات، فزهت بأنواع النباتات المختلفات، كذلك يحيي الموتى. ﴿اعلموا أنّ الله يُحيي الأرض بعد موتِها قد بيّنّا لكم الآياتِ﴾

قال أرباب البصائر ودوو التحقيقات: ليس كذاته ذات، ولا كاسمه اسم من جهة المعنى، ولا لصفته صفة من جميع الوجوه إلّا من جهة موافقة اللفظ.

وكما لم يجز أن يظهر من مخلوق صفة قديمة، كذلك يستحيل أن يظهر من الذات القديم الذي ليس كمثله شيء صفة حديثة.

وأنّ التكرار من حدوث الصفة، جلّ ربّنا أن يحدث له صفة أو اسم؛ إذ لم يزل بجميع صفاته واحداً ولا يزال كذلك.

وكلّ أمور التوحيد والتفريد خرجت[1] من هذه الكلمة ﴿ليس كمثله شيء﴾.

لأنّه ما عبّر عن الحقيقة بشيء إلّا والعلّة مصحوبة والعبارة مقوصة؛ لأن الحقّ لا يبعث[2] أقدارَه إلّا على إقراره؛ لأنّ كلّ ناعت مشرف على المنعوت.

---

(١) أي ظهرت للمؤمنين وفهموها من هذه الكلمة انتهى مصححه

(٢) قوله «لا يبعث» هو لا يسعف إلى آخره بدليل قوله بعد ذلك «لأن كلّ ناعت» إلى آخره انتهى مصححه

وحلّ ربّنا أن يشرف عليه مخلوق، احتجب عن خلقه بخلقه، ثمّ عرّفهم نفسه بصنعه، وساقهم إلى أمره بأمره، فلا يمكن الأوهام أن تناله، ولا العقول أن تحتاله[١]، ولا لأبصار أن تمثله، ولا الأسماع أن تشتمله[٢]، ولا الأماني أن تمتحه.

هو الذي لا قبل له، ولا مفرّ[٣] عنه ولا معدل، ولا غاية ورائه ولا مثل. ليس له أمد ولا نهاية ولا غاية ولا ميقات ولا انقضاء، ولا يستره حجاب، ولا يقلّه مكان ولا يحويه هواء، ولا يحتاطه[٤] فضاء، ولا يتضمّنه خلاء ﴿ليس كمثلهِ شيء وهو السميعُ البصيرُ﴾.

قال ابن عبّاس رضي الله عنهما: معنى الآية ليس له نظير.

وقيل: الكاف صلة، أعني زائدة، فالمعنى: ليس مثله شيء.

وقيل: المثل صلة، فالمعنى ليس كهو شيء، فأدخل المثل للتأكيد.

فمن الجهل ليبيّن أن يطلب العبد درك ما لا يُدرك، وأن يتصوّر ما لا يُتصوَّر.

كيف؟

وقد نزّه نفسه بنفسه عن أن يدرك بالحوّاس، أو يُتصور بالعقل الحادث والقياس، فلا يدركه العقل الصحيح من جهة التمثيل، ويدركه من جهة الدليل.

فكلّ ما يتوهّمه العقل فهو جسم، وله[٥] نهاية في جسمه وجنسه ونوعه وحركته وسكونه، مع ما يلزمه من الحدود والمساحة، ومن الطول والعرض، وغير ذلك من صفات الحدث، تعالى الله عن ذلك.

---

(١) يريد أن تحتمله. انتهى. مصحّحه

(٢) لعلّها تشمله، أي هو ليس من جنس الأصوات فتسعه الأسماع. انتهى. مصحّحه

(٣) لعلّها مفرّ. انتهى. مصحّحه

(٤) لعلّ الأصل «لا يحيط به» إلى آخره. انتهى. مصحّحه. عاد المصنّف صحيحة لمحيي «احتاط» بمعنى «أحاط»

(٥) قوله: ولا نهاية صوابه: وله نهاية إلى آخره كما هو ظاهر. انتهى. مصحّحه

فهو لكائن قبل لزمان والمكان المحدَثين، وهو لأوّل قبل سوبق لعدم، لأبدي بعد لو حق لقدم، ليس كذاته ذات، ولا كصفاته صفات، جلّت لذت لقديمة لو حبة لوجود ـ لتي لم تُسبق بعدم[1] أن تكون كالصفة لحديثة.

قال تعالى ﴿أو لا يَذكرُ الإنسان أنّا خلقناهُ مِن قبلُ ولم يكُ شيئاً﴾.

فهو ـ سبحانه وتعالى ـ احتجب عن العقول والأفهام كما حتجب عن لإدرك و لأبصار، فعجز لخلق عن الدّرك، والدّرك عن الاستنباط، وانتهى لمخلوق لى مثله، وأسنده لطلب الى شكله.

قال لصدّيق ﷺ «لعجز عن درْك الإدراك إدراك».

وقال ﷺ «سبحان من لم يجعل للخلق سبيلاً الى معرفته إلّا بالعجز عن معرفته».

فهو سبحانه عليم قدير سميع بصير، لا بوصف علمه وقدرته وسمعه وبصره بما يوصف به لمخلوق ولا حقيقته.

كذلك عُلُوه وستوَاؤه، إذ الصفة تتبع الموصوف.

فإذ كانت حقيقة لموصوف ليست من جنس حقائق سائر لموصوفات، فكذلك حقيقة صفاته.

فأجهل لناس وأحمقهم وأجحدهم للحق، مَن يُشبّه من ليس كمثله شيء بالمخلوق لمصنوع في شيء من صفاته وأفعاله وذاته ﴿تعالى الله عمّا يقولونَ علوّاً كبيراً﴾.

لأنّه ـ سبحانه وتعالى ـ وصفاته مصونون عن الظنون لكاذبة و لأوهام لسخيفة.

وقيل في قوله تعالى: ﴿وما قدروا الله حقَّ قدره﴾ أي ما وصفوه حقّ وصفه.

---

(١) قوله «بقدم» هو بعدم، كما هو واضح انتهى مصححه

وقيل: ما عظّموه حقّ عظمته.

وقيل: ما عرفوه حقّ معرفته، وقيل غير ذلك.

قال بعض أهل المعاني والقلوب: لا يعرف قدر الحقّ إلّا الحقّ، وكيف يقدر أحد قدره وقد عجز عن معرفة قدره الوسائط والرسل والأولياء والصدّيقون؟

ثم قال: ومعرفة قدره أن لا تلتفت عنه الى غيره، ولا تغفل عن ذكره، ولا تفتر عن طاعته، إذ ذاك[1] عرفت قدر ظاهر قدره، وأمّا حقيقة قدره فلا يقدر قدرها إلّا هو.

وصدق، لأنّ الخلق تعجز عن تنزيهه بما يستحقّه من كمال صفاته وعظم ذاته.

[في التسبيح]

وقد نزّه سبحانه نفسه بقوله: ﴿سبحان ربّك ربّ العزّة عمّا يصفون﴾، وفي هذه غاية الحثّ على كثرة التنزيه ودوامه، مع أمره لأكمل خلقه في قوله تعالى: ﴿سبّح اسم ربّك الأعلى﴾، مع غير ذلك ممّا في أشرف الكتب ممّا أذكر بعضه.

فقوله: ﴿سبّح اسم ربّك﴾ أي قل: سبحان ربّي الأعلى، والمعنى: نزّه اسم ربّك وذكره وأنت له معظّم.

وقيل: نزّه عن المعاني المفضية الى نقصه.

وقيل: نزّه اسمه عن الكذب إذا أقسمت به.

وقيل: لفظ اسم زائد، وفي الكلام حذف، المعنى: نزّه مسمّى ربّك الذي خلق فسوّى، أي مخلوقه، بأن خلقه مستوياً بلا تفاوت فيه وفي أعضائه، وغير ذلك من مخلوقاته، فإنّ مَنْ هذا من بعض مصنوعاته يستحقّ التنزيه، فكيف بمخلوقات أُخر يعجز الخلق عن إدراكها لعظمها؟! وكلّها على اختلاف أجناسها وأنواعها، كلٌّ

(١) أي لو كنت كما ذكر قد الخ انتهى. مصحّحه

يستحقه بلغته ،وبما يليق بجلاله .

قال تعالى .﴿يسبّحُ لهُ السمواتُ السَّبعُ والأرضُ ومن فيهنَّ وإن من شيء إلّا يسبّحُ بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم﴾.

وقال ﴿والطيرُ صافاتٍ كلٌّ قد عَلِمَ صلاتهُ وتسبيحهُ﴾.

قال مجاهد تسبيح لمخلوقات هو تنزيه خالقها وتوحيده عما يستحقّه ، من كمال صفات عظم ذاته.

قيل يفقه تسبيحهم العلماء الرّبّانيون الذين انفتحت أسماع بصائرهم و لمنوّرون لبصائر لذين يشاهدون كلّ شيء مرقوماً عليه بقلم لقُدرة ، هو لملك لقُدّوس .

وقال مجاهد ، كلّ لأشياء تسبّح حيواناً وجماداً ، وتسبيحها ، سبحان الله وبحمده .

وروى بن لسني : أنّه ﷺ قال ، (ما تستقبل الشمس فيبق شيء من خلق الله تعالى إلّا سبّح لله تعالى وحمده ، إلّا ما كان من الشيطان وأغبياء بني آدم فقيل . ما أغبياء بني آدم؟ فقال . شرار الخلق) .

وقال شهيب [1] بن حوشب : حملة العرش ثمانية . أربعة يقولون . سبحانك للّهم وبحمدك . لك لحمد على حلمك بعد علمك . وأربعة يقولون . سبحانك للّهمّ وبحمدك . لك لحمد على عفوك بعد قدرتك .

[في التقديس]

وقال ﴿هو الله الذي لا إله إلّا هو الملكُ القدّوس﴾ فالملك سم من أسمائه تعالى . وكذ مليك . وهو صفة مبالغة في الملك . قال تعالى ﴿عند مليكٍ مقتدرٍ﴾

(١) معروف هذا الاسم بـ«شهر» . انتهى مصحّحه

فالملك هو المُستغني عن كلّ شيء، ويفتقر إليه كلّ شيء، ونافذ حكمه في مملكته طوعاً أو كرهاً.

وقيل: هو القادر على الإبداع والإنشاء والإعدام، وهذا على الحقيقة لا يكون إلّا لله ـ عزّ وجلّ ـ أبدع المكوّنات العُلويّات والسُّفليّات الجليّات والخفيّات، أبدعها بقدرته ورتّبها على اختلاف أطوارها بحكمته، فكلّ ما برز فهو مقهور الوجود بـ«كُنْ»، وكلّ ما انعدم فهو مقهور العدم بـ «كُنْ».

وهذا يُعلم أنّ إطلاق الملك على ما سواه أمر مجازيّ، إذ المملوك لا يكون مالكاً، لأنّ من هو تحت قهر الأغيار فهو كالعدم.

ولهذا لمّا تحقّق أرباب القلوب أنّ الملك لله ـ عزّ وجلّ ـ تحقّقاً قلبيّاً، سكنت أنفسهم عن وصف الإضافات، وتبرّؤوا من الحول والقوّة حتى بالإشارة، فلا يقول منّي، ولا لي، حتّى قيل لبعضهم: ألك ربّ؟ فقال أنا عبد، وليس لي مملكة، ومن أنا حتّى أقول: لي.

فهذا وأمثاله صانّ نفسه عن رعونة البشريّة وهواها، وفكّ رِبقة رِقّ خيالاتها الباطلة ومُناها، ومحض رقّ العبودية لمولاها.

فترى الملوك الجبابرة مع جبروتهم يخضعون ويتذلّلون له، ولهذا تيجان ليس هذا المقام مقامها، إذ الغرض التنزيه.

والقُدُّوس من أسمائه ـ عزّ وجلّ ـ سمّى نفسه بذلك ليُرشدك إلى تقديسه، كما أشار إلى ذلك بقوله تعالى: ﴿يُسبِّحونَ اللَّيل والنَّهار لا يفترونَ﴾.

وفيه الحثّ على دوام التقديس.

فالقُدُّوس قيل: هو المنزّه عمّا لا يليق به من الأضداد والأنداد.

وقيل: هو المنزّه والمطهّر من النقائص والعيوب.

وهاتان غير مرضيّتين عند المحقّقين.

قال حجّة الإسلام الغوّاص الغزالي: «وهذا في حقّ الباري ـ سبحانه وتعالى ـ يقارب ترك الأدب، كما أنّه ليس من الأدب أن يقال للملك: ليس بحائك ولا محجّام؛ لأنّ نفي الوجود يكاد يوهم إمكان الوجود. وفي ذلك لإيهام نقص.

بل القدّوس: المنزّه عن كلّ وصف يُدركه حِسّ، أو يتصوّره وَهْم، أو يسبق إليه فكر، أو يحس به سرّ، أو يختلج به ضمير، أو يسنح له خفيّ خيال».

وقد أحاد ﷺ

[فائدة جليلة للمنزّه والمشبّه]

وههنا فائدة جليلة للمنزّه والمشبّه وهي أنه ينبغي للعبد أن يجعل له حظّاً وافراً من تكرير هذا الاسم والإمعان في معناه، فإن كان منزّهاً عطف ذلك عليه، وقدّس نفسه وقلبه وبدنه:

أمّا نفسه فيطهّرها من الأوهام المذمومة، كالغضب والحقد والحسد والغشّ وسوء الظنّ والكبر وحبّ الشرف والعُلوّ وحبّ الدنيا ولوازمها وغير ذلك، ويبدلها بالأوصاف المحمودة، فيطهّرها أيضاً عن العاهات والشهوات، وما تدعو إليه من المستحسنات والمألوفات؛ إذ هي أزمّة الشيطان يقود بها إلى ارتكاب الموبقات.

وأمّا القلب فيطهّره بالعقد الصحيح المطابق الجازم، وبالمبادرة إلى امتثال الأوامر واجتناب النواهي والأهواء، وتحقيق الإخلاص نيّة وقولاً وعملاً، وبالرضا بما جرى، فلا يأسف على فائت ولا يفرح بآتٍ، وذلك يرجع إلى ذوق حلاوة الإيمان لقلبي لا لعملي، وعلامته تقديس القلب عن ملاحظة الأكوان، ولا يرى الأغيار إلّا على العدم الأصلي، فلا يتحرّك في ظاهره ولا باطنه حتّى في أنفاسه إلّا بالله عزّ وجلّ.

وأما لبدن فيطهّره بماء الجوع، ويكفّه بـدوام التـقشّف، ويحـنّطه بـالعُزلة، ويطيّبه بدوام لذكر و لفكر، ويدفنه في لحد الخوف، فإذ قدّسه بذلك ذهب مغناه، وبقي معناه.

فإذا جتمعت له هذه لتقديسات ذهبت أوصافه لقوطع و لموانع، ولاح له خزائن أسرار لآيات في معارج تـرداد الآيات، فأثمر له ذلك كشف أسرار لملكوتيات، فيثمر له ذلك الشوق إلى رؤية مطلوبه، فلا شيء أشهى إليه من لموت، لأنّه لا سبيل لى لوصول الى محبوبه إلّا به، فمن أراد أن يجلسه في حضرة لقُدس على منابر لتقديس، فليحر على هذا التأسيس

ومرّ بر هيم بن أدهم ـ قدس الله روحه ـ بسكران مطروح على قارعة لطريق وقد تقيأ، فنظر إليه وقال: بأي لسان أصابته هذه الآفة، وطهّر فمه ومضى

فلمّا أفاق لسكران خبر بما فعله به إبراهيم، فخجل وتاب، وحسنت توبته.

فرأى بر هيم فيما يرى لنائم كأنّ قائلاً يقول غسلت لأجلنا فمه، فلا جرم أنّا طهّرنا لأجلك قلبه.

وأمّا لمشبّه و لمجسّم فلأنّه بتكرار هذا الاسم يتعقّل معناه، فيصير له نـوره، فيكشف له حجاب لضلال، فإذا حقّق المعنى المراد منه ظهر له نوره، فأحـرق حجاب لضلال، فصفا قلبه للحقّ وزاح الباطل.

وقد وقع ذلك لبعض لغُلاة في التشبيه والتجسيم، مرّ يوماً على هذه لآية ﴿هو الله الذي لا إله إلّا هو الملك القُدُّوس﴾، فكرّر هذ لاسم وتعقّل معناه، فـقال، والله أنا لفي ضلال مُبين بيّن.

فبادر في لحال، وأتى بالشهادتين، وقال: والله لا يخلّصني إلّا ستئناف لعمل.

فانظر ـ أرشدك الله تعالى ـ الى بركة تكرير هذا لاسم لعظيم في حـقّ أهـل لتنزيه و لتشبيه، والله أعلم.

[حقيقة التوحيد في الذات والأفعال]

ثمّ تمام التقديس لا يحصل إلّا بالتمكّن بعد كمال التوحيد، وحقيقة التوحيد تكون باعتبار الذات وباعتبار الفعل:

فتوحيد الذات ينفي الحدوث، وثبوت الأحديّة ينفي الأضداد، وثبوت الذات ينفي التشبيه، ويحيّر العقل في بحر الإدراك.

وأما توحيد الأفعال فهو شهود القدرة في المقدور، ثمّ الاستغراق في أنوار العظمة، فيغيب بذلك عن الموجودات، وتبقى القدرة بارزة بأسرار التوحيد، ثمّ الاستغراق في أنوار المحو، فيغيب عن رؤية القدرة بالقادر

ومن مقدوراته ـ جلّ وعلا ـ ما ذكره في قوله تعالى: ﴿يوم يقومُ الرُّوحُ﴾

قال أبو الفرج بن الجوزي: رُوي عن عليّ ﷺ في تفسيرها: (أنّ الروح مَلَكٌ عظيم، له سبعون ألف وجه، في كلّ وجه سبعون ألف لسان، لكلّ لسان سبعون ألف لغة، يسبح الله تعالى بتلك اللغات كلّها، يخلق الله ـ عزّ وجلّ ـ من كلّ تسبيحة مَلَكاً يطير مع الملائكة إلى يوم القيامة)

وقال ابن مسعود ﷺ: «الروح مَلَكٌ عظيم: أعظم من السموات والأرضين والجبال والملائكة، يسبّح كلّ يوم ألف ألف تسبيحة، يخلق الله ـ سبحانه وتعالى ـ من كلّ تسبيحة مَلَكاً يجيء يوم القيامة صفّاً والملائكة بأسرهم يجيئون صفاً».

قال ابن عبّاس ـ وهو الذي ينزل ليلة القدر زعيم الملائكة، وبيده لواء طوله ألف عام، فيعرزه في ظهر الكعبة، ولو أذن الله ـ عزّ وجلّ ـ له أن يلتقم السموات والأرض لفعل.

وقيل: الروح هنا جبريل ﷺ.

وقيل: هو مَلَكٌ ما خلق الله بعد العرش خلقاً أعظم منه، وقيل غير ذلك.

رُوي أنّه ﷺ قال: (رأيت على كلّ ورقة من السدرة مَلَكاً قائماً يسبّح

الله عزّ وجلّ).

ومرده «سدرة المنتهى» سُمّيت بذلك لأنّها لا يتجاوزها أحد من الملائكة وغيرهم. ولا يعلم ما وراءها إلّا الله عزّ وجلّ. وهي شجرة نبق على يمين العرش. عندها جنّة المأوى. يأوي إليها الملائكة عليهم السلام. وقيل: أرواح الشهداء. وقيل: أرواح المتّقين.

[ذو الجلال والإكرام]

وقال الله تعالى: ﴿تبارك اسم ربّك ذي الجلال والإكرام﴾ معنى «تبارك» جلّ وعظم. ومعنى «ذي الجلال» المستحقّ للرفعة وصفات التعالي ونعوت الكمال.

جلّ أن يعرف جلاله غيره، تنزّه وعظُم شأنه عمّا يقول فيه المبطلون؛ لأنّ كلّ شيء يُثني عليه بقدرته. وكلّ ذاكر يذكره على قدر طاقته وطبعه وعلمه وفهمه.

و لحق ـ جلّ جلاله ـ ذكره خارج عن أوهام الآدميّين؛ لأنّ الحادث ناقص بقهر الإيجاد و لفناء. و لعارف[1] دون الغايات الجلالية

فسبحانه ما أثنى عليه حقّ ثنائه غيره. ولا وصفه بما يليق به سواه. عجز الأنبياء و لرسل بأجمعهم عن ذلك. قال أجلّهم قدراً. وأرفعهم محلاً. وأبلغهم نطقاً. مع ما أُعطي من جوامع الكَلِم: (لا أُحصي ثناءً عليك. أنت كما أثنيت على نفسك).

وأمّا[2] «الإكرام» فمعناه: ذو الإنعام والمنّ على العامّ و لخاصّ و لطائع

---

(١) لم يظهر لي في هذه العبارة معنًى فتحرّر. انتهى مصحّحه

(٢) «ذو الإنعام» ليس معنى «الإكرام». بل معنى «ذو الإكرام». فيها لفظ «ذو» ساقط. انتهى مصحّحه. بل ليس هناك سقط في العبارة حيث إنه يفسّر قوله تعالى: ﴿تبارك اسم ربك ذو الجلال والإكرام﴾ والعطف بالواو أغنى عن تكرار لفظ «ذي»

و لعاصي.

ووصف سبحانه وتعالى نفسه بـ«الكريم» في قوله ﴿ما غرَّك بربِّك الكريم﴾.

قال عمر ﷺ «لو قيل لي: ما غرّك بي؟ لقلت: جهلي بك غرّني».

و لكريم هو لذي إذ قدر عفا، وإذا وعد وفى.

وقيل هو لذي إذ أعطى زاد على منتهى الرجاء، ولا يبالي لمن[1] أعطى وكم أعطى ولا يضيع من لاذ به والتجا.

وقيل هو لذي يُغني لسائل عن الوسائل والشفعاء، و ذ رُفعت لحاجة إلى غيره لا يرضى.

وقيل هو لذي إذ أبصر خللاً حيره وما أظهره، ورد أولى فضلاً أجزله ثمّ ستره، وقيل غير ذلك.

فمن تأمّل لقرآن لكريم وجده مشحوناً بالتقديس و لإجلال و لتعظيم، وناطقاً بإضلال أهل لإلحاد و لتجسيم، والحيدة عن لصر ط لمستقيم، وطريقة لسلامة في دلك أنّ من أشكل عليه شيء من المتشابه في لكتاب و لسُّنّة، فليقل كما أخبر سبحانه وتعالى في كتابه المبين عن الراسخين في العلم ومدحهم عليه في قوله تعالى: ﴿والراسخون في العلم يقولون آمنّا به كلٌّ من عند ربِّنا﴾.

ويقول كما قال ﷺ في الحديث: (وما جهلتم منه فكِلوه لى عالمه) خرّجه غير و حد منهم لإمام أحمد و لنسائي وغيرهم[2].

ويقول كما قاله لشافعي: آمنتُ بالله وما جاء عن الله على مر د الله، وآمنتُ برسول الله وما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله ﷺ.

و لرسخ في لعلم هو من طولع على محلّ المراد منه.

---

(١) بعده: بما أعطى إلى آخره. انتهى مصححه عدا المصنف صحيحة

(٢) مسند أحمد، المكثرين رقم ٦٤٥٣ ولاحظ ٦٤١٥. ولم نجده في النسائي المطبوع

وسئل مالك عن الراسخين في العلم ؟

فقال : العالم العامل بما علم المتّبع له .

وقال عمر بن عبد لعزيز . انتهى علم الراسخين بتأويل القرآن لى أن قالو ، ﴿آمنّا به كلٌّ من عند ربّنا﴾.

وقال بعضهم للقرآن تأويل استأثر الله تعالى بعلمه ، لا يطّلع عليه أحد من خلقه . كما ستأثر بعلم لساعة ووقت طلوع الشمس من مغربها ونحو ذلك . و لحلق متعبّدون بالإيمان به . ومتعبّدون بالمحكم بالإيمان به وبالعمل به . وقيل غير ذلك .

[الدعوة إلى اتّباع العقل والنقل]

ثمّ علم أنّه حقّ على للبيب المعتصم بكتاب الله وسُنّة رسول الله ﷺ و لمتمسّك بالعروة لوثق أن يُثبت لله عزّ وجلّ ـما قصى لعقل بجو زه ونصّ لشرع على ثبوته .

فإنّ لمشبِّهة أثبتو لله ما لم يأذن فيه . بل نهى عنه ، وهي زيعة سامريّة ويهوديّة . و لمعطِّلة سلبوه ما اتّصف به وسفّهوه .

ولقد أحسن أبو لحسن الأشعري في جوابه عن لتوحيد ؟ حيث قال . إثبات د ت غير مشبِّهة بالذوات . ولا معطِّلة عن الصفات .

شعر :

أللهُ أكبرُ أن يكون لذاتِهِ	كيفيّةٌ كذواتِ مخلوقاتِهِ
أوْ أنْ تُقاسَ صفاتُنا في كلّ ما	نأتيهِ من أفعالِنا بصفاتِهِ
أبداً عقولُ ذوي العقولِ بأمرها	متحيِّراتٌ في دوام حياتِهِ
لَبديعُ صَنعتِهِ عليه شواهدٌ	تبدو على صفحاتِ مصنوعاتِهِ

فكلّ ما ترى عينك الباصرة فهو دلائل ظاهرة على [١] أنّ لعالم مخلوق بتقدير شامل، وتدبير كامل، وحكمة بالغة غير متناهية.

ولو جمعت عقول العقلاء عقلاً واحداً، ثمّ تفكّرو يدلك العقل في جناح بعوضة؛ حتّى يجدو تركيباً أحسن منه وأكمل، لَفنيتْ تلك العقول، و تقطعت تلك الأفكار، ولم تصل إلى درك ذرّة من ذرّات حكمته في تلك البعوضة على سبيل الكمال و التمام.

فما الظنّ بذي الجلال؟! تباً ثمّ تباً لأهل الضلال و الجهل، وما يعتقدوه من النقص، مع تنزيه البحار وشوامخ الجبال.

فسبحان من تسبّحه لبحار الصوافح والجبال الشُمّ و لسُّحب السوانح، و لأمطار الطوامح، و لأفكار والقرائح. تقدّس عن مثل وشبيه، وتنزّه عن نقص يعتريه.

يعلم خائنة الأعين وما تُخفي الصدور من سرّ أضمرته الجوانح، تعالى عن نِدّ لماثل و لضدّ لكادح.

يفعل مايشاء، ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن.

هلك الجاهل والمكافح.

متكلّم بكلام [٢] مسموع بالآذان[٣] بغير آلات ولا أدوات ولا جوارح، و بين الهوات الحصى وحلقوم الجذع وجارحتها؟!

فما أجهلك بقوله تعالى: ﴿فلمّا جاءتهُمْ اياتُنا مُبصرةً﴾ نسب الإبصار إلى الآيات.

---

(١) هنا سقط «أنّ» محذوف كما هو ظاهر انتهى مصحّحه

(٢) المراد بهذا الكلام هو القرآن، لأنّه الذي يُسمع أنتهى مصحّحه

(٣) قوله «بغير الآت» متعلّق بمتكلم، فافهم انتهى مصحّحه

فأين الحذق يا قالح؟!

ومن آياته إنزال القطر بقدرته، وصبغ ألوان النبات والثمار بحكمته، مع مخالفة الطُّعوم بمشيئته، وإرسال الرياح لواقح.

موصوف بالسمع والبصر، يرى في الدُّجُنّة كما يرى في القمر، من شبّهه أو كيّفه طغى وكفر، هذا مذهب أهل الحقّ والسُّنّة، وإنّ دليلهم لجليّ واضح.

من شبّهه أو مثّل أو جسّم فهو مع السامرة واليهود ومن حزبهم، يوم تظهر المخبّآت، وتُبلى السرائر، وتبين الفضائح.

وإن قيل عنه في الدنيا: إنّه وليّ صالح، هلك الهالكون بآرائهم؛ لأنّه عمل غير صالح، وفاز المنزّهون فيالها صفقةً رابحة.

هو الواحد المتوحّد في صفاته الأزلي الجبّار، العظيم العزيز القهّار، تبارك وتعالى وتنزّه عن درْك الخواطر والأفكار، وسم كلّ مخلوق بميسم الافتقار، وأظهر آثار قدرته في مخلوقاته: ومن أظهرها السموات والأرض والبرّ والبحار، والأعين والأنهار، وجريانها على المدرار، وتصريف السحاب المسخّر بين السماء والأرض، واختلاف الليل والنهار. إنّ في ذلك لعبرة لأولي الأبصار.

يعلم حركات الأسرار، ودبيب النملة السوداء في الظلمة على سود الصخور والأحجار:

نوّع هذا العالم الإنساني، فمنهم شقيّ، ومنهم سعيد. ﴿وربُّك يخلق ما يشاءُ ويختارُ﴾.

وصفاته كذاته، والمشبّهة والمجسّمة أهل زيغ وكفّار، نزّه نفسه بنفسه وقدّسها، فمن شبّهه أو عطّل فمأواه النار، ومن أناب ورجع قبِلَهُ وإن ارتكب العظائم الكبار، لأنّه سبحانه وتعالى عزيز غفّار ستّار.

ومن بديع صنعته أن خلق اليوم وليلته، وقمر السماء وشمسه، وآدم عليه السلام وما

مسَّه، علم ذلك لمنزِّه فنزّه قُدسَه، وجهله أعمى البصيرة لمشبِّه، فتصوّر فيه حسبه، لأنّه بجهله قاس الخالق ـ جلّ وعلا ـ على ما ألفهُ وأحسّه، فتراكم عليه غبار لتشبيه فضاعت المحسّة.

وأمّا لمعطّل فجحد صفاته، فما أعياه وما أخسّه، وإذ كان الأمر كذلك فادفع لمعطّل بيديك لنقيّة، وألحق بالمشبّه دفعةً ورفسة.

مبحث الردّ على ابن تيميّة في قوله بفناء النار

واعلم، أنّه تُنقد عليه: زعمه: أنّ النار تفنى، وأنّ الله تعالى يُفنيها، وأنّه جعل لها أمداً تنتهي إليه وتفنى، ويزول عذابها

وهو مُطالب أين قال الله عزّ وجلّ؟ وأين قال رسول الله ﷺ وصحّ عنه؟

وقد سفّه الله تعالى ذكره في كتابه العزيز، كما سفّهه في تنزيهه لنفسه

وأتى بأمور قناعية [1]، صادم بها النصوص الصريحة في دوام لعذاب عليهم:

في ذلك قوله تعالى: ﴿إنّ الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم ناراً كُلّما نضجت جلودهم بدّلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب﴾

تُبدَّل في كلّ ساعة مائة مرة.

وقال الحسن، تأكلهم النار كلّ يوم سبعين ألف مرّة

﴿إنّ الله كان عزيزاً﴾: أي شديد النقمة على من عصاه.

وقيل: العزيز الشديد القادر القوي.

وقيل، الغالب الذي لا يُغلب، والقاهر الذي لا نظير له.

وقيل: معناه المُعِز، فيكون فعيل بمعنى مُفعِل كالأليم بمعنى المؤلم ونحوه.

---

(١) أي للعقائد لتلك الدين لم يخالفوا المؤمنين، أن من عرف دين الله علماً أو مخالفه، فمعتقد الله أن يفتح بغير كلام ربّه، فليعلم انتهى مصححه

وقال أهل المعاني وأرباب القلوب: العزيز من ضلّت العقول في بحار تعظيمه، وحارت الألباب دون إدراك نعته، وكلّت الألسن عن استيفاء مدح جلاله ووصف كماله، ولقيام بشكر آلائه.

وقوله ﴿حكيماً﴾ أي حكم على الأعداء بدوام العذاب، كما حكم للأولياء بدوام النعيم. فلا يعلم كنه حقيقة حكمته غيره، فلا شيء من الأشياء إلّا وفيه من حكمته على وفقه لمناسبته.

﴿صُنعَ الله الذي أتقن كلَّ شيءٍ﴾.

وقال تعالى ﴿فالذين كفروا قُطِّعت لهم ثيابٌ من نارٍ يُصبُّ من فوقِ رؤوسِهمُ الحميمُ يُصهر به ما في بطونهم والجلودُ ولهم مقامعُ من حديد كلّما أرادوا أن يخرجوا منها من غمٍّ أُعيدوا فيها وذُوقوا عذاب الحريقِ﴾

وقال ﴿فلن نزيدَكُم إلّا عذاباً﴾

وقال تعالى ﴿كُلّما خبت زدناهُم سعيراً﴾.

وقال تعالى ﴿يريدون أن يَخرجوا من النّارِ وما هم بخارجين منها ولهم عذابٌ مُقيمٌ﴾.

وقال تعالى﴿ إنّ عذابها كان غراماً﴾؛ أي مقيماً ملازماً، فكلّ عذاب يُفارق صاحبه فليس بغرام. والآيات في ذلك كثيرة جدّاً.

وأمّا السُّنّة فطافحة بذلك، وتدلّ على إخراج المؤمنين دون غيرهم؛ حتّى يخرج مَن في قلبه مثقال ذرّة من الإيمان، وفي رواية، مثقال ذرّة من خير، فأقول، يارب ما بقي في النار إلّا من حبسه القرآن؛ أي وجب عليه الخلود.

قال الله تعالى ﴿لهم فيها دارُ الخلدِ﴾ الى غير ذلك.

ولأنّ العذاب يدوم بدوام سببه بلا شكّ ولا ريب، وهو قصد الكفر وبقاء العزم عليه، ولا شكّ أنّهم لو عاشوا أبد الآباد لاستمرّوا على كفرهم.

وكذلك لمؤمن يستحقّ الخلود.

وهذ معنى قوله ﷺ (نيّة المؤمن خير من عمله)، وفي معناه أقوال أُخر.

فادّعاء فناء النار بعد أمد نزعة يهودية.

ألا ترى لى قوله تعالى: ﴿وقالوا لن تَمسَّنا النارُ إلّا أيّاماً معدودةً﴾ لآية، أي قدراً مقدوراً، ثمّ يذهب عنّا العذاب.

وكانت ليهود تقول: إنّ هذه الدنيا سبعة آلاف سنة، وإنّما نُعذَّب بكلّ ألف سنة يوماً. ينقطع لعذ ب بعد سبعة أيام، وقيل: أربعين يوماً لذي عبد آباؤنا لعجل فيها.

وكانت تقول: إنّ ربّنا عتب علينا في أمر، فأقسم ليُعذِّبنّا أربعين يوماً. فلن تمسّنا لنار إلّا تحلة لقسم أربعين يوماً. فالرجل ساعٍ خلف سلفه، كما تقدّم وكما يأتي.

مبحث الردّ عليه في القول بقدم العالم

ومّما نُنقد عليه ـ وهو من أقبح القبائح، ما ذكره في مصنّفه لمسمّى بـ «حو دث لا أوّل لها»، وهذه التسمية من أقوى الأدلة على جهله، فإنّ لحادث مسبوق بالعدم[1] و لأوّل ليس كذلك.

وبنى أمره فيه على سم من أسماء الأفعال، ونفى المجاز في لقرآن، وهو من لجهل أيضاً. فإنّ لقرآن مُعجز ومحشوّ بالمجازات والاستعارات؛ حتّى أنّ أوّل حرف فيه أحد أنواع المجاز.

وتضمّن هذ لمصنّف مع صِغره شيئين عظيمين.

تكذيب الله ـ عزّ وجلّ ـ في قوله: ﴿هو الأوّل﴾ فجعل معه قديماً.

---

(١) يعنّه ولذي لا أوّل له ليس كذلك. انتهى مصحّحه

وتكذيب لنبي ﷺ في قوله (كان الله ولا شيء معه).

وفي لبخاري من رو ية عمران بن حصين ﷺ (كان الله ولم يكن شيء قبله).

وليس ور ء ذلك [إلّا] ريغ وكفر. فإنّ الدين ما قاله عزّوجلّ وقاله رسوله ﷺ.

وقد قال ﴿هو الأوّل والآخر والظّاهر والباطن وهو بكلّ شيء عليمٌ﴾ هو لأوّل قبل كلّ شيء بلا بتدء، كان ولم يكن شيء موجوداً، و لآخر بعد فناء كلّ شيء بلا نتهاء ويبقى هو.

و لظاهر هو لغالب على كلّ شيء.

و لباطن هو لعالم بكلّ شيء. هذا معنى قول ابن عبّاس رضي الله عنهما.

و لأقو ل في دلك كثيرة. ومنها قول أبي القاسم لجنيد بني لقدم عن كلّ أوّل بأوّليّته، ونفي لبقاء عن كلّ آخر بآخريّته، واضطرّ الخلق لى لإقر ر بربوبيته لظاهريته، وحجب لإدرك عن إدراكه كنهه وكيفيه بباطنيّته

وقال أيضاً: هو لأوّل بشرح القلوب، والآخر بمحقق لذنوب، و لظاهر بكشف لكروب، و لباطن بعلم الغيوب.

وقال لسيّد لجليل محمد بن الفضل: الأوّل ببرّه، و لآخر بعفوه، و لظاهر بإحسانه، و لباطن بستره.

ومن حقّ لعبد أن يجعل له حظّاً من هذا الخطاب، فيزيّن ظاهره بأنوع لخدمة، ويزّين باطنه بأنوار الهيبة، ويحقّق جميع أفعاله وحركاته وسكناته وسائر طاعاته وقُرباته بالصدق والإخلاص؛ لقوله عزّ وجلّ: ﴿والله بكلّ شيء عليمٌ﴾.

وسأل عمر ﷺ كعب الأحبار عن معنى هذه الآية، فقال: إنّ علمه بالأوّل كعلمه بالآخر، وعلمه بالظاهر كعلمه بالباطن.

[تكذيب ابن تيميّة للنبوّة وتوهينه لمقام النبيّ ﷺ]

ومما يُنقد عليه: تكذيبه النبيَّ ﷺ فيما أخبر به عن سوْته من حديث أبي هريرة ﷺ.

قالوا: يا رسول الله متى وجبت لك النبوّة؟ قال ﷺ: (وآدم بين الروح والجسد)، وفي رواية: (وإنّ آدم لمُنجدل في طينته).

وتكلّم بكلام لبَسَ فيه على العوامّ وغيرهم من سيّئي الأفهام، يقصد بذلك الازدراء برسول الله ﷺ والحطّ من قدره ورتبته.

وما فيه رفعه يسكت عنه، يفهم ذلك منه كلّ عالم ممتلأ قلبه بعظمته ﷺ وتوقيره، ومما خصّه الله تعالى من مزايا المواهب الإلهية التي لم ينلها غيره.

وهذا الخبيث حريص على حطّ رتبته والغضّ منه؛ تارة يقع ذلك منه قريباً من التصريح، وتارة بالإشارة القريبة، وتارة بالإشارات البعيدة التي لا يدركها إلّا أهلها:

فمن ذلك وقد سُئل -على مازعم- أيُّما أفضل مكّة أو المدينة؟

فأجاب: مكة أفضل بالإجماع. وكتبه أحمد بن تيميّة الحنبلي، وعليها خطّه، وأنا أعرف خطّه.

وفي هذا الجواب دسائس وفجور ورمز بعيد.

فمن الفجور نسبته نفسه الى الإمام أحمد، والإمام أحمد وأتباعه برآء منه ومما هم[1] عليه.

وهو لا يلتفت إليه إلّا إذا كان له في ذكره غرض، أمّا إذ لم يكن فلا يلوي على قوله، ويسفّهه حتّى فيما ينقله، ويكفّره فيما يعتقده إذ كان على خلاف هواه.

---

(١) اهـ: هو انتهى مصحّحه

[تجاسر ابن تيمية على الإمام أحمد]

ومن موضع تسفيهه الإمام أحمد مسألة الطلاق، فإنّ الإمام أحمد قال «لذي أخبرنا بأنّ الطلاق واحدة أخبرنا بأنّ الطلاق ثلاث»، وعلى ذلك جرى الأئمة من جميع المذاهب.

فإذا كان الإمام أحمد غير ثقة فيمن يوثق؟

وقال ـ أعني ابن تيميّة ـ في الجواب عن المسألة المبسوطة: «والإمام أحمد أعلم الناس في زمانه بالسُّنّة»، وبالغ في الثناء عليه.

فيالله العجب من هذا الأعمى البصيرة الذي لا يحسّ بتناقض كلامه. كيف يجعل الإمام أحمد فيما له فيه غرض أعلم الناس بالسُّنّة، ويسفّهه فيما لا غرض له فيه.

وهذا ونحوه ـ ممّا يأتي في غير الإمام أحمد من أئمة الحديث ـ يعرّفك ما في قلبه من الخبث وعمى البصيرة، وأنّه لا عليه فيما يقوله.

[ادعاء ابن تيمية للاجماع في موارد الخلاف]

ومن محوره ادّعاء الإجماع على ما يقوله ويُفتي به كهذه الفتوى مع شهرة الخلاف في المسألة؛ حتّى أنّه مشهور في أشهر الكتب المتداولة بين الناس، وهو «الشفاء» فإنّه ذكر الخلاف بين مكّة والمدينة؛ وأنّ مالكاً وأكثر أهل المدينة قائلون بأنّ المدينة أفضل من مكّة، وقال أهل مكة والكوفة: مكّة أفضل.

ومحلّ الخلاف في غير الموضع الذي ضمّ سيّد الأوّلين والآخرين ﷺ، وأمّا هو فالإجماع منعقد على أنّه أفضل من مكّة وسائر البقاع.

وممّن حكى الإجماع القاضي عياض في «الشفاء»، بعد أن حكى الخلاف في

لتفصيل بين مكّة والمدينة، فقال «ولا خلاف في أنّ موضع قبره أفضل بقاع الأرض».

وكذا ذكره الإمام هبة الله في كتابه (توثيق عرى الإيمان).

وذكر الإمام أبو زكريا يحيى النووي في شرح مسلم ذلك فقال القاضي عياض أجمعوا على أن موضع قبره أفضل بقاع الأرض وأقره على ذلك.

فسكوت الخبيث عن مثل ذلك دليل على خبث في باطنه في حقّ سيّد الأوّلين والآخرين ﷺ.

وفي هذه الفتوى رمز الى عدم الاعتداد بقول عمر ﷺ، فإنّه ﷺ من القائلين بأنّ المدينة أفضل من مكّة.

ويدلّ على ما قلته من الرمز[1] الى تخطئته في الطلاق وعدم الاعتداد بذلك، كما رمز الى تكفير الصدّيق ﷺ في قوله في بعض تصانيفه «من قال الله ورسوله في أمر يلحقه، فإنّه يكون مشركاً». فإنّ الصدّيق ﷺ لمّا قال لنبيّ ﷺ: (ما أبقيت لأهلك؟) قال: أبقيت لهم الله ورسوله.

ويؤيّد ما قلته ما هو مشهور في كتبه وعند أتباعه، «لا ينبغي أن يُنسب الى غير الله تعالى ضرّ ولا نفع، ولا أنّه يُغني».

وهذا من الدسائس أيضاً فإنه يلبس به على كثير من الناس، لا سيّما الضعفاء في العلم وأصحاب الأذهان الجامدة، فهي كلمة حقّ أُريد بها باطل.

وقد قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿وما نقموا إلّا أن أغناهم الله ورسولُه من فضلِه﴾.

وقال تعالى: ﴿وقالوا حسبُنا الله سيُؤتينا الله من فضله ورسولُه﴾ وغير ذلك.

---

(١) هذا لفظ «الرمز» محذوف. انتهى مصحّحه

فهذا نصّ القرآن العظيم على مثل هذا القول في الدين يقولون إنّه شرك.

ففي قولهم قدح في القرآن، وفي رسول الله ﷺ لإقراره الصديق ﷺ على هذا القول الذي هو شرك[1].

وهذا منهم كفر بيقين؛ لأنّه واجب وحتم لازم على كلّ أحد بأن يؤمن بالقرآن، وبما جاء به سيّد الأوّلين والآخرين ﷺ عن ربّ العالمين من غير شكّ ولا ارتياب.

قال الله تعالى: ﴿ومن لم يؤمن بالله ورسوله فإنّا أعتدنا للكافرين سعيراً﴾.

وقال تعالى: ﴿وأطيعوا الله واطيعوا الرسول﴾.

وقال: ﴿وآمنوا بالله ورسوله﴾ جمع بينهما بواو العطف للشركة، ولا يجوز هذا في حقّ غيره ﷺ.

ولما خطب ﷺ أمّ سلمة رضي الله عنها فاعتذرت إليه بأعذار منها: وأنا موتم مرملة في أربعة من الولد، فقال لها من جملة قوله: وأما ولدك فهم ولد أخي أبي سلمة وهم على الله وعلى رسوله، وقال: ﴿إنّما وليُّكم اللهُ ورسُولُهُ﴾.

[ابن تيميّة رافضي ويقول بالتناسخ]

واعلم أنّ ما ذكرته من الرمز إلى الصدّيق والفاروق رضي الله عنهما، وأنّ فيه إشعاراً بأنّه رافضيّ هو كذلك، وفي الردّ على الرافضي أنّه رافضيّ، وهذا نبّه عليه الشيخ زين الدين القرشي والشيخ زين الدين بن رجب الحنبلي.

نعم وقفت على مصنّف لطيف له ولم يتمّ، وفيه ما يدلّ على ما قالاه.

---

(١) يعني في زعمهم انتهى مصححه

وفي هذا الكتاب رمز إلى أنه من القائلين بتناسخ الأرواح[1]، وبعض أتباعه لدين هم رسل في التعية يقع منه[2] ما يدلّ على ذلك، والله أعلم.

[تجويز ابن تيمية للمكْس]

ومن الأمور الخبيثة التي وقفت عليها في فتاويه ما فيه: أنّ بعض المكّاسين مثاب في وظيفة المَكْس، بل أبلغ من ذلك.

وأقبض عنان الكلام فيه لما أخشى ممّا يترتّب على التصريح من أهل المكس وتجرُّئهم عليه، وقرر ما قاله بتقرير مقبول في شق، وأهمل الآخر.

فلمّا وقفتُ على ذلك قبَّ بدني، وهجت على الكلام في ذلك.

وكان شخص من الحنابلة يدّعى بعلاء الدين بن اللحّام البعلبكي، وكان عندهم عظيماً وصنّف في مذهب الإمام، فأتيته وهو في حلقة في الجامع الأموي وهم يقرؤون عليه في بعض مصنّفاته، فسألته عن شيء يتعلّق بمسألة تقرأ عليه في كتابه فما أجاب، ثم أخرى فما أجاب ثمّ قلت: ما هذه المسألة التي ذكرها الشيخ

---

(١) لقول بتناسخ الأرواح كفر؛ لأنه عبارة عن عتقاد أنّ الأرواح من المخلوقين تتّصل بغيرهم، فقد يكون روح الجواهر الذي مات اليوم، روح أكبر عالم مرشد زاهد ورع بعد ذلك والعكس، وقد تتّصل روح الحرير الذي مات بمحمد الذي ولد بعد ذلك وبعكس، وقد تتّصل بعد ذلك بكلب، ثم تتّصل بحمار، ثمّ تتّصل بقرد، وهكذا إلى غير نهاية، وهذا يقتضي أن لا بعث ولا جزاء، فإنّ الروح لا تقف عند حد معلوم يجازى عنه، بل قد تكون بحال يقتضي العذاب، ويصير بحال يقتضي النعيم، ثمّ بحال لا يقتضي عذاباً ولا نعيماً وهكذا، وهذا عين ما نطق به الشرع الإلهية كلّها، فهو مصادم للأنبياء ولما جاء به الأنبياء، وكيف لا يكون ما هذا حاله كافراً؟ وهذا المذهب لا دليل عليه من العقل، مع كونه مخالفاً مع الشرع كما ذكرت، وبينت أنّ الأرواح ليست من عالم المحسوسات حتى نراها ونحكم عليها، وهي لم تخبرنا عن نفسها بشيء، فالجهالة بها مطبقة. انتهى مصحّحه

(٢) أي من ذلك البعض. انتهى مصحّحه

تقيّ لدين بن تيميّة في المكس؟

فقال وشرع يقرّر ما قرّره ابن تيميّة، فأخذت الشقّ لآخر وقرّرته، فسكت ولم يحد جو باً.

فقلت: يلزم أحد شيئين: إمّا بطلان ما قاله، أو تكفيره، فقال: هذه لمسألة ما هي في فتاويه وأنا أختصرتها.

فهذه قاعدة من قو عدهم يبحثون مع الخصم، فإن ظفرو به فلا كلام، وإن ظفر بهم قالو هذه ما هي في كلامه، فهم خَلَفُ إمامهم في لمكر و لخديعة و لكذب، ﴿وقد خابَ من آفترى﴾ والله أعلم.

[قول ابن تيميّة بالتفرقة في احترام النبي ﷺ بين حياته وموته وتكفيره الصحابة والتابعين والأئمة الأربعة]

ومن لأمور لمنتقدة عليه ـ وهو من أقبح القبائح وشرّ لأقو ل وأخبثها ـ: مسألة لتفرقة لتي أحدثها علاة المنافقين من اليهود، وعصو أمر لنبيّ ﷺ، و ستمر عليها أتباعهم لذين يُظهرون الإسلام، وقلوبهم منطوية على بغض لنبيّ ﷺ، ولم يقدرو أن يتوصّلوا الى العضّ منه إلّا بذلك.

وقد ذكر لمسألة لأئمة الأعلام وأذكر بعض كلامهم فيها، ثمّ أعود لى تتميمه؛ مستدلاً بأمور سمعيّة وغيرها تفيد جلالته وعظامته، وحياته في قبره ﷺ، وبقاء حرمته على ما كان عليه في حياته.

ويقطع لو قف عليها ـ أو على بعضها ـ بأنّ القائلين بالتفرقة من متعالي أهل لزيغ و لزندقة.

وأنّ بن تيميّة لذي كان يوصف بأنّه بحر في العلم، لا يستغرب فيه ما قاله بعض لأئمة عنه: من أنّه زنديق مطلق.

وسبب قوله ذلك أنّه تتبّع كلامه فلم يقف له على اعتقاد، حتّى أنّه في موضع عديدة يكفّر فرقة ويضلّلها، وفي آخر يعتقد ما قالته أو بعضه.

مع أنّ كتبه مشحونة بالتشبيه والتجسيم، والإشارة إلى الازدراء بالنبيﷺ ولشيخين، وتكفير عبد الله بن عبّاس ﷺ، وأنّه من الملحدين، وجعل عبد الله بن عمر رضي الله عنهما من المجرمين، وأنّه ضالّ مبتدع، ذكر ذلك في كتاب له سمّاه (الصراط المستقيم) والردّ على أهل الجحيم.

وقد وقفت في كلامه على المواضع التي كفّر فيها الأئمة الأربعة[1]، وكان بعض أتباعه يقول: إنّه أخرج ربع الأئمة الأربعة يريد بذلك إصلاح هذه الأمّة؛ لأنّها تابعة لهذه الأئمة في جميع الأقطار والأمصار، وليس وراء ذلك زندقة.

[أقوال الأئمة في التوسل بالنبيﷺ]

ولنرجع إلى قول بعض الأئمة:

فمنهم: الإمام العلّامة شيخ شيوخ وقته أبو الحسن علي القونوي، قال بعد ذكره أشياء لا أطوّل بذكرها، وفيها دلالة على أنّ التوسّل بالنبيﷺ في الحاجات بعد وفاته كالتوسّل به في حال حياته.

ثمّ قال: وهذا وأمثاله يرد على هؤلاء المبتدعة الذين يبدعون في زماننا، ويمنعون التوسّل برسول الله ﷺ. وقد جمع بعضهم كلاماً يتضمّن سنّي عمله ﷺ بعد الوفاة.

ونقل طائفة منهم التفرقة بين حياته وحال وفاته، فقال: والتفريق بين الحياة

---

(١) أحبّ أن لا يستغرب القارئ شيئاً يراه موكولاً إلى هذا الرجل، بعد تصريح العلماء عنه أنّه يستخفّ برسول الله ﷺ ويزدريه، ويصغّر من شأنه، فإنّ الذي يجترئ على أسمى مقام في الوجود لا يتهيّب ما دونه، فتعلم. انتهى مصحّحه

و لوفاة كان ثابتاً عند لصحابة . فلهذا استسق أمير المؤمنين عمر بالعبّاس . ولولا هذ لتفريق لو ضح عندهم لما عدل عمر ـ مع جلالته وكونه خليفة رشداً . وكان يشاور أيضاً ـ عن قبر رسول الله إلى غيره .

ثمّ قال هذ لفظ لمبتدع الجاهل الذي قامت البيّنة عليه بأشياء من هذ لقبيل . وعُزِّر على ذلك لتعزير البالغ بالضرب المبرّح و لحبس وغير دلك . في شهور سنة خمس وعشرين وسبعمائة بالقاهرة .

وهذ لكلام من لتفرقة بين الحالين . والاستناد فيه لى ستسقاء عمر بالعباس . ليس له . وإنّما هو لشيخه . فإنّه لمّا أظهر لقول بنفي لتوسل برسول الله ﷺ . أورد عليه حديث الاستقاء . ففزع إلى لتفرقة لمذكورة . ولا مُتشبَّث في لحديث لمذكور . فإنّ عمر ﷺ إنّما قصد أن يقدّم لعبّاس . ويباشر لدعاء بنفسه . وهذ لا يُتصور حصوله من غير الحيّ ؛ أي الحياة لدنيوية .

وأمّا لتوسّل برسول الله ﷺ فلا نسلّم أنّ عمر ﷺ تركه بعد موته . وتقديم لعبّاس ليدعو للناس لا ينفي جواز التوسّل به مع ذلك

ثمّ قال وهذ لقول لشنيع والرأي السخيف الذى أخذ به هؤلاء لمبتدعة من لتحاقه ﷺ بالعدم ـ حاشاه من دلك ـ بلزمه أن يقال . أنّه ليس رسول الله ﷺ ليومَ . وهو قول بعض الضُّلال .

[فرقة ابن تيمية مبتدعة]

قال أبو محمّد بن حزم في كتابه «الملل والنحل» حدثت فرقة مبتدعة ترعم . أنّ محمد بن عبد الله بن عبدالمطلب بن هاشم ﷺ . ليس هو ليومَ رسول الله . لكن كان رسولاً .

ثمّ قال «وهذه مقالة خبيثة مخالفة لله ـ عزّ وجلّ ـ ولرسوله ﷺ . ولما عليه

أهل الإسلام منذ كان أهل الإسلام إلى يوم القيامة».

قال: «وإنّما حملهم على هذا الرأي الخبيث قولهم الآخر الخبيث: إنّ الروح عَرَض، والعَرَض يفنى أبداً، أو يحدث ولا يبقى وقتين.

قال: «فروح رسول اللهﷺ عند هؤلاء بطل، ولا روح له الآن عند الله.

وأمّا جسده ففي قبره تراب، فبطلت نبوّته ورسالته وموته عندهم.

فنعوذ بالله من هذا القول، فإنّه كفر صراح لا تردّد فيه. ويكفي في بطلان هذا القول الفاحش القطع، أنّه مخالف لما أمر الله تعالى به ورسولهﷺ، وتّفق عليه أهل الإسلام من الأذان في الجوامع والصوامع وأبواب المساجد جهاراً في شرق الأرض وغربها كلّ يوم خمس مرّات بأعلى أصواتهم، قد قرنه الله تعالى بذكره: أشهد أن لا إله إلّا الله، أشهد أنّ سيّدنا محمّداً رسول الله كان يجب أن يقال على قولهم أشهد أن محمّداً كان رسول الله، وكذلك كان يجب أن يقال في ثاني الشهادتين في الإسلام.

وقد قال تعالى: ﴿ورُسُلاً قد قصصناهُم عليكَ من قبل ورُسُلاً لم نقصصهم عليكَ﴾.

وقال تعالى: ﴿يومَ يجمعُ الله الرُّسُلَ﴾.

وقال تعالى: ﴿وجيء بالنبيّين والشُّهداء﴾، فسمّاهم الله عزّ وجلّ بعد موتهم رُسلاً ونبيّين، والأصل الحقيقة.

وكذلك أجمع المسلمون وجاء به النصّ: أنّ كلّ مُصلٍّ فرضاً أو نفلاً يقول في تشهّده السلام عليك أيُّها النبيّ ورحمة الله وبركاته، ولو كان بعد موته في حكم العدم لمّا صحّت هذه المخاطبة». هذا معنى كلام ابن حزم.

ثمّ قال «إنّ ابن حزم أورد على نفسه إيرادات، وأجاب عنها».

قلت: وقد حذفتها أنا لأجل الإطالة، ولا تسع عقول العوامّ وكثير ممّن شُير

إليه بالعلم أن يدركها ويدرك الجواب.

ثم قال «وإنّما أطلتُ النَّفَس في هذه المسألة -وإن كانت في غاية الوضوح- لقرب العهد بهذيان من أظهر الخلاف فيها، وأفسد به عقائد خلْقٍ كثير من العوامّ. فلذلك استطرقتُ في هذا المقام بما يتعلق بهذه المسألة هذا المقدار، ليسير من الكلام، وللمقال فيها مجال واسع، لكن إشباع القول في ذلك خارج عمّا نحن بصدده في هذا الكتاب والله تعالى أعلم».

وهذا الكتاب الذي أشار إليه ومنه نقلت يقال له: «شرح التعرّف لمذهب أهل التصوف».

وأعلم أرشدنا الله وإياك أيها الموفق المنزّه المعظّم السيّد الأوّلين والآخرين ﷺ، ولذرّيته الذين بهم تمّ الدين، ولسائر الصحابة رضي الله عنهم، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين- أنّ في هذا الذي ذكره الأئمة كفاية لمن له أدنى فهم ودراية إلّا أنّي وعدت بذكر شيء، وخلف الوعد صعب شديد، فأنا أذكر نُبذة يسيرة، وأرجو من الله -عزّ وجلّ- حصول البركة فيها، وقد ذكرت في كتاب «تنبيه السالك على مظان المهالك» جملة كثيرة تتعلق بذلك وبغيره، وسُقتُ فيها فتاوى المطولة والجواب عمّا قاله، ذكرته في فضل الحجّ، والله أعلم.

ومن الأمور المهمة: معرفة الإنسان حاله في التوفيق والخذلان.

فمن الخذلان عدم إيمان الإنسان بالآيات والنذر، كما قال تعالى: ﴿وما تُغني الآياتُ والنذُرُ عن قومٍ لا يؤمنون﴾. قيل: المعنى لا تصل العقول الخالية عن التوفيق الى سبيل النجاة.

وما يُغني ضياء العقل مع الخذلان، إنّما ينفع نور العقل مؤيّداً بنور التوفيق وعناية الأزل. وإلّا فإنّه متحتّط بإدراكه بعقله.

فإذا وعيت ما قلته، ووقفت على بعض ما أذكره من الأدلّة، ولم تجد قلبك

مؤمناً بها، فاعلم أنك من أهل الخذلان، ومرقوم في حزب الشيطان، وتابع لأهل البدع عصاة الرحمن.

قال كعب لأحبار «تجد الرجل يستكثر من أنواع البرّ، ويحتاط في[1] صنائع المعروف، ويكابد سهر الليل وشدّة ظمأ الهواجر، وهو مع ذلك لا يساوي عند الله حيفة حمار».

يشير إلى أهل البدع والتبرّي منهم؛ بحيث لا يمكن سمعه من ذي هوًى.

لما صالح عمر ﷺ أهل بيت المقدس، وقدم عليه كعب الأحبار، وأسلم، وفرح به عمر ﷺ وبإسلامه، قال له عمر ﷺ: «هل لك أن تسير معي إلى المدينة، وتزور قبر النبيّ ﷺ وتنتفع بزيارته؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين أفعل ذلك».

فهذا صريح في ندب إلى زيارة قبره ﷺ وشدّ الرحل وإعمال المطيّ إليه.

والكلام على هذا يأتي إن شاء الله تعالى.

[في بقاء النبي بعد موته والاستغاثة به]

بيان زندقة من قال: إنّ روحه ﷺ فنيت، وإنّ جسده صار تراباً، وبيان زيغ ابن تيميّة وحزبه في جواب الفتوى التي زعم أنّه سُئل عنها.

فقال في جوابه: «الحمد لله ربّ العالمين. من استغاث بميّت أو غائب من البشر، بحيث يدعوه في الشدائد والكُرُبات، ويطلب منه قضاء الحاجات، فيقول: «يا سيدي الشيخ فلان» أنا في حسبك أو في جوارك، أو يقول عند هجوم العدوّ عليه: يا سيدي فلان يستغيث به، أو يقول نحو ذلك عند مرضه وفقره وغير ذلك من حاجاته، فإنّ هذا ظالم ضالّ مشرك». وفي بعض النسخ: «كافر

(١) صنائع المعروف صوابها صنائع انتهى. مصحّحه

عاصٍ لله تعالى باتفاق المسلمين، فإنهم متفقون على أنّ الميّت لا يُسأل ولا يُدعى، ولا يُطلب منه شيء؛ سواء كان نبيّاً أو غير ذلك».

ثمّ أكّد ما قاله بقصّة عمر والعبّاس في الاستسقاء، تبعاً لشيخه الحاري خلف سلالة اليهود.

وأنت ـ أرشدك الله تعالى وبصّرك ـ إذا تأمّلتَ ما قاله في هذه الحروف اقشعرّ جلدك، وقضيت لعجب ممّا فيه من الخبائث والفجور، وادّعاء اتّفاق المسلمين، وما فيه من الرمز إلى تكفير الأنبياء وتضليلهم، والتلبيس على الأغبياء بقصّة عمر ﷺ.

وليت شعري! من أيّ الدلالات أنّ من توجّه إلى قبر سيّد الأوّلين والآخرين ﷺ وتوسّل به في حاجة الاستسقاء أو غيرها، يصير بذلك ظالماً ضالّاً مُشركاً كافراً؟!

هذا شيء تقشعرّ منه الأبدان، ولم نسمع أحداً ادّعاه، بل ولا رمز إليه في زمن من الأزمان، ولا بلد من البلدان، قبل زنديق حرّان ـ قاتله الله عزّ وجلّ وقد فعل ـ.

جعل الزنديق الجاهل الجامد قصّة عمر ﷺ دعامة[1] للتوصّل بها إلى خبث طويّته في الازدراء بسيّد الأوّلين والآخرين وأكرم السابقين واللاحقين، وحطّ رتبته في حياته، وأنّ جاهه وحرمته ورسالته وغير ذلك زال بموته.

وذلك منه كفر بيقين وزندقة محقّقة.

[حرمة النبي ﷺ وتعظيمه في القرآن]

فإنّه ﷺ حرمته وقدره ومنزلته عند ربّه ما زالت ولم تزل، وهو سيّد ولد آدم وأكرمهم على الله ـ عزّ وجلّ ـ على الدوام.

---

(١) قوله «للتوصل بها إلى خبث طويته في الازدراء ...» إلى آخره، الصواب أن تقدّم «في» وتؤخّر «إلى»؛ ليصير معنى الكلام. انتهى مصحّحه

ومن تأمّل لقرآن لعظيم وجده مشحوناً بذلك.

وقد ذكرت جملة من ذلك في مولده ﷺ وأُشير هنا لى نُبذة يسيرة من ذلك، ليتحقّق لسامعُ لها خُبثَ هذ الزنديق، وما انطوى عليه باطنه من لخبث، بإبد له هذه لأنوع من لتعظيم بالازدراء وما فاه به من الفحور و لافتر ء كما ترى.

سلْ عن فضائله الزمانَ لتُخبرا ... فنظير مجدك يا محمّد لا يُرى
ولقد جمعتَ مناقباً ما استجمعتْ ... مااستعجمت يا سيّدي فتُفسّرا
ما بين مجدكَ والمحاول نيلَه ... إلّا كـــما بـين الثُّـريّا والثَّـرى

[عصمة النبي ﷺ]

فمن ذلك: أنّه سبحانه وتعالى تولّى عصمه بنفسه، فقال تعالى ﴿واللهُ يعصمُكَ من النّاسِ﴾.

وحقّاً عصمه ـ عزّ وجلّ ـ في ظاهره وباطنه؛ حفظه في ظاهره من أن ينالو ما همّو به، وردّ كيدهم في نحورهم، وحفظه في باطنه من لناس من أن يكون منه إليهم لتفات، أو يكون له بهم اشتغال؛ صان سرّه عن موارد لسكون إليهم، وعن نزغات لشيطان وفلتات النفس.

ومنها قوله تعالى: ﴿لا تجعلوا دُعاءَ الرَّسول بينكم كدُعاءِ بعضِكم بعضاً﴾.

قيل معناه لا تدعوه باسمه، كمايدعو بعضكم بعضاً، يا محمّد، يا عبدالله، ولكن فخمّوه وعظّموه وشرّفوه، وقولوا: يانبي الله يارسول الله، مع لين وتو ضع. قاله مجاهد وقتادة.

وقيل: معناه حذروا دعاء الرسول عليكم، فإنّ دعاءه مستجاب لا يردّ، ليس كدعاء غيره. قاله بن عباس رضي الله عنهما.

وقيل: معناه من ضيّع حرمة الرسول ﷺ فقد ضيّع حرمة الله ـ عزّ وجلّ ـ

ومن ضيّع حرمة الله فقد دخل في ديوان الأشقياء، وحرمة لرسول ﷺ من حرمة الله تعالى. بل من ضيّع حرمة الأولياء فقد عرّض نفسه للهلكة.

ومنها قوله تعالى: ﴿إنّا أرسلناكَ شاهداً﴾، أي عليهم بالتوحيد ﴿ومبشراً﴾، أي لهم بالتأييد و لمغفرة ﴿ونذيراً﴾، أي محذراً إيّاهم الزيغ و لضلالات ﴿لتؤمنوا باللهِ ورسولِهِ وتُعزّروهُ وتُوقّروهُ﴾ أي تعظّموه تعظيماً يليق به ومرتبته.

قال لأئمة لم يؤمن بالرسول من لم يُعزّه ويُعزّ أوامره ويُوقّره ويوقّر أصحابه رضي الله عنهم.

ومنها قوله تعالى ﴿فالذّين آمنوا بهِ﴾، أي بمحمد ﷺ ﴿وعزّروهُ﴾، أي وقّروه ﴿ونصروهُ﴾، بذلو أنفسهم في نصرته وأموالهم ﴿واتّبعوا النّورَ الذي أُنزلَ معه﴾ وهو لقرآن ﴿أُولئك هُم المفلحونَ﴾، أي الفائزون؛ حصر لفلاح فيهم.

فهذه لآيات موجبة لتوقيره وتعظيمه وتبجيله وتعريف قدره عند ربّه.

ومنها قوله تعالى: ﴿من يطع الرّسولَ فقد أطاعَ اللهَ﴾

قال عمر ﷺ بعد وفاة رسول الله ﷺ ـ أثناء كلام طويل ـ: بأبي أنت وأمّي يارسول الله، لقد بلغ من فضيلتك عند الله أن جعل الله ـ عزّ وجلّ ـ طاعتك طاعته. وقال جعفر لصادق معناه: «من عرفك بالنبوّة والرسالة فقد عرفني بالربوبيّة و لألوهيّة».

وقيل «طاعتك يصل العبد الى الحق، وبمخالفتك يقطع عنه». وقيل غير ذلك.

ومن أحسنها «من ألزم نفسه طاعته وصحّح الاقتداء به، أوصله الى مقامات لأنبياء و لصدّيقين و لشهداء؛ ألا ترى قوله تعالى ﴿ومن يطع الله والرّسول فأولئك مع الذّين أنعمَ الله عليهم من النبيّين والصّدّيقين والشهداء﴾ الآية.

ومنها: ـ وهو أبلغ مما تقدم ـ قوله تعالى: ﴿إنّ الذّين يُبايعونك﴾، أي يامحمّد

﴿إنّما يبايعونَ اللهَ﴾ فى سبحانه وتعالى الواسطة في المبالغة. وقد تنبّه لذلك أربابُ المعاني والقلوب. لعارفون بمراتبه ﷺ وما وهبه الله تعالى من سنيّ الأوصاف التي لا تليق بغيره. ولا يقدر على حملها إلّا هو. قالوا: إنّ البشريّة في نبيّه ﷺ عارية وإضافة. دون الحقيقة»[1] وهو كلام حكيم منوّر القلب.

وقال بعضهم: لم يُظهر الحقُّ -سبحانه وتعالى- مقامَ الجمع على أحد بالتصريح إلّا على أخصّ نسمة وأشرفها. وهو المصطفى. فقال: ﴿إنّ الذين يبايعونك إنّما يبايعونَ اللهَ﴾.

ومنها: قوله تعالى: ﴿ورَفعنا لك ذكرك﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما «لم يرد الأذان والإقامة والتشهّد والخطبة على المنابر. فلو أنّ عبداً عبد الله وصدّقه في كلّ شيء، ولم يشهد أنّ محمداً رسول الله، لم يسمع منه ولم ينتفع بشيء، وكان كافراً».

وفي حديث أبي سعيد الخدري ﷺ «أنّ النبيّ ﷺ سأل جبريل ﷺ عن هذه الآية، فقال: قال الله -عزّ وجلّ- إذا ذُكرتُ ذُكِر معي».

وقال قتادة ﷺ «رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة».

وقيل: رفع ذكره بأخذ الميثاق على النبيّين، وألزمهم الإيمان به والإقرار به.

وقيل: ﴿ورفعنا لكَ ذِكرَكَ﴾ ليعرف المذنبون قدر رتبتك لديّ ليتوسّلوا بك إليّ. فلا أردّ أحداً عن مسألته. فأُعطيه إيّاها إمّا عاجلاً وإمّا آجلاً. ولا أُخيب من

---

(١) قوله عارية «وإضافة دون «الحقيقة» لفظ «إضافة» بالضمير هو «إضافة» بالكاف». ومعنى هذا الكلام غامض. وكأنّ قائله يريدون أن يقولوا: إنّ حقيقته ﷺ ملكية وإن كانت صورته بشرية. وهو معنًى يكون مدحاً إن سُلِّم أنّ حقيقة الملكية أفضل من حقيقة البشرية. وليس في قسم آخر يُراد إلحاقه ﷺ به إلّا الإلهية. ولا يتصوّر أن يكون مراداً لعاقل. فليعلم. انتهى مصححه

توسل بك وإن كان كافراً.

ألا ترى قوله تعالى ﴿وكانوا من قبلُ يستفتحون على الذين كفروا﴾ وسيأتي الكلام على هذه الآية. وقيل غير ذلك.

ولمّا هاجر النبيﷺ الى المدينة قيل: بكت مكّة لفقده بدموع الحرقة على الخدّ. وقالت. و أسفاه على من أُنزل عليه: ﴿لا أُقسمُ بهذا البلدِ﴾ وهو مكّة لحلولك فيه.

ومن جعل «لا» أصلية، فالمعنى: ﴿لا أُقسمُ بهذا البلدِ﴾ وأنت حالّ فيه، بل أُقسم بك وبحياتك وهذا يدلّ على عُلُوّ قدره عند ربّه، ورفعته التي لم يَفُزْ بها غيره.

وفي حديث عائشة رضي الله عنها أنّ جبريل ـ عليه الصلاة والسلام ـ قال: قلبتُ مشارق الأرض ومغاربها، فلم أر رجلاً أفضل من محمّدﷺ.

وقال ابن عبّاس رضي الله عنهما ـ من رواية أبي الجوزاء ـ: «ما خلق الله ولا ذرأ ولا برأ نفساً أكرم على الله من محمّدﷺ. ولا رأيت الله ـ عزّ وجلّ ـ أقسم بحياة أحد إلّا بحياته، فقال: ﴿لَعمرُك إنّهم لَفي سكرتِهم يعمهونَ﴾، والعمه في البصيرة والعمى في البصر».

وفي رواية عطاء عن ابن عبّاس رضي الله عنهما. «لعمري. وعيشك يا محمّد إنّهم لفي سكرتهم يعمهون».

وقال بعضهم أقسم بحياة محمّد لأنّ حياته كانت به، وهو في قبضة الحقّ وبساط القرب وشرف الانبساط، ومقام الاتّفاق الذي لا يقوم به غيره، فبحياتك يكون القسم، فإنّ لكلّ زعموا وما زعمتَ، وما لوا وما ملتَ، حتّى برأياك ونزّلناك منزلة ما نالها غيرك، ولا يتالها أحد سواك.

وقيل المعنى وحياتك التي خصصت بها بين الخلق، فحييت بالأرواح، وحييت بنا.

ولهذا تتمثل مهمة ذكرتها في المولد يتعين الوقوف عليها.

وقيل: أقسم الله -عزّوجلّ- في الأزل بحياته، ليظهر شرفه وعُلُوّ قدره ودُنُوّ منزلته عنده، ليتوسّل المتوسّلون به إليه قبل بروزه إلى الوجود، وفي حياته وبعد وفاته وفي عرصات القيامة.

ولهذا وغيره لم يزل أهل الايمان يتوسّلون به في حياته وبعد وفاته من غير نكير.

[التوسل بالنبيﷺ قبل مولده]

وكان أهل الكتاب لهم علم من ذلك، فكانوا يتوسّلون به قبل وجوده، فيُستجاب لهم، كما قال الله تعالى: ﴿وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا﴾

وقال ابن عبّاس رضي الله عنهما: «كانت أهل خيبر تقاتل غطفان، كلّما التقوا هزمت غطفانُ يهود، فعادت يهود بهذا الدعاء: «اللّهمّ إنّا نسألك بحقّ النبيّ الذي وعدتنا أن تخرجه لنا آخر الزمان إلّا نصرتنا عليهم»، فكانوا إذا التقوا ودعوا بهذا الدعاء هزمت يهودُ غطفان».

ويهود غير منصرف للعلميّة والتأنيث، علم على[1] قبيلة -فلمّا بُعث النبيّﷺ كفروا به، فأنزل الله عزّوجلّ: ﴿وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا...﴾، أي يدعون بك يا محمّد إلى قوله: ﴿فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾

وإذا كان عزّوجلّ يستجيب لأعدائه بالتوسّل بهﷺ إليه سبحانه، مع

(١) هي أمّة موسى عليه وعلى نبيّنا الصلاة والسلام انتهى

علمه ـ عزّ وجلّ ـ بأنّهم يكفرون به ويؤذونه، ولا يتّبعون النور الذي أُنزل معه قبل وجوده وبروزه إلى الوجود وإرساله رحمة للعالمين، فكيف لا يستجيب لأحبّائه إذ توسّلوا به بعد وجوده ـ عليه الصلاة والسلام ـ وبعثته رحمة للعالمين؟!

وإذ كان رحمة للعالمين، فكيف لا يتوسّل ولا يتشفّع به؟!

[المنكر للتوسل أسوأ من اليهود]

ومن أنكر التوسّل به والتشفّع به بعد موته وأنّ حرمته زلت بموته، فقد أعلم الناس ونادى على نفسه أنّه أسوأ حالاً من اليهود، الذين يتوسّلون به قبل بروزه إلى الوجود، وأنّ في قلبه نزغة هي أخبث النزغات

[توسل أبي البشر آدم عليه السلام بالنبي ﷺ ليغفر له]

وهذا آدم عليه السلام توسّل به، كما هو مشهور، ورواه غير واحد من الأئمة.

منهم الحاكم في «مستدركه على الصحيحين» من حديث عمر رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: (لمّا اقترف آدم الخطيئة قال: يا ربّ بحقّ محمّد لمّا[1] غفرتَ لي. فقال الله: يا آدم وكيف عرفت محمّداً ولم أخلقه؟ قال: يا ربّ لأنّك لمّا خلقتني بيدك ونفختَ فيَّ من روحك، رفعتُ رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوباً: لا إله إلّا الله محمّد رسول الله، فعرفت أنّك لم تضف إلى اسمك إلّا أحبّ الخلق إليك. فقال: يا آدم إنّه لأحبّ الخلق إليّ، وإذ سألتني بحقّه فقد غفرتُ لك، ولولا محمّد لما خلقتُك)[2].

---

(١) أي: وإلّا. انتهى

(٢) المستدرك على الصحيحين للحاكم ٢/٦١٥

قال الحاكم: صحيح الإسناد[1]، ورواه الطبراني، وزاد (وهو آخر الأنبياء من ذُرِّيَّتك).

ورواه الحاكم أيضاً من حديث ابن عبَّاس رضي الله عنهما بزيادة لفظ: (أوحى الله إلى عيسى: يا عيسى آمن بمحمَّد، ومُرْ من أدركه من أُمَّتك أن يؤمنوا به، فلولا محمَّد ما خلقتُ آدم، ولولا محمَّد ما خلقتُ الجنَّة والنار، ولقد خلقتُ العرش على الماء فاضطرب، فكتبتُ عليه لا إله إلَّا الله محمَّد رسول الله فسكن، قال الحاكم في «مستدركه»: هذا صحيح الإسناد، ولم يخرجاه[2]، يعني البخاري ومسلم.

فهذا الإمام الحافظ قد كفانا المؤنة وصحَّح الحديث، وقد رواه غير واحد من الحفَّاظ وأئمة الحديث بألفاظ:

منهم أبو محمَّد مكِّي، وأبو الليث السمرقندي وغيرهما: (أنَّ آدم ﷺ عند اقترافه قال: اللَّهمَّ بحقِّ محمَّد عليك اغفر لي خطيئتي).

ويروى نحيل: (فقال الله: من أين عرفت محمَّداً؟ قال: رأيت في كلِّ موضع من الجنَّة مكتوباً: لا إله إلَّا الله محمَّد رسول الله). ويروى: (محمَّد عبدي ورسولي،

---

(١) لا التفات بعد هذا التصحيح من الحاكم - وهو الحاكم - إلى طعن طاعن في هذا الحديث، وقد رأى من يطعن فيه وفي أمثاله من الأحاديث التي يصحِّحها بحكم، وهي دلَّة على شموخ شرفه - عليه الصلاة والسلام - وعُلوِّ منزلته عند ربِّه، كأنَّ هذا الطاعن أُوذي ممَّن يستحقون شأنه - عليه الصلاة والسلام - فصدر منه ذلك الطعن؛ ضعة لشعوره وهو لا يشعر أو يشعر، وكأنَّ هذه المسألة - مسألة عظم حُرمته ﷺ ورفعة شأنه - موضع خلاف بيننا وبين هؤلاء الناس، ونحن لا نسلِّم هذا الخلاف إلَّا بعد أن نسمع من هذه الشِّرذمة أنَّ كلام الله تعالى مصنوع في صدقه أيضاً، فإذا قالوها منكسوا عنهم، وتكونون بذلك أرحوا واستراحوا، وحسبنا الله ونعم الوكيل. انتهى مصحِّحه.

(٢) المستدرك على الصحيحين للحاكم ٢/٦١٥

فعلمت أنّه أكرم خلقك عليك، فتاب الله عليه وغفر له).

وفي رواية لحافظ الآجري (فقال آدم: لمّا خلقتني رفعتُ رأسي إلى عرشك، فإذا فيه مكتوب: لا إله إلّا الله محمّد رسول الله، فعلمت أنّه ليس أحد أعظم قدراً عندك ممّن جعلتَ اسمه مع اسمك، فأوحى الله إليه: وعزّتي وجلالي إنّه لآخر النبيّين من ذُرّيّتك، ولولاه ما خلقتُك. قال: وكان آدم عليه السلام يكنّى (أبا محمّد).

بـــدا مـــجدُهُ مـــن قـــبلِ نشأةِ آدمٍ

وأسماؤهُ في العرشِ من قبلُ تكتبُ[1]

وعن ابن عبّاس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا﴾ قال: «لوح من ذهب فيه مكتوب:

عجباً لمن أيقن بالقدر كيف ينصب؟!

عجباً لمن أيقن بالنار كيف يضحك؟!

عجباً لمن رأى الدنيا وتقلّبها بأهلها كيف يطمئنّ إليها؟!

أنا الله لا إله إلّا أنا محمّد عبدي ورسولي»

وعن ابن عبّاس رضي الله عنهما أيضاً قال: «على باب الجنّة مكتوب: إنّي أنا الله لا إله إلّا أنا محمّد رسول الله، ولا أعذّب من قالها»

وذكر السمرقندي: أنّه شاهد في بعض بلاد خراسان مولوداً ولد وعلى جبينه مكتوب: لا إله إلّا الله محمّد رسول الله، وذلك بقلم القدرة.

وذكر الأخباريّون: أنّ ببلاد الهند ورداً أحمر مكتوباً[2] عليه بالأبيض: لا إله إلّا الله محمد رسول الله.

---

(١) أي تُكتب، والتعبير بالمضارع لحكاية الحال الماضية. انتهى

(٢) ينبغي نصب لفظ مكتوب، لأنه وصف لمنصوب. انتهى مصحّحه

وفي بعض لبو دي حيوان مكتوب على شِقّه الأيمن لا إله إلّا الله، وعلى شِقّه لأيسر: محمّد رسول الله، وذلك بقلم القدرة، وهو مرئيّ ظاهر لكلّ من له بصر، وذكر غير ذلك.

فسيّد لأوّلين و لآخرين عظيم عند ربه، نوّه بذكره في لأزل وفي لكون لعُلوي و لسُّفلي؛ ليعلم أنّه لفاضل الكامل، وأنّه أعظم لوسائل.

[مناظرة المنصور العباسي ومالك إمام المذهب]

قال أبو حميد: ناظر أبو جعفر أمير المؤمنين مالكاً في مسجد رسول الله ﷺ فقال له مالك: لا ترفع صوتك في هذا المسجد

فإنّ الله -عزّوجلّ- أدّب أقواماً، فقال: ﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ لآية.

ومدح قوماً، فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ لآية.

وذمّ قوماً، فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ ٱلْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾.

وإنّ حرمته ميّتاً كحرمته حيّاً.

فاستكان لها أبو جعفر، فقال: يا أبا عبدالله أستقبل لقبلة وأدعو، أم أستقبل رسول الله ﷺ؟

فقال: ولمَ تصرف وجهك عنه، وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم إلى يوم لقيامة؟!

بل ستقبله و ستشفع به، فيشفعه[1] الله عزّوجلّ.

---

(١) قوله «فيشفعك الله» الذي يقتضي أن يكون «فيشفعك» فيشفعه، لأنّه هو ﷺ الشافع انتهى مصحّحه

قال الله تعالى ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّاباً رَحِيماً﴾.

لقصّة معروفة مشهورة، ذكرها غير واحد من المتقدّمين و لمتأخّرين بأسانيد جيّدة.

ومنهم لقاضي عياض في أشهر كتبه، وهو «الشفاء» لمشهور بالحسن و لإتقان في سائر البلدان.

ومنهم لإمام لعلّامة هبة الله في كتابه «توثيق عرى لإيمان».

وقد شتملت هذه لقصّة على تعظيمه بعد وفاته، وأنّه حيّ، و لتوسّل به، وحسن لأدب في حقّه كما في حياته، وأنّ في الآية الحثّ على لمجيء إليه ليستغفر له، وليس في لآية تعرّض لزمن حياته دون الوفاة، وكذ فهم لعلماء مالك وغيره -كما يأتي إن شاء الله تعالى- لعموم. واستحبّوا لمن زار قبره لمكرّم أن يتلو هذه لآية، ويستغفر ويتوسّل به ويطلب الشفاعة منه

ولم نعلم أنّ أحداً طعن في قصّة مالك إلّا هذا الفاجر بن تيميّة، فإنّه لمّا كان فيها هذه لفضائل طعن فيها، وقال: إنها مكذوبة

فإنّ هذ شأنه: إذ وجد شيئاً لا مساس فيه لما ابتدعه قال به وقبله ولم يطعن، وإذ وجد شيئاً على خلاف بدعته طعن فيه وإن اتُّفق على صحّته، ولا يذكر شيئاً على خلاف هو ه وإن تُّفق على صحّته

لا سيّما إذ كان آية أو خبراً عن رسول الله ﷺ.

ولو أمكنه أن يطعن في الآية لفعل[1]، إلّا أنّه تعرّض لتخصيصها، وهي دعوى

---

(١) هذا المبدأ عليه أتباعه المفتونون به إلى اليوم، يعرف ذلك منهم من يلتقي بهم من يلتقي بهم في التعالم، فالواجب على المسلم أن لا يغتر بتصحيحهم بتحديث ولا بتضعيفهم، فإنهم كما قلت

مجرّدة وعلى خلاف ما فهمه العلماء من العموم ووقع العمل عليه.

فمن ادّعى التخصيص بغير دليل سمعيّ ظاهر الدلالة قطعنا بخطئه وتهمناه، وستدللنا بذلك على استقاصه سيّد الأوّلين والآخرين لكامل المكمّل. وهو كفر بإجماع أهل التوحيد.

[الأعرابي المتوسّل بجاه النبيّ]

وذكر القرطبي في تفسيره عن علي رضي الله عنه أنّه قال: (قدم علينا أعرابيّ بعدما دُفن رسول الله صلّى الله عليه بثلاثة أيام، فرمى بنفسه على قبر رسول الله ﷺ، وحثا على رأسه من تربه، ثمّ قال: قلتَ يا رسول الله فسمعنا قولك، ووعيت عن الله -عزّ وجلّ- فوعينا عنك، وكان فيما أنزل عليك: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاؤُوكَ﴾ الآية، وقد ظلمتُ نفسي وجئتُك تستغفر لي، فنودي من القبر: قد غفر لك).

وهذه القصّة غير قصّة العتبي.

[قصّة العتبي في التوسل بالنبي ﷺ]

وقصّة العتبي مشهورة في غاية الشهرة، وقد ذكرها الأئمّة في كتبهم قديماً وحديثاً.

وكُنية العتبي أبو عبد الرحمن، واسمه محمد بن عبدالله بن عمرو، وكان من مشايخ الناس، وصاحب أخبار، وصاحب رواية للآثار، حدّث عن أبيه وعن

يصحّحون ويضعّفون. وأحب أن يأخذ القارىء قول الإمام النحصي ولو أمكنه أن يطبق في الآية لفعل على ظاهره، دون أن يظنّ فيه أيّ مبالغة، وليطّرده في أتباعه كذلك. انتهى مصحّحه

بن عُيينة.

وقد ذكر قصته خلائق.

منهم ابن عساكر في تاريخه.

وذكرها الحافظ أبو الفرج بن الجوزي في كتابه مثير الغرام الساكن، وذكرها غيرهما بالأسانيد.

وممّن ذكرها الإمام العلّامة ـ المتّفق على علمه ودينه وزهده ـ أبو زكريّا يحيى بن شرف النووي ـ قدّس الله روحه ونوّر ضريحه ـ قال في زيارة قبره: إنّها من أعظم القُربات وأفضل المساعي والطلبات، وإذا انتهى إلى قبره وقف قبالة وجهه، ويتشفّع به إلى ربّه، ومن أحسن ما يقوله ما حكاه أصحابنا عن العتبي مستحسنين له.

قال العتبي: كنتُ جالساً عند قبر رسول الله ﷺ، فجاء أعرابيّ فقال: السلام عليك يا رسول الله، سمعتُ الله يقول ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً﴾ وقد جئتُك مستغفراً من ذنبي، مستشفعاً بك إلى ربّي، ثمّ أنشأ يقول:

يا خيرَ مَنْ دُفِنَتْ بالقاعِ أعظُمُهُ ... فَطابَ من طِيبِهِنَّ القاعُ والأَكَمُ

نفسي الفداءُ لقبرٍ أنتَ ساكنُهُ ... فيه العفافُ وفيه الجودُ والكَرَمُ

قال: فرأيت النبي ﷺ في النوم، فقال: «يا عتبي، إلحق الأعرابي، فبشّره بأنّ الله قد غفر له»[1].

وفي رواية غيره: «إلحق الأعرابي، وبشّره بأنّ الله قد غفر له بشفاعتي»، فخرجت فلم أجده.

---

(١) وهكذا رواه الماوردي في الأحكام السلطانية ص١٠٩ ـ ١١٠، الباب العاشر

فأفاد النووي ـ قدّس الله تعالى روحه ـ أنّ أصحاب الشافعي استحسنو ذلك، وحكوه عن غيرهم.

وأفاد شمول الآية للحياة والممات، وأنّه يستشفع به إلى ربّه، وساق ذلك مساق ما هو متّفق عليه، ولم يتعرّض لذلك أحد بالإنكار في سائر الأعصار، وزدتُ أنا هذين البيتين لعلّي يلحقني نصيب من شفاعته، وهما:

وفيه كلُّ خصالِ الحمدِ قد جُمعتْ ... فَلُذْ بِهِ فَهْوَ مَن تُرعى لَهُ ٱلذِّمَمُ

وَهْوَ ٱلذي يُرتجى في كلّ مُعضلةٍ ... وفي المعاد إذا زلّتْ بنا ٱلقَدمُ

قصّة الراهبين مع أبي عبدالله الفرحي

وقال السيّد الجليل قطّاع المفاوز على قدم التوكّل أبو عبد الله الفرحي ـ قدّس الله سرّه ونوّر ضريحه ـ: خرجتُ مرّة أريد الزيارة من طريق المفاوز، فوقعت في تيه، فكنت فيه أيّاماً حتّى أشرفتُ على الموت، فبينا أنا كذلك إذ رأيت رهبين[1] يسيرون، كأنّهما خرجا من مكان قريب يريدان دَيْراً لهما بالقرب، فملتُ إليهما، فقلت: أين تريدون؟ فقالا: لا ندري. فقلت: من أين أتيتما؟ قالا: لا ندري. قلت:

---

(١) هذه القصّة فيها حزازة، ولعلّ هذين الراهبين ملكان أو ولّيان لله تعالى أرسلهما سبحانه وتعالى لتشجيع الفرحي لتنقل أحوالهما من حاله إلى حال أرفع، كما يرى في القصّة، ولا أنّهما راهبان حقيقة، فهذا ما لا يستصيغه عقل فهمه، فإنّا لا نعرف أنّ الله تعالى يُكرم إلّا الصدّيقين من عباده المؤمنين، فكيف يُكرم بهذه الكرامة الباهرة ـ التي تضمنتها القصّة ـ راهبين كافرين لا نصيب لهما في الإسلام، وهما يعرفانه حقّ المعرفة كما يرى من كلامهما؟! فاعرف ذلك. انتهى مصحّحه

ويقول جلال الدين: اسم الراهب ـ وإن كان شائعاً في راهب النصارى ـ إلّا أنه يستعمل لكلّ متعبّد عن الناس في عرف العامة فلعلّ المراد به هذا. انتهى

فتدريان أين أنتما؟ قالا: نعم، نحن في ملكه، وبين يديه. قال: فأقبلتُ على نفسي أقول لها: رهبان يتحققان بالتوكل دونك. ثمّ قلت لهما: أتأذنان لي في الصحبة؟ فقالا: ذلك إليك.

قال: فسرنا، فلمّا أمسينا قاما إلى صلاتهما، وقمت إلى صلاة المغرب، فتيمّمتُ وصلّيتُ، فنظر إليّ وقد تيمّمتُ فضحكا منّي، فلمّا فرغا من صلاتهما، بحث أحدهما بيده فإذا بالماء قد ظهر، وإذا بطعام موضوع.

قال: فبقيت أتعجّب من ذلك، فقالا لي: أُدنُ وكُلْ واشرب.

قال: فأكلنا وتوضّأتُ، وقاما فلم يزالا في صلاتهما وأنا في صلاتي حتّى أصبحنا، فصلّيت الفجر، ثمّ قاما يسيران، فسرنا[1] إلى الليل، فلمّا أمسينا تقدّم الآخر، فصلّى بصاحبه، ثمّ دعا بدعوات ثمّ بحث الأرض بيده، فنبع الماء، وظهر الطعام، فقالا لي: أُدنُ وكُلْ واشرب.

قال: فأكلنا وشربنا وتوضّأت للصلاة، ثم نضب الماء وغار حتّى لم يبقَ له أثر، فلمّا كانت الليلة الثالثة، قالا لي: يا مسلم الليلة نوبتك. قال: فاستحييت من قولهما، ودخلني من ذلك همّ شديد.

قال: فقلت في نفسي: اللّهمّ إنّي أعلم أنّ ذنوبي لم تدعْ لي عندك جاهاً، ولكنّي أسألك وأتوسّل إليك بنبيّك المكرّم عندك ألّا تفضحني عندهما، ولا تُشمت[2] بنبيّك محمد ﷺ.

قال: فإذا بعين حارّة وطعام كثير، قال: فأكلنا وشربنا، ولم نزل على حالنا حتّى بلغت النوبة الثانية إليّ، قال: فدعوتُ بمثل ما دعوتُ أوّلاً وتوسّلتُ بالنبيّ ﷺ، فإذا بطعام اثنين وشراب اثنين دون ما كان، قال: فتقاصرتُ إلى

---

(١) قوله فسارو بالجمع بل الصحيح «فسرناه» كما هو مقتضى السياق

(٢) اي تشمتهما انتهى مصححه

نفسي، وقصرتُ عن الأكل، وأريتهما أني آكل، فسكتا عني.

قال: وسرنا حتى بلغت النوبة الثالثة إليّ، قال: فدعوتُ بمثل ما دعوتُ وتوسلتُ بالنبي ﷺ وقوي حالي في أمر صدق توسلي به ﷺ علمي بأنه وسيلة من قبلي، فإذا بطعام كثير والماء مثل ذلك، فغمني ذلك.

قال: فغلبتني عيناي من أهم خوف الشماتة بديننا، فإذا بقائل يقول لي: أدركناك بالإيثار لدي خصصنا به محمداً من دون الأنبياء[1]، وهي علامته وكرامة أمته من بعده إلى يوم القيامة.

قال: فلما بلغت النوبة الرابعة إليّ قالا: بلى يا مسلم ما هذا، إنا نرى في طعامك وشرابك نقصاً، فلم ذلك؟ فقلت لهما: أولم تعلما أن هذا خصّ الله -عزّ وجلّ- به نبيه محمداً ﷺ من بين الأنبياء، وخصّ أمته به من بعده، إن الله -عزّ وجلّ- يريد لي الإيثار، وقد آثرتكما اقتداء بنبي الكرم، فقالا: صدقت.

ثم قالا: نشهد أن لا إله إلا الله، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق، صدقت في قولك، هذا خلق محمد في كتب الله المنزلة: إن الله -عزّ وجلّ- خصّ محمداً وأمته بذلك. قال: وحسن إسلامهما.

قال: ثم قلت لهما في الجمعة والجماعة، فقالا: ذلك واجب؟ قلت: نعم فاسألا الله تعالى وادعوا أن يخرجنا من هذا التيه إلى أقرب الأماكن.

فدعوا، فبينا نحن نسير إذا نحن ببيوت قد أشرفنا عليها، فإذا هي بيت المقدس.

قال: فدخلنا المسجد، وأقمنا أياماً، ثم تحدّد لي سفر فعارقتهما، وقد مُلئ قلبي

---

(١) أي خصصنا به أمة محمد ﷺ من دون أمم الأنبياء، وإلا فالأنبياء جميعاً أوائل أهل الإيثار صلى الله وسلم عليهم جميعاً انتهى صحّحه

فرحاً بإسلامها وبصحّة[1] توسّلي بالنبيّ ﷺ، وأنّه غياث الصادقين في محبته[2]، لسالكين حلفه في صدقه مع ربّه وصحّة الاعتماد عليه.

فانظر ـ أرشدك الله ـ كيف بصدق التوسّل به جرى ما جرى، من حصول الكرامات من نبع الماء والطعام والاهتداء، فلله عزّوجلّ المنّة على ما أكرمنا به، وعلى ما وهب لأولياء من آثار معجزاته.

[قصّة سفيان الثوري مع المصلي على النبي ﷺ في الطواف]

وقال سفيان الثوري: بينا أنا أطوف بالبيت؛ وإذا أنا برجل يرفع قدماً ولا يضع أخرى، إلّا وهو يصلّي على النبيّ ﷺ، فقلت: يا هذا إنّك تركت التسبيح والتهليل، وأقبلت على الصلاة على النبيّ ﷺ، فهل عندك من هذا شيء، فقال لي: من أنت؟ قلت: سفيان الثوري، فقال: لولا أنّك غريب في أهل زمانك، لما أخبرتك عن حالي، ولما أطلعتك على سرّي.

ثم قال: خرجت أنا ووالدي حاجّين إلى بيت الله الحرام وإلى زيارة سيّد الأنام، حتى إذا كنّا ببعض المنازل مرض والدي، فعالجته فمات، فلمّا مات اسودّ وجهه ففلبتني عيناي من الهمّ، فنمت فإذا أنا برجل لم أرَ أجمل منه ولا أنظف ثوباً ولا أطيب رائحة منه، فدنا من والدي وكشف عن وجهه وأمرّ يده عليه، فعاد وجهه أبيض، ثمّ ذهب، فتعلّقت بثوبه وقلت له: يا عبدالله من أنت الذي منّ الله ـ عزّوجلّ ـ عليّ وعلى والدي بك في دار الغربة؛ لكشف هذه الكُربة؟

فقال: أوما تعرفني أنا محمّد بن عبدالله صاحب القرآن، أمّا إنّ ولدك كان مسرفاً على نفسه، ولكنّه كان يُكثر الصلاة عليّ، فلمّا نزل به ما نزل استغاث بي،

---

(١) قوله «وبصحة توسلي» صوابه «وبصحة توسلي» الخ. انتهى مصحّحه

(٢) قوله «في محبة السالكين» صوابه «في محبته للسالكين» إلى آخره. انتهى مصحّحه

وأنا غياث من أكثر الصلاة عليّ.

قال: فانتبهت فإذا وجه والدي قد ابيضّ.

فانظر أرشدك الله -عزّ وجلّ- إلى جلاله وتعظيمه في حياته وبعد وفاته. كيف أغاث من استغاث به حتّى في البرزخ؟!

فهو -عليه الصلاة والسلام- كما قيل:

غـــياثٌ لمســلهوفٍ وغـــيثٌ لآمــلٍ
وعـــينٌ لظـمآنٍ وعـــونٌ لذي جَـهْدِ
له فـــوق إيـــوان الزمـــانِ مـراتبٌ
يُـقصِّر عـنها الأنـبياء أولو المـجْدِ
فـموسى وعـيسى والخـليلُ ونـوحُهمْ
يـقولون طـه منتهى السُّؤْلِ والقصدِ
حـوى قَـصَباتِ السَّبْق من قبل آدمٍ
وكـهلاً وأيـامَ الطـفولة فـي المـهدِ
بـه طـيبةٌ طابتْ ولاغـرْو قـدْ حـوتْ
طيبَ قلوب الخلق من مـرض الجَـحْدِ
فـلولاهُ مـا اشْـتاقتْ قُـلوبٌ نـفيسة
إلى الشيح من أرض الحجازِ ولا الرَّنْـدِ
ولا ذُكِـــرتْ سَـلْعٌ ونـعمانُ والنَّـقا
ولا استُعذِبتْ من شـدّة الوجـدِ للـوجدِ

فسبحان من قرّبه وبجّله وعظّمه ومنحه وتوّجَهُ خِلَعَ لفضائل. وجعله أعظم ما يُتوّجه به إليه وأعظم الوسائل:

[حديث عثمان بن حنيف والضرير المتوسّل بالنبي ﷺ]

روى الترمذي من حديث عثمان بن حنيف ﷺ (أنّ رجلاً ضرير البصر جاء إلى النبيّ ﷺ، فقال: ادعُ لي أن يعافيني الله. فقال: إن شئت دعوت، وإن شئت صبرت، فهو خير لك. قال: فادعه. فأمر رسول الله ﷺ أن يتوضّأ فيُحسن وضوءه، ويدعو بهذا الدعاء: «اللّهمّ إنّي أسألك وأتوجّه إليك بنبيّك محمّد نبيّ الرحمة. يا محمّد إني توجّهت بك إلى ربّي في حاجتي هذه لتُقضى. اللهمّ شفّعه فيّ»)[1].

قال الترمذي: حديث حسن صحيح، ورواه النسائي بنحوه.

ورواه البيهقي، وزاد محمّد بن يونس في روايته: (فقام وقد أبصر).

وفي رواية شعبة: (فَفَعل فرأى).

وفي رواية: (يا محمّد إنّي توجّهتُ بك إلى ربّي فتجلى عن بصري. اللّهمّ شفّعه فيّ وشفّعني في نفسي).

قال عثمان ﷺ: فوالله ما انصرفنا ولا طال الحديث، حتّى جاء الرجل كأنّه لم يكن به ضرّ[2].

فهذا حديث صحيح صريح في التوسّل والاستجابة، وليس فيه أنّه فعل ذلك في حضرة النبيّ ﷺ، وليس فيه التقييد بزمن حياته، ولا أنّه خاصّ بذلك الرجل.

بل إطلاقه ـ عليه الصلاة والسلام ـ يدلّ على أنّ هذا التوسّل مستمرّ بعد وفاته

---

(١) سنن الترمذي كتاب الدعوات رقم ٣٥٠٢، ورواه ابن ماجه في سننه كتاب إقامة الصلاة رقم ١٣٧٥، ومسند أحمد، الشاميين رقم ١٦٦٠٤.

(٢) وفي رواية أنّه قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ (وإن كان لك حاجة فمثل ذلك). انتهى من تصحيح النسخة

شفقة عليهم؛ لأنه بهم رؤوف رحيم، ولاحتياجهم إلى ذلك في حاجاتهم.

ويدلّ على ذلك أنّ عثمان بن حنيف ـ راوي الحديث ـ هو وغيره فهموه لتعميم، ولهذا استعمله هو وغيره بعد وفاته ﷺ.

كما رواه الطبراني في «معجمه الكبير» في ترجمة عثمان بن حنيف ﷺ، ذكره في أوّل الجزء الخمسين من مسنده: (أنّ رجلاً كان يختلف إلى عثمان بن عفّان ﷺ في حاجة له، فكان عثمان لا ينظر في حاجته، فلقي الرجل عثمان بن حنيف، وشكا[1] إليه ذلك.

فقال له عثمان بن حنيف ﷺ: «ائتِ الميضاة فتوضّأ، ثمّ ائتِ المسجد فصلّ ركعتين، ثمّ قل: «اللّهمّ إنّي أسألك وأتوجّه إليك بنبيّنا محمّد نبيّ الرحمة يا محمّد إنّي أتوجّه إلى ربّي» فتُقضى[2] حاجتك، وتذكر حاجتك ورُحْ حتّى أروح معك.

فذهب الرجل، وفعل ما قاله عثمان بن حنيف له، ثمّ إنّ الرجل أتى إلى باب عثمان بن عفان ﷺ، فجاء البوّاب، فأخذ بيده حتّى أدخله إلى عثمان بن عفان ﷺ، فأجلسه معه على الطُّنفُسة، فقال: حاجتك، فأعلمه بها، فقضاها، وقال ما ذكرت حاجتك إلّا الساعة، ثمّ قال عثمان بن عفان ﷺ: ما كان لك من حاجة فاذكرها.

ثمّ إنّ الرجل خرج من عند عثمان ابن عفانّ ﷺ، فلقي عثمان بن حنيف ﷺ، فقال له: جزاك الله خيراً، أما إنّه ما كان ينظر في حاجتي، ولا يلتفت إليّ حتّى كلّمته فيّ.

فقال عثمان بن حنيف ﷺ: ما كلّمتهُ، ولكن شهدت رسول الله ﷺ أتاه ضرير، فشكا إليه ذهاب بصره، فقال له عليه الصلاة والسلام: أوَ تصبر؟ فقال يا

---

(١) قوله «وشكى» يُرسم «شكاه» بالألف انتهى مصحّحه

(٢) قوله «فتُقضى حاجتك» ليس بصحيح معناه، وقد رجعتُ الأصل، فرأيت النصّ (فتقضي حاجتي، وتذكر حاجتك) إلى آخره، وبه يتّضح المعنى انتهى مصحّحه

رسول الله إنّه ليس لي قائد، وقد شقّ عليّ.

فقال عليه الصلاة والسلام: ائتِ الميضاة فتوضّأ، ثمّ صلّ ركعتين، ثمّ ادعُ بهذه الدعوات.

قال عثمان بن حنيف: فوالله ما انصرفنا ولا طال الزمان؛ حتّى دخل علينا الرجل كأنّه لم يكن به ضرّ قطّ).

ورواه البيهقي بإسناده من طريقين.

فهذا من أوضح الأدلّة على الاحتجاج للتوسّل بالنبيّ ﷺ بعد وفاته كحياته، لفعل[1] عثمان راوي الحديث ولفعل غيره في حياته وبعد وفاته. وهم أعلم بالله ـ عزّ وجلّ ـ وبرسوله ﷺ من غيرهم، وإليهم تُرجع الأمور في القضايا التي شاهدوها في زمنه وأخذوها عنه رضي الله عنهم[2].

ومن عدل عن ذلك فقد أتهم عن نفسه إنّ عنده ضغينة لهم

وهذا من الواضحات الجليّات التي لا ينكرها إلّا صاحب دسيسة؛ أعاذنا الله تعالى من ذلك.

[حرمة الرسول ﷺ بعد وفاته]

وقال القاضي عيّاض في أشهر كتبه المتداولة بين الناس وهو «الشفاء»، «الفصل الثاني في حرمته بعد وفاته، وأمّا حرمة[3] النبي ﷺ بعد وفاته وتوقيره وتعظيمه، فهو لازم كما كان في حياته.

وذلك عند ذكره ـ عليه الصلاة والسلام ـ وذكر حديثه وسُنّته وسماع سمه

---

(١) الكاف في قوله «كفعل» لام. انتهى مصحّحه

(٢) قوله «وأخذوها عنهم ﷺ» يؤخّر فيه «عنهم»، ويقدّم «عنه» كما هو ظاهر. انتهى مصحّحه

(٣) الصواب «وحرمة» ويُحذف الضمير. انتهى مصحّحه

وسيرته ومعاملة آله، وتعظيم أهل بيته وصحابته واجب على كلّ مؤمن متى ذُكر عنده.

أن يخضع ويخشع ويتوقّر ويسكن من حركته، فيأخذ في هيبته وجلاله مما كان يأخذ بعينه[1] لو كان بين يديه، ويتأدّب بما أدّبنا الله -عزّ وجلّ- به».

وقال ابن حبيب: إذ دخلت مسجد رسول الله ﷺ فصلّ ركعتين بين الروضة والمنبر، ثمّ قصد القبر من تجاه القبلة وادْنُ منه، ثمّ سلّم على رسول الله ﷺ وأثنِ عليه وعليك السكينة والوقار، فإنّه -عليه الصلاة والسلام- مسلّم[2]، ويعلم وقوفك بين يديه.

وكذا قاله غيره من الأئمة.

قال الحافظ أبو الفرج بن الجوزي: أمّا زيارة قبره -عليه الصلاة والسلام- فأحضرْ قلبك لتعظيمه وهيبته، وأحضر عظيم رتبته في قلبك، وعلم أنّه عالم بحضورك وتسليمك.

وهذا الذي قالاه معروف مشهور؛ لأنّ الصحابة رضي الله عنهم كانوا يغضّون أصواتهم في مسجده تعظيماً له وتوقيراً.

وفي البخاري «أنّ عمر ﷺ قال لرجلين من أهل الطائف: لو كُنتما من أهل البلد لأوجعتُكما ترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله ﷺ».

وكانت عائشة رضي الله عنها إذا سمعت دقّ الوتد أو المسمار يضرب في بعض الدور لمطبة لمسجد رسول الله ﷺ ترسل إليهم لا تؤذوا رسول الله ﷺ.

وروي أنّ عليّاً ﷺ لمّا عمل مِضْراعي داره، ما عملها إلّا بالمناصع

---

(١) قوله «مما كان يأخذ بعينه» عبارة الشفاء «مما كان يأخذ به نفسه» إلى آخره انتهى مصحّحه

(٢) قوله «مسلّم» بتشديد اللام: أي راد عليك السلام الذي سلّمه عليه انتهى مصحّحه

توقياً لذلك.

والآثار بمثل ذلك كثيرة جداً.

وكذا الأخبار بعرض الصلاة عليه.

وكذا بردّ[1] روحه الشريفة العظيمة الكريمة على الله ـ عزّ وجلّ ـ وإذا ثبت ردّها ثبتت حياته، وإذا ثبتت حياته وجب القطع بصحة التوسل به.

[فضيلة الصلاة على النبي ﷺ]

في ابن ماجة من حديث أبي الدرداء ﷺ: (أنّه ـ عليه الصلاة والسلام ـ قال: أكثروا عليّ من الصلاة يوم الجمعة، فإنّه مشهود تشهده الملائكة، وإنّ أحداً لن يصلّي عليّ إلا عُرضت عليّ صلاته حتى يفرغ منها

قال: قلت: يا رسول الله وبعد الموت؟ قال: وبعد الموت، فإنّ الله حرّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء، فنبيّ الله حيّ يُرزق)[2].

وقال عليه الصلاة والسلام: (إنّ لله ملائكة سيّاحين في الأرض يبلّغوني عن أُمّتي السلام) رواه النسائي، وكذا الحاكم من حديث ابن مسعود ﷺ وصحّح[3].

وقال عليه الصلاة والسلام: (ما من أحد يسلّم عليّ إلا ردّ الله عليّ روحي

---

(١) سيأتي للمصنف شرح الحديث الوارد بذلك، وتوضيحه أنّ الوجود لا يخلو لحظة عن مسلّم عليه ﷺ، فهو دائماً يرد السلام، فهو دائماً مردودة عليه روحه، فهو دائماً حيّ. وشرح الحديث بأنّ جملة (يردّ) إلى آخره حالية تحلّ إشكال الحديث كذلك، وهناك أحاديث أخرى كثيرة تدلّ على حياة الأنبياء في قبورهم بلا قيد ولا شرط، وهو أمر مُجمع عليه بين علماء الأمة، فليعلم انتهى مصحّحه

(٢) سنن ابن ماجة في الجنائز رقم ١٦٣٧

(٣) سنن النسائي السهو رقم ١٢٦٥، والمستدرك على الصحيحين للحاكم ٢ ٤٢١، ورواه أحمد في المسند رقم ٣٤٨٤ و٤٠٩٣، وسنن الدارمي في كتاب الرقاق رقم ٢٦٥٥

حتّى أردّ عليه السلام) رواه أبو داود من حديث أبي هريرة ﷺ بإسناد جيّد[١].

قال البيهقي معنى قوله: إلّا ردّ الله عليه روحه إلّا وقد ردّ الله عليه روحه لأجل سلام من سلّم عليه، واستمرّت في جسده؛ لأنّه لا يبلى، ولا تفتر صلاة المصلّين عليه، ولا سلام المسلّمين عليه من الثقلين وغيرهم.

وقال عليه الصلاة والسلام: (لا تجعلوا قبري عيداً، وصلّوا عليّ، فإنّ صلاتكم تبلغني حيثما[٢] كنتم) رواه أبو داود من حديث أبي هريرة ﷺ بإسناد صحيح[٣].

والأحاديث في ذلك كثيرة.

وقال كعب الأحبار: «ما من فجر يطلع إلّا أنزل الله سبعين ألفاً من الملائكة، حتّى يحفّوا بالقبر الشريف، يضربون بأجنحتهم، ويصلّون على النبيّ ﷺ، حتّى إذا أمسوا عرجوا، وهبط مثلهم، وصنعوا مثل ذلك؛ حتّى إذا انشقّت الأرض خرج رسول الله ﷺ في سبعين ألفاً من الملائكة يوقّرونه».

وروى الحافظ أبو القاسم الأصبهاني صاحب الترغيب، عن أنس ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: (من صلّى عليّ في يوم جمعة وليلة جمعة مائة من الصلاة، قضى الله له مائة حاجة، سبعين من حوائج الآخرة، وثلاثين من حوائج الدنيا، ووكل بذلك ملكاً يُدخله على قبري، كما يُدخل عليكم الهدايا؛ إنّ علمي بذلك بعد موتي كعلمي به في حياتي).

وقال السيّد الجليل سليمان بن شحيم ـ قدّس الله تعالى روحه ـ: «رأيت النبيّ ﷺ في المنام، فقلت: يا رسول الله الذين يأتونك ويسلّمون عليك تفقه

---

(١) سنن أبي داود المناسك رقم ١٧٤٥، ورواه أحمد في المسند رقم ١٠٣٩٥

(٢) بوصل «حيث» بـ«ما» انتهى مصحّحه

(٣) سنن أبي داود المناسك رقم ١٧٤٦، ورواه أحمد في المسند رقم ٨٤٤٩

سلامهم؟ قال: نعم وأردّ عليهم».

وقال بعض المشايخ. رأيت رسول الله ﷺ في النوم، فقلت استغفر لي، فأعرض عنّي. فقلت: يا رسول الله استغفر لي، فأعرض عنّي. فقلت: يا رسول الله إنّ سفيان بن عيينة حدّثنا عن محمّد بن المنكدر، عن جابر أنّك لم تُسأل شيئاً قطّ فقلت لا، فأقبل عليّ، وقال: غفر الله لك.

وكان موهوب بن الجزري الشافعي إماماً عالماً فاضلاً مفيداً، يشارك في سائر العلوم مشاركة جيّدة، مع العقل والدين والإيثار لأهل الضرورات. وكان يتّجر فكثر ماله، فأراد الصاحب أن يتعرّض له، قال: فخفت منه خوفاً شديداً. فلمّا كان في بعض الليالي رأيت النبيّ ﷺ في المنام، فقلت: يا رسول الله إني خائف من الصاحب، فقال: لا تخف منه وقل له بعلامة كذا وكذا: لا تُؤْذِني، فرسول الله ﷺ يشفع فيّ.

فلمّا انتهيتُ صليتُ الصبح، وركبت دابّتي، ووقفتُ للصاحب في الطريق وهو طالع إلى القلعة، قال: فسلمتُ عليه وصحبته، وقلت له معي رسالة، فقال: ممّن؟ قلت: من رسول الله ﷺ، وقال: قل له بعلامة كذا وكذا، فقال: صدقت أنت، وصدق رسول الله ﷺ، وأنا اليوم أتشفّع بك إلى رسول الله ﷺ، فالمولى يرسم والمملوك يمتثل، ومهما كان لك من الحوائج تعرّفني بها، أو لأحد أصحابك.

وطلب بعض أمراء الجور رجلاً أراد منه شيئاً، وهدّده تهديداً، وتوعّده[1] بالعقوبات، فقال له الرجل: أنا أتشفّع إليك بسيّد الأوّلين والآخرين أن لا تتعرّض لي بما لا يحلّ لك، فلم يلتفت إليه، ولا إلى قوله، فلمّا أصبح الصباح طلب الأمير الرجل، وأكرمه بعد أن فكّ عنه الطلب، فقيل للأمير في ذلك، فقال رأيت البارحة رسول الله ﷺ، فنهرني، وهمّ بي، وقال: يتشفّع بي إليك ولا تقبل، فو الله لا يتشفّع

(١) الصواب حذف ألف «وتواعده» انتهى. مصححه

به أحد إليّ إلّا قبلتُ شفاعته، فإني خفتُ على نفسي الهلكة.

وعن منصور بن عبد الله قال: سمعت ابن الجلاء يقول: دخلت مدينة الرسولﷺ وبي شيء من الفاقة، فتقدّمت إلى القبر، فسلّمتُ على النبيّﷺ وعلى ضجيعيه أبي بكر وعمر، ثمّ قلت: يا رسول الله بي فاقة وأنا ضيفك الليلة، ثمّ تنحّيت ونمتُ بين القبر والمنبر، وإذا أنا بالنبيّﷺ قد جاءني، ودفع إليّ رغيف خبز، فأكلتُ نصفه، وانتهبتُ فإذا في يدي نصف الرغيف.

ومن تتمّة القصّة: أن قال ابن الجلاء: إنّه دام بعد ذلك أربعين سنة، لم يحتج فيها إلى طعام الدنيا ولا إلى شربها ببركة تلك الأكلة.

قال العلماء: الظاهر أنّ ما أتاه به النبيّﷺ من طعام الجنّة؛ لأنّ من أكل من طعام الجنّة استغنى عن طعام الدنيا. قالوا: وهذه رؤيا حقّ؛ لما جاء في الحديث: (من رآني في المنام فقد رآني حقّاً، فإنّ الشيطان لا يتمثّل بي).

ومثل هذا وقع للسيّد الجليل أبي الخير الأقطع، صاحب المقامات الباهرة والكرامات الظاهرة، قال: دخلت مدينة النبيّﷺ وأنا بفاقة، فأقمت خمسة أيام ما ذقت ذواقاً، فتقدّمت إلى القبر، وسلّمتُ على النبيّﷺ وعلى أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وقلت: أنا ضيفك يا رسول الله، وتنحّيت ونمت خلف القبر، فرأيت في المنام النبيّﷺ وأبا بكر عن يمينه وعمر عن شماله، وعليّ بين يديه، فحرّكني وقال: قم فقد جاء رسول اللهﷺ، قال: فقمت إليه وقبّلتُ بين عينيه، فدفع إليّ رغيفاً فأكلتُ نصفه، وانتهبتُ وإذا في يدي نصف رغيف.

قال العلماء: وإنّما يبقى نصف الرغيف ليتحقّق الأمر، وتظهر الكرامة لأولياء الله ـ عزّوجلّ ـ الذين سلكوا سبيله بصدقﷺ، ورضي عنهم.

وقال ابن أبي درعة الصوفي: سافرتُ مع أبي ومع ابن حنيف إلى مكّة، وأصابتنا فاقة شديدة، فدخلنا مدينة رسول اللهﷺ، وبتنا طاوين، وكنت دون

البالغ فكنت أحيء إلى أبي عير دفعة، وأقول أنا جائع. فأتى ولدي إلى الحضرة الشريفة. وقال: يا رسول الله أنا ضيفك الليلة. وجلس على المرقة. فلمّا كان بعد ساعة رفع رأسه وكان يبكي ساعة ويضحك ساعة، فقال رأيت رسول الله ﷺ فوضع في يدي درهم، وفتح يده فإذا فيها دراهم، وبارك الله تعالى لنا فيها إلى أن رجعنا [إلى] شيرز، فكنّا نُنفق منها.

وقال السيد الجليل أبو العبّاس أحمد الصوفي: تهت في البادية ثلاثة أشهر، ونسلخ جلدي، فدخلت المدينة الشريفة، وجئت إلى النبيّ ﷺ، فسلّمتُ عليه وعلى صاحبيه، ثمّ نمتُ، فرأيتُ النبيّ ﷺ في النوم، فقال لي: يا أحمد جئت. قلت: نعم، وأنا جائع، وأنا في ضيافتك. فقال لي افتح كفّيك[1]، ففتحهما فملأهما دراهم، فانتبهتُ وهما مملوءتان، فقمت فاشتريت لي خبزاً حوّاري وفالوذجاً وأكلتُ، وقمتُ للوقت ودخلت البادية.

ومثل هذا كثير، وهؤلاء رجال صدق يقطعون البوادي على قدم التوكّل، لا يعتمدون على غيره، ولا يأنسون بسواه، وتقع لهم ألطاف وأمور عجيبة

وقد ذكرت جملة من ذلك في كتاب (تنبيه السالك) في فصل الكرامات، فمن أراد أن يقف على الغرائب والعجائب، فليبحث فيه وفيما وهب لهم من الكرامات على مقدار طبقاتهم.

وخرج بعض المشايخ يريد الزيارة في جماعة من الفقراء، قال: فلمّا وصلنا إلى شِعْب لنّعام أدركنا العطش، وبيننا وبين المدينة مرحلة، قال: فاستغثتُ بالنبيّ ﷺ وصليتُ وتمتُ، فرأيتُ النبيّ ﷺ، فقال: مرحباً بك وبجماعتك، وضمّني إلى صدره وقبّلني، فقبّلتُ يده الكريمة وقدمه، وقلت له: يا سيّدي يا

(١) الصواب (افتحهما) انتهى مصحّحه

رسول الله أنا خائف على أصحابنا من العطش، فقال لا تخف فإنّا نسيّر لكم الماء، وها نحن نُعدّ لكم الضيافة. ورأيته -عليه الصلاة والسلام- مشمّر الأكمام، فحاءنا السيل في تلك الليلة، وملأنا ركابنا، فلمّا قدمنا المدينة تلقّانا أحد خدّام النبيّ ﷺ، فقال لي: سلّم على النبيّ ﷺ، وأشتهي أن أجتمع بك حتى أُوفي لك بما أوصاني به النبيّ ﷺ. فلمّا سلّمتُ على النبيّ ﷺ جئتُ إليه، فقال لغلامه: جيء بالمائدة فجاء بها وعليها كلّ خير يراد، فالتفت إليّ، وقال: كُلْ هذا الذي أوصاني به النبيّ ﷺ وقال لي: هذه ضيافتك يا فلان، وسمّاني باسمي.

وما يبعد أنّ النبيّ ﷺ سمّاه.

كما وقع لغيره من الخدّام من تسمية أقوام قصدوا زيارته من أرض شاسعة، كما أخبرني به الشيخ محمّد فولاذ في المسجد الأقصى، وكان من الأخيار وكثير التعبّد والإيثار، وحجّ ماشياً ما يزيد على ثلاثين حجّة، قال لي: قد جاء أوان الحجّ هاج بي الشوق إلى تلك المعاهد الشريفة وإلى زيارة سيّد الأوّلين والآخرين، فأخذ زادي على ظهري وإناء الماء، وأسير مع الناس إلى جانب، وأنا مشغول بحالي، قال فاتفق أنّي تحدّثتُ أنا وخادم الضريح، وقد كنّا من موهب الله -عزّ وجلّ- لسيّدنا رسول الله ﷺ، فقال لي: يا شيخ محمّد بقي أخدم هذا الضريح ستّين سنة، فاتفق في يوم حارّ أنّي سمعتُ السرير يصرصر، وسمعتُ صوته -عليه الصلاة والسلام- وهو يقول: «وعليك السلام يا فلان بن فلان»، وسمّى ثمانية أنفس.

قال الخادم فقمتُ من ساعتي، وجئتُ الضريح وإذ بشخص كاد أن يموت من الهرول، جالس عند الضريح، فسلّمتُ عليه، وقلتُ: ما اسمك؟ فقال: فلان بن فلان لأحد الثمانية، فقلت له: وأين رفقتك؟ فقال عند باب الحرم قد عجزوا عن الوصول إلى الضريح. قال: فعمدت إليهم فإذا ثلاثة من الذين سمّاهم

رسول الله ﷺ، فقلتُ: وأين بقيتكم؟ فقالوا: فارقناهم من وراء تلك الأكمة. قال: فأخذت ما أحملهم عليه وماءً وشيئاً من الأكل، ومضيت، فوجدتُ الأربعة قد قضوا فجهّزتهم.

ثمّ رجعتُ إلى الأربعة، فأخذتُهم وأكرمتُهم وسألتُهم: من أين ورودهم؟ فقالوا: من بلاد شاسعة تعاقدنا وتعاهدنا على زيارة سيّدنا رسول الله ﷺ، وأن لا نرجع عن ذلك ولو ذهبت أنفسنا، فأمّا نحن فقد أعطانا الله ـ عزّوجلّ ـ مرادنا، وأمّا إخواننا الذين ماتوا عند الأكمة، فنرجو أنّ الله ـ عزّوجلّ ـ لا يخيّب مسعاهم.

ووقع مثل ذلك كثيراً أحداً وقد دوّنه الأئمّة، كابن أبي الدنيا وغيره، وعقدوا له باب الاستغاثة بالنبيّ ﷺ، وخرّجوه بأسانيدهم على اختلاف الوقائع، وفيها ما يتعلّق بالصدّيق والفاروق رضي الله عنهما[1].

[ابن تيمية في قبره]

قلت: وبلغني أنّه لما دُفن ابن تيميّة، قال شخص بعد ثلاثة أيام: قد اضطرب القول في هذا الرجل، والله لأنظرنّ ما صنع الله به، قال: فحفر قبره، فوجد على صدره ثُعباناً عظيماً هاله منظره.

فكان الرجل يحذّر الناس من اعتقاده، ويُعلمهم بما رأى، والله أعلم.

---

(١) لا ريب في أنّ رسول الله ﷺ أكرم الناس على الله تعالى، ولأحد عنده بكرم الآلاء العيون، من آله الكرام والمؤمنين من صحابته العظام، وسائر محبيه ورواته، وذلك ثابت بالنص والحس، من دون حاجة إلى الركون إلى الأطياف والمنامات والأحاديث التي لا حكم لها ولا أرمة، فهي لا يحتج بها على ما في كثير منها من الخرافات والخزعبلات والمخالفات للشرع الأقدس، فكيف تنسب إلى ساحة الرسول المقدّس، وهي بمقدار صفحات من الأصل، فلا حاجة إلى ذكرها، فتراجع في الأصل لتعرف صحّة ما ذكرناه.

[الاستغاثة بالنبي ﷺ على طول التأريخ ولو من بعيد]

والمراد أن الاستغاثة بالنبي ﷺ واللواذ بقبره مع الاستعانة به، كثير على اختلاف الحاجات، وقد عقد الأئمة لذلك باباً، وقالوا: إن الاستعانة من لاذ بقبره وشكا إليه فقره وضرّه، توجب كشف ذلك الضرّ بإذن الله تعالى.

فمن ذلك ما أخبر به يوسف بن علي قال: ركبتني ديون، فقصدت الخروج من المدينة الشريفة، ثمّ جئتُ إلى قبر رسول الله ﷺ، فاستغثت به في وفاء ديني، فنمتُ فرأيتُ النبيّ ﷺ، فأشار عليّ بالجلوس، فاستيقظت فقيض الله لي من وفى ديني.

وقال بعضهم: بلغنا أنّ أبا الليث يقرأ القرآن في المصحف، من غير تعلّم سبق منه للكتابة، وكنت أنكر ذلك، قال: فدخلتُ مكّة فوجدته يقرأ القرآن في المصحف قراءة محمودة، فسألته عن سبب ذلك؟ فقال: كنتُ في مدينة النبيّ ﷺ أبيتُ في المسجد وأخلو به فتشفّعتُ إلى الله -عزّوجلّ- بالنبيّ ﷺ أن يسهّل عليّ القرآن في المصحف. قال: وجلست فأخذتني سنة، فرأيتُ النبيّ ﷺ وهو يقول: قد أجاب الله تعالى دعاءك، فافتح المصحف واقرأ القرآن. قال: فلما أصبح الصباح فتحتُ المصحف، وشرعتُ أقرأ القرآن، فكنت أقرأ في المصحف، وربّما تتصفّح عليّ الآية، فأنام فأرى من يقول لي: الآية التي تصفّحتَ عليك كذا وكذا.

وذكر ابن عساكر في تاريخه: أنّ أبا القاسم ابن ثابت البعدادي، رأى رجلاً بمدينة النبيّ ﷺ، أذّن لصبح عند قبر رسول الله ﷺ، فقال فيه: الصلاة خير من النوم، فجاءه خادم من خَدَمِ المسجد فلطمه حين سمع ذلك منه، فبكى واستغاث بالنبيّ ﷺ، وقال: يا رسول الله في حضرتك يُفعل بي هذا الفعل. قال: فضربه الفالج في الحال، وحُمل إلى داره، فمكث ثلاثة أيّام، ثمّ مات.

وقال أبو العبّاس أحمد المقري الضرير التونسي: جعتُ بالمدينة ثلاثة أيام،

فجئتُ إلى القبر، وقلت: يا رسول الله جعتُ، ثمّ متُ ضعيفاً، فلكرتني جارية برحلها، فقمت إليها، فقالت: اعزم، فقمتُ معها إلى دارها فقدّمت لي خُبزاً وتمراً وسمناً، وقالت: كُل أنا لعباس، فقد أمرني بهذا جدّي رسول الله ﷺ.

قال أبو لعبّاس: فرجعتُ إلى بلادي، فرأيت النبيّ ﷺ بمصر بعد رجوعي، فقال: أوحشتنا يا أبا لعبّاس قراءتُك، وكنت أكثر قراءة لقرآن عند ضريحه، قال لباحي: كم قرأت من ختمة عند قبره؟ قلت: ألف ختمة.

وقال أبو لعباس أحمد اللواتي: كانت عندنا بمدينة فاس امرأة، وكانت إذ أصابها أمر أو شيء يفزعها، جعلت يدها على عينيها، و ستغاثت بالنبيّ ﷺ فتغاث، فلمّا تُوفّيت قال لي قريب لها: رأيتها في النوم فقلت لها: يا عمّة أرأيتِ لملكين لفتّانين؟ فقالت: نعم جاءاني، فعندما رأيتُهما جعلتُ يدي على عيني، وقلت: يا محمّد، فلمّا نزعت يدي عن وجهي علم أزهما.

وهذه لقصّة ذكرها بعض الأئمة وعزاها، وقال: إنّ لاستغاثة من بعيد به ﷺ كالاستغاثة به عند قبره ﷺ.

وساق عن أبي إسحاق الحسين، قال: كنت بين مدينة لنبي ﷺ و لشام، فصلّ لنا جمل، قال، وكان قد بلغني عن الشيخ أحمد لرفاعي أنه قال: من كانت له حاجة فليستقبل عبّاد ن نحو قبري، ويمشي سبع خطوت ويستغيث، فإنّ حاجته تقضى، قال: فلمّا ستقبلتُ عبّاداً، وقصدتُ الاستغاثة، هتف بي هاتف: أما تستحي من رسول الله ﷺ وتستغيث بغيره، قال: فتحوّلتُ نحو لمدينة، فقلتُ: ياسيّدي يا رسول الله أنا مستغيث بك، قال: فوالله ما ستكملتُ ذلك إلّا و لجمّال يقول لي: هذ لجمل قد وجدناه.

وسافر بعض لفقراء لقصد زيارة قبر النبيّ ﷺ، فتاه في لطريق، فاستغاث بالنبيّ ﷺ، فظهرت له قبّة العبّاس ﷺ وبينه وبين لموضع لمذكور يومان

أو نحوهما.

وقال أبو الحجاج يوسف بن علي ـ قدّس الله روحه ـ: خرجتُ من مكّة متوجّهاً إلى المدينة على طريق المشاة، فتهتُ في الطريق، فاستغثتُ بالنبيﷺ، فإذا بامرأة آتية من نحو المدينة، وهي تشير إلي أن أمشي على أثرها، فلم أزل أمشي على أثرها إلى أن وصلتُ المدينة.

وقال: سمعتُ أبا عبدالله بن سالم يقول: رأيت في المنام كأنّي في بحر النيل، وإذ بتمساح يريد أن يقفز عليّ فخفت منه، وإذا بشخص وقع لي أنّه النبيﷺ، فقال لي: إذ كنت في شدّة فقل: أنا مستغيث بك يا رسول الله، فكنت أفعل فأُغاث، فأرد بعض الإخوان لسفر لزيارته ﷺ، وكان ضريراً، فحكيتُ له الرؤيا، وقلت له: إذ كنت في شدّة فقل: أنا مستغيث بك يا رسول الله، فسافر في تلك الأيام، فجاء إلى ربْع وهي غزيرة الماء، وكان له خادم قد ذهب في طلب الماء، قال: فبقيت القربة في يدي وأنا في شدة من طلب الماء، فذكرت ما قلت لي، وقلت: أنا مستغيث بك يا رسول الله، فبقيت أنا كذلك، وإذا بصوت يقول: زِمَّ قِرْبتك، وسمعت صرير الماء في القربة إلى أن امتلأت، ولم أعلم من أين أتى القائل.

وقال: سمعت محمد السلاوي يقول: لمّا ودّعتُ النبيﷺ، قلت: يا حبيبي يا محمّد يا سيّد الكونين أنا أدخل الصحراء، فإذا أخذتني شدّة أدعو الله وأتوسّل بك، وجئت إلى أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وقلت لهما كذلك، قال: فبقيت في البرية سبعة أيّام، ووقعت في جُبّ وفيه ماء، فبقيت فيه من أوّل النهار إلى ما بعد الظهر، فلم يبقَ إلّا الموت، قال: فتذكرتُ ما كنتُ قلتُ عند النبيﷺ، وقلت: يا حبيبي يا محمّد الذي كنت قلت لك وقلت كذلك لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما، قال: فكأنّي بمن حوّلني وطلعت ببركة النبيﷺ وصاحبيه رضي الله عنهما.

وقال: أخبرني رجل من مدينة طرابلس، قال: كنّا جائين من الاسكندرية في

مركب، فهاج البحر علينا، وأشرفنا على التلف والهلاك، فقمت إلى الناس، فقلت ستغيثو بالنبيّ ﷺ، فإنّه غياث، فقلنا جميعاً: الغياث يا رسول الله، لعفو يا رسول الله، لعفو يا رسول الله، جايين مذنبين استجرنا بك، أجرنا يا محمّد لحبيب، يا حبيبنا يا شفيعنا يا وليّنا.

فقام رجل من أهل المركب مشهور بالخير والصلاح، فرأى النبيّ ﷺ، وأخذ بيده، فقال: نجُ وأبشرو بالسلامة، فلمّا أفاق الرجل بشّرنا برؤياه، فلمّا أصبح رجع البحر كالزيت، وكأنّه عقد بيضة، وجئنا إلى طرابلس سالمين ببركته ﷺ.

وقال: سمعت أبا الحسن العسقلاني يقول: ركبنا البحر في طلب حدّة، فهاج علينا، ورمينا ما معنا فيه، وأشرفنا على التلف، فجعلنا نستغيث بالنبي ﷺ ونحن نقول: يا محمّد ه، وكان معنا رجل مغربيّ صالح، فقال لنا: رفقو حجّاج إنّكم سالمون، رأيت النبيّ ﷺ في المنام، فقلت: يا رسول الله أُمّتك يستغيثون بك قال: فالتفت إلى أبي بكر الصدّيق ﷺ، وقال: يا أبا بكر أنجدهم قال: فكأنّ عيني ترى أبا بكر ﷺ وقد خاض البحر، وأدخل يده في مقدّم الحلق، ولم يزل يجذبها حتّى دخل بها البرّ، فلِمَ تستغيثون فأنتم سالمون؟ فسلمنا ولم نَرَ بعد هذا إلّا خيراً، ودخلنا البرّ سالمين، والحمد لله رب العالمين.

ولمّا قُتل الحسين بن عليّ رضي الله عنهما -يوم عاشوراء أوّل سنة إحدى وستّين وهو يومئذٍ ابن أربع وخمسين سنة ونصف شهر- ووقع ما وقع من السبي وحمل النساء والصبيان، فلمّا مرّوا بالقتلى صاحت زينب بنت علي رضي الله عنهما مستغيثة بالنبيّ ﷺ: (يا محمّداه هذا حسين بالعراء، مُرمّل بالدماء، مقطّع الأعضاء، يا محمّداه).

فلمّا كان سنة ثلاث وأربعمائة أخذ أهل الكوفة جدريّ عظيم، ثمّ عمي منهم ألف وخمسمائة كلّهم من نسل من حضر قتل الحسين ﷺ، وهذا من أعجب ما سُمع.

و علم ـ أرشدك الله عزّوجلّ ـ أنّ مثل هذه القضايا كثيرة جداً، وقد ذكر جماعة من الأئمة من ذلك أموراً عديدة عجيبة، منهم البيهقي، ومنهم أبو محمد عبد الحق، ومنهم بعض الأئمة، وذكر جملة مستكثرة في ذلك، وعقد أبواباً في الاستغاثات بالنبي ﷺ.

ومنها باب في أصحاب العاهات، وذكر منها جملة مستكثرة من ذلك، على اختلاف أنواع العاهات، كالعمى والصداع والزمانة ووجع البطن وغير ذلك، وأنّه ـ عليه الصلاة والسلام ـ يضع يده الشريفة على موضع العاهة فتزول ببركة يده الشريفة، وتشفى وكأنّه ما به وجع قليه[1].

ثمّ إنّه مع ذلك قال: ولو تتبعت هذا الفنّ لجفيت الأقلام، وجفّت المحابر، وفنيت القروس في تتبعه والدفاتر.

ثمّ قال: ولقد سألت بعض إخواننا المجتهدين، وكان بمدينة النبي ﷺ على التجريد، فقلت: هل استغثتَ بالنبي ﷺ أو لجأت إليه في شيء قطّ مدّة إقامتك في المدينة، فقال: كنتُ أستحي أن أسأله إذ كنت بحضرته ﷺ.

ثمّ قال: سمعت الفقيه الإمام برهان الدين بن الطيّب المالكي يقول: قال لي من أثق به وكان بمدينة النبي ﷺ، وأنّه أصابه الجوع، فأتى قبر النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله إنّي جائع، وجلس بالقرب من حجرة النبي ﷺ، فأتاه رجل من الأشراف، فقال له: قم، فقال: إلى أين؟ فقال: تأكل عندي شيئاً، فقام معه إلى بيته، فقدّم إليه جفنة فيها ثريد ولحم ودهن، فأكل حتّى شبع، وأراد الانصراف، فقال له: كُل وزدد، فلمّا أراد الانصراف قال له: يا أخي لو حدّ مكم يأتي من البلاد البعيدة، ويقطع المفاوز والقفار، ويترك الأهل والأوطان، ويقطع البحار،

(١) الصواب قبله انتهى مصححه

ويأتي إلى زيارة النبيّ لعظيم على ربّه ﷻ، وتكون همّته أن يطلب منه كسرة خبز، يا أخي لو طلبت الجنّة، أو المغفرة، أو الرضا، مهما طلبته منه لنلته ببركة هذا النبي الكريم ﷺ[1].

هذا وعدم السؤال يكون للأكابر؛ لما يشاهدون في الحضرة النبويّة من الإجلالات والكرامات العلوية.

وأنت ـ أرشدك الله عزّوجلّ إلى الحقّ، وأزاح عنك الباطل ـ قد استحضرت بعض ما تقدّم، وعطفت على قول هذا الزائغ: أنّ المسلمين متّفقون على أنّ الميّت لا يُسأل ولا يُدعى ولا يُطلب منه؛ سواء كان نبيّاً أو شيخاً أو غير ذلك.

قطعتَ بفجوره وبهتانه، وأنّه من أخبث الناس طويّة، وأنّه لا اعتقاد له، وهذه عادته بادّعاء الاتّفاق وبالإجماع المقطوع به، كما سيأتي عند ذكر شدّ الرحال وإهمال لطي وفي غير ذلك.

---

(١) هذا كلام جليل جدّاً، فليتأمّله القارئ. ولا يستكثر على منزلته ﷺ عند ربّه إعانة أخي منهوف، فإنّه تعالى يسمح له في الآخرة في الشفاعة العظمى التي تشمل كلّ خلق الله كافرهم كمؤمنهم فيحمده لذلك الأولون والآخرون من الخلق، وإذا كان تعالى يُكرمه بذلك في دار الجزاء ـ وقد عصت عصاة لم يعصِ قبله ولن يعصِ بعده منه ـ فعدمُ كلّ ما يُحكى في هذه الدار [الدنيا] من أنواع إعانته تعالى للمستغيثين به ﷺ بالنسبة لذلك المقام المحمود

وهو تعالى يُشفع في ذلك اليوم عباده الصالحين في أُناس وجبت لهم النار فلا يدخلونها، وفي أُناس في النار فيخرجون منها. فإعانته إذن لمن يستعين به في هذه الدار ـ في أُمور دون النار بمراتب لا تُحصى ـ ليست بالأمر البديع

وإنّما كتبتُ هذا لأنّي أعلم أنّ كثيراً من الناس، لا نفع منهم موقع القبول ما يحكيه هذا الإمام، رغم نقله عن أئمّة تُحكى رؤوس أكابر الفضلاء عند ذكرهم، فإنّ في زمن لا يعرف أهله إلّا الإكثار لا يعلمون أنّهم بما يكررون إنّما يعصون الله على أحبّائه، أو قدرته على ما يُحبّ به من كرامة يُكرم بها مُحبّي أحبّائه، فتعلّم انتهى مصحّحه

[من أنباء التوسّل بقبر النبي ﷺ وآثاره]

وقد تقدّم توسّل آدم عليه السلام بالنبيّ ﷺ، وأنّ الله قبله بسبب لتوسّل، وجعل هذا لزنديق آدم عليه السلام متوسّله بالنبي ﷺ ظالماً ضالاً مشركاً.

وليس وراء ذلك زندقة وكفر.

وروي عن أبي الجوزاء قال: قحط أهل المدينة قحطاً شديداً، فشكوا إلى عائشة رضي الله عنها ذلك، فقالت: انظروا إلى القبر واجعلوا منه كُوّة إلى السماء، حتّى لا يكون بينها وبين السماء شيء.

ففعلوا فمطروا حتّى نبت العشب، وسمنت الإبل حتّى تفتّقت من الشحم، فسُمّي عام التفتّق.

وروى البيهقي بسنده إلى الأعمش، عن ابن صالح، قال: أصاب الناس قَحطٌ في زمن عمر رضي الله عنه، فجاء رجل إلى قبر النبيّ ﷺ، فقال: يا رسول الله هلك الناس، استسقِ لأُمّتك، فأتاه رسول الله ﷺ في المنام، إئت عمر فاقرأه منّي السلام، وأخبره أنّهم مُسقون، وقل له: عليك الكيس، قال، فأتى الرجل عمر فأخبره، فبكى عمر رضي الله عنه، وقال: يا ربّ ما آلوا إلّا ما عجزتُ عنه.

فهذا رجل مبارك قد أتى قبره ـ عليه الصلاة والسلام ـ وطلب الاستسقاء منه ـ عليه الصلاة والسلام ـ فلو كان ذلك جهلاً وضلالاً وشركاً لمنعه عمر رضي الله عنه، لدى حتجّ الرائغ باستسقائه بالعبّاس.

وقد تقدّمت قصّة عثمان بن حنيف، وهي من الأُمور المشهورة.

[التفريق في التوسّل بين الحياة والممات، باطل]

فسكوت هذا الرائغ ـ القائل بمسألة الفرق تبعاً لسلالة اليهود ـ عن هذه الأُمور الواضحة الجلية المشهورة، والعدول إلى الفجور من أقوى الأدلّة على

خُبث طويّته.

ومثل هذا لا يحلّ لأحد تقليده فيما يقوله، ولا ينظر في كلامه إلّا من يكون أهلاً لمعرفة دسائس أهل البدع والزيغ، وإلّا هلك وأهلك.

فتنبه لذلك، وخذ حِذْرك، وإلّا هلكتَ من حيثُ ظننت السلامة.

وقوله: ولا يطلب منه شيء؛ سواء كان نبيّاً، أو شيخاً، أو غير ذلك.

قال الأئمّة الأعلام لقادة أصحاب الأذهان الحيّدة: هذا منه كفر؛ لما فيه من حطّ رتبة الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- والإجماع على أنّ من غمط من نبيّ في شيء من الأشياء كفر.

وأيضاً ففيه ترفيع غير الأنبياء إلى رُتبة الأنبياء وإلحاقهم بهم. وفيه إشارة بعيدة ترجع إلى عقائد الشيعة[1]، وهو أنّ النبوّة عندهم تُكتسب بالرياضات وتهذيب النفس، وكتبهم[2] مشحونة بهذا، وهذا من فجورهم، فإنّ النبوّة إنّما هي من الله -عزّوجلّ- فمن نبّأه الله -عزّوجلّ- فهو النبيّ، ومن أرسله فهو الرسول ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾.

[فتوى ابن تيمية بأن زيارة النبي في قبره معصية]

ومن الأمور المستقدة عليه: قوله: زيارة قبر النبيّ وقبور الأنبياء معصية بالإجماع مقطوع بها.

وهذا ثابت عنه أنّه قاله، وثبت ذلك على يد القاضي جلال الدين القزويني.

---

(١) هذا ليس اعتقاد الشيعة، وإنّما هو اعتقاد الفلاسفة هكذا رُؤي على حاشية خطّ الشيخ انتهى صاحب الأصل

(٢) كتب الشيعة منثورة ومنتشرة في البلاد الإسلامية، ولم نعثر على كتاب وحدد منها يذكر ذلك

فانظر هذه العبارة ما أعظم الفجور فيها؛ من كون ذلك معصية، ومن دَعْوى الإجماع وأنّ ذلك مقطوع به؟

فهذا لم يُطالب بما ادّعاه من إجماع الصحابة رضي الله عنهم، وكذا التابعون ومن بعدهم من أئمّة المسلمين إلى حين ادّعائه ذلك

وما أعتقد أنّ أحداً يتجاسر على مثل ذلك

مع أنّ الكتب المشهورة، بل والمهجورة، وعمل الناس في سائر الأعصار على الحثّ على زيارته من جميع الأقطار، فزيارته من أفضل المساعي وأنجح التقرّب إلى ربّ العالمين، وهي سُنّة من سُنن المرسلين، ومجمع عليها عند الموحّدين، ولا يطعن فيها إلّا من في قلبه مرض المنافقين، ومن هو من أفراخ اليهود وأعداء الدين؛ من المشركين الذين أسفروا في ذمّ سيّد الأوّلين والآخرين.

ولم تزل هذه الأُمّة المحمّديّة على شدّ الرحال إليه على ممرّ الأزمان، من جميع الأقطار والبلدان، سار في ذلك الزرافات والوحدان، والعلماء والمشايخ والكهول والشبّان.

حتّى ظهر في آخر الزمان مبتدع من زنادقة حرّان، لبّس على أشباه الرجال ومن شابههم من سيّئي الأذهان، وزخرف لهم من القول غروراً، كما صنع إمامه الشيطان، فصدّهم بتمويهه عن سبيل أهل الإيمان، وأغواهم عن الصراط المستقيم إلى ثنيّات الطريق ومدرجة النيران، فهم برزيّته في ظلمة الخطأ يعمهون، وعلى منوال بِدْعته يَهْرعون.

[فتاوى العلماء باستحباب زيارة القبور]

وسأذكر ذلك ما تحقّق به فجوره وبدعته وتضليل من مشى خلفه وهلكته، وأبيّن ما أظهره من القول الباطل وما رمز إليه وأوضّحه لكلّ من سمعه ووقف عليه.

ثمّ أُردف ذلك بما يدلّ على المنهج من ذلك، فلا يزيغ عنه بعد ذلك إلّا هالك.

قال القاضي عيّاض ـ في أشهر كتبه الذي شاع ذكره في سائر البلاد، وقُرِئ في المجامع والجموع على رؤوس الأشهاد ـ:

«فصل في حكم زيارة قبره ـ عليه الصلاة والسلام ـ وفضل من زاره، وكيف يسلّم عليه ويدعو؟ وزيارة قبره سُنّة من سُنَن المرسلين، مُجمع عليها، ومرغَّب فيها.

ورُوي عن ابن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (من زار قبري وجبت له شفاعتي).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (من زارني في المدينة محتسباً كان في جوارى، وكنتُ له شفيعاً يوم القيامة).

وفي حديث آخر: (من زارني بعد موتي فكأنّما زارني في حياتي)» هذه ألفاظه بحروفها[1].

وكذا ذكره الإمام العلّامة هبة الله في كتاب «توثيق عُرى الإيمان».

فهذا نقل الإجماع على خلاف ما نقله هذا الزائغ الفاجر المبالغ في فجوره وعزوه إلى السلف. وأمّا غير هذين الإمامين ممّن نقل الندب إلى زيارته فخلق لا يحصون، وسأذكر بعضهم.

[استدلال ابن تيمية على أقواله بالباطل]

على أنّه ذكر في فتوى مطوّلة ما يناقض ما ادّعاه من الإجماع ولقطع هنا.

وقد ذكرتُ المسألة في تنبيه السالك، وذكرتُ صورة الفتوى وجوابه، وهذا

---

(١) كتاب الشفا للقاضي عياض، وقد استدلّ بطرق الإمام السبكي في شفاء السقام، في الباب الأوّل، فراجعه.

حوب مطوّل. وتعرّضت لما فيه من الخلل وسوء الفهم وفحوره في النقل والعزو.

وها أنا ذا أذكر هنا بعض الجواب، وأبيّن ما فيه من الخطأ وعدم صحّة الاحتجاج بما احتجّ به، كحديث (لا تُشدّ الرحال)، ولا أُدقّق في الجواب؛ لأنّ قصدي بيان جهله، وأنّه لا حجّة له في الحديث؛ جرياً على القواعد التي عليها مدار الاستدلال صحّة وبطلاناً.

وأذكر ما ذكره في أحاديث الزيارة، وما ادّعاه فيها من الفجور، وما رمز إليه في تكفير الأئمة الذين رووها.

وأنّه قال قولاً مفترىً لم يسبقه إليه أحد، ولا رمز ولا أشار إليه، وبالله التوفيق.

فممّا ذكره في الجواب بلفظه قوله: «وقد يحتجّ بعض من لا يعرف الحديث بالأحاديث المرويّة في زيارة قبر النبيﷺ، كقوله (من زار قبري بعد مماتي فكأنّما زارني في حياتي) رواه الدارقطني وابن ماجة».

فانظر ـ أرشدك الله تعالى ـ كيف جعل هذين الإمامين ممّن لا يعرف الحديث، وهو من أقبح البهتان.

وقد احتجّ بهذا الحديث خلائق من أئمة الحديث غير هذين الإمامين: منهم القاضي عياض وصاحب «توثيق عرى الإيمان» وأبو الفرج ابن الجوزي في كتابه (مثير الغرام الساكن إلى أشرف الأماكن) ذكره في الباب الذي عقده لزيارة قبر النبيﷺ.

ومنهم ابن قدامة ذكره في كتابه «المُغني» في فصل: يُستحبّ زيارة قبر النبيﷺ، واستدلّ بحديث ابن عمر من طريق الدارقطني، ومن طريق سعيد بن منصور، وذكر أيضاً حديث أبي هريرة رضي الله عنه: (ما من أحد سلّم عليّ عند قبري).

وقوله: وأمّا ما يذكره بعض الناس من قوله (من حجّ ولم يزرني فقد جفاني،

فلم يورده أحد من العلماء.

وهذا أيضاً من لبهتان البيّن والجهل.

فقد روى هذا الحديث غير واحد من الأئمة بألفاظ متقاربة، منهم الحافظ أبو عبدالله بن النجار في كتابه (الدُّرّة الثمينة)، من حديث عليّ ﷺ.

ومنهم الإمام الحافظ ـ المتّفق على حفظه وعُلُوّ قدره في هذا الشأن ـ أبو سعيد عبد الملك النيسابوري، خرّجه في كتابه «شرف المصطفى» من حديث عليّ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من زار قبري بعد موتي فكأنما زارني في حياتي، ومن لم يزُرني فقد جفاني»، رواه ابن عساكر من طرق.

وقوله: وهو مثل «من زارني وزار أبي إبراهيم في عام واحد ضمنتُ له على الله الجنة)».

تنبيهٌ: يا من أُشير إليه بالعلم، في قوله: فإنه يشير به إلى أنّ الحديث الأول كذب على رسول الله ﷺ، لأنّه سوّى بينهما، وذكر الحديث الثاني توطئة لقصده الفاسد في ردة تجاسره به، والتمويه على العوامّ والضعفاء من الطلبة، وهو شديد الاعتناء بهذا القصد الخبيث في الكلام على آيات الصفات وأحاديثها.

فليحذر الواقف على كلامه في آيات المتشابه وأحاديثه غاية الحذر، فإنّ الخطأ فيها كفر، بخلاف غيرها من مسائل الفروع.

وقوله: وقد احتجّ أبو محمد المقدسي على جواز السفر لزيارة قبر النبي ﷺ وقبور الأنبياء بأنّ النبيّ ﷺ كان يزور قباء، وأجاب عن حديث (لا تشدّ الرحال) بأنّ ذلك محمول على نفي الاستحباب، وأمّا الأوّلون فإنّهم محتجّون بما في الصحيحين عن النبي ﷺ، أنّه قال:[1] (لا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، والمسجد الأقصى، ومسجدي) وهذا الحديث اتّفق الأئمّة على صحّته والعمل به.

---

(١) أوّل الحديث: (لا تُشدّ الرحال)، ثم المذكور هنا انتهى مصحّحه

نظر ـ نصّرك الله تعالى ـ ما في هذا الكلام من الإيهام والتدليس، فإنّه قال (وقد حتجّ الشيخ أبو محمد على جواز السفر لزيارة قبر النبي ﷺ بأنّ النبيّ كان يزور قباء).

ولم يذكر «راكباً وماشياً»، لأنّ الراكب قد شدّ الرحل، وهو لا غرض له في ذلك.

وأيضاً فلم يذكر غير الشيخ أبي محمد، وهو يوهم انفراده بذلك، ولم ينفرد كما أذكره من بعد.

وقوله: أجاب ـ يعني أبا محمّد ـ عن حديث (لا تُشدّ الرحال)، بأنّ ذلك محمول على نفي الاستحباب.

وهو يوهم أنّ ذلك لم يقُلْهُ إلّا الشيخ أبو محمد، وهو من التدليس الذي هو كثير الاعتناء به، والمكر السيّئ.

قوله: أمّا الأوّلون يعني القائلين بتحريم السفر، وعدم جواز القصر في سفر المعصية، فإنّهم يحتجّون بما في الصحيحين عن النبيّ ﷺ، أنّه قال: (لا تُشدّ الرحال إلّا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، والمسجد الأقصى، ومسجدي) هذا، وهذا الحديث تلقّته الأئمة على صحّته والعمل به.

وهو يوهم أنّهم حتجّوا لتحريم[1] قبور الأنبياء وقبر النبي ﷺ به.

وهو من التدليس الفاحش، وهو مطالب بأنّ الأوّلين صرّحوا بأنّ شدّ الرحال والعمال المطيّ إلى قبره وقبر الخليل إبراهيم ـ عليهما الصلاة والسلام ـ حرام ومعصية، ولا تقصر فيه الصلاة.

وهذا لا يجده، بل الموجود غيره والندب إلى ذلك، كما يأتي إن شاء الله، وقد خاب من افترى.

---

(١) فيه حذف مضاف، تقديره «لتحريم شدّ الرحال إلى قبور الأنبياء» انتهى مصححه

ثمّ ما ذكره من انفراد الشيخ أبي محمّد، بأنّ الحديث محمول على نفي الاستحباب، كذب وفجور وجهل، فإنّه لم ينفرد بذلك، بل ولا الحديث مسوق لتحريم زيارة القبور، وإنّما هو لبيان فضيلة المساجد الثلاثة دون غيرها؛ لأنّ المساجد الثلاثة مساجد الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- والعمل فيها يضاعف ما لا يضاعف في غيرها، وليس لزيارة القبور تعلّق بالحديث.

ولما تكلّم الأئمة على هذا الحديث، ومنهم الإمام العلّامة أبو زكريا يحيى النووي ﷺ في «شرح مسلم» قال: في الحديث فضيلة المساجد الثلاثة وفضيلة شدّ الرحال إليها؛ لأنّ معناه عند جمهور العلماء: لا فضيلة في شدّها إلى مسجد غيرها.

وقال الشيخ أبو محمد الجويني من أصحابنا: يحرم شدّها إلى غيرها. وهو غلط، ومرّ بيانه في باب سفر المرأة.

فصرّح بأن جمهور العلماء إنما ذكروا ذلك في الفضيلة، وصرّح: بأنّه لا فضيلة في شدّ الرحال إلى مسجد غيرها، ولم يتعرّض للزيارة، ألبتّة.

قلت: وجزم الشيخ محيي الدين ﷺ، بأنّ الشيخ أبا محمّد جزم بالتحريم.

وهو ممنوع، وإنّما تردّد في ذلك، فقال: ربما يحرم، وربما يُكره، والله أعلم.

وقال -أعني النووي في «شرح مسلم» في باب سفر المرأة-:

«واختلف في شدّ الرحال وإعمال المطي إلى غيرها، لا لذهاب إلى قبور الصالحين والمواضع الفاضلة ونحو ذلك.

فقال الشيخ أبو محمد الجويني: يحرم، وهذا الذي أشار إليه عياض مختاراً له.

والصحيح عند أصحابنا، واختاره الإمام والمحقّقون لا يحرم ولا يكره.

والمراد أنّ الفضيلة الثابتة إنّما هي في شدّ الرحال إلى الثلاثة خاصّة». انتهى.

فذكر أوّلاً: أنّ جمهور العلماء إنّما ذكروا ذلك في الفضيلة.

وذكر ثانياً: أنّه قول المحقّقين، وأنّه لا يحرم ولا يكره، وأنّ المراد أنّ الفضيلة

لتامّة إنّما هي في شدّ الرحال إلى المساجد الثلاثة خاصّة، ولم يصرّح بقصور الأنبياء.

وقوله: «وأنّ الفضيلة التامّة إنّما هي في شدّ الرحال إلى المساجد الثلاثة» يفيد أنّ شدّ الرحال إلى غير الثلاثة فيه فضيلة إلّا أنّها غير تامّة.

[تقليد ابن تيمية حرام لا يجوز]

وإذ علمت ذلك وما قرّره هذا العبد الصالح وما نقله، ستفدت منه أنّه لا يجوز تقليد هذا الزائغ في نقله، ولا يرجع إليه في تقريره؛ لسوء فهمه وتدليسه، وسيأتي - إن شاء الله تعالى - ما تقطع به بصحّة ما قلته بلا شكّ ولا تردّد.

[كلام ابن قدامة في الزيارة]

وأزيدك على ما ذكره النووي ما يؤكّد ما قلته:

قال ابن قدامة الحنبلي في كتابه «المغني»: «فصل: فإن سافر لزيارة القبور والمشاهد.

قال ابن عقيل: لا يُباح له الترخص؛ لأنّه منهيّ عن السفر إليها. قال النبيّ ﷺ: (لا تُشدّ الرحال إلّا إلى ثلاثة مساجد).

والصحيح إباحته وجواز القصر فيه؛ لأنّ النبيّ ﷺ كان يأتي قباء ماشياً وراكباً، وكان يزور القبور، وقال: (زوروها تُذكّركم الآخرة).

وأمّا قوله: (لا تُشدّ الرحال إلّا إلى ثلاثة مساجد) فيحمل على نفي الفضيلة، لا على التحريم، وليس الفضيلة شرطاً في إباحة القصر، ولا يصرّ بتفاؤها». انتهى.

وفيه من الفوائد:

أنّه صرّح بأنّ الصحيح أنّ ذلك في نفي الفضيلة، وأنّ المنع إنّما نسبه إلى ابن عقيل فقط.

فأين قول ابن تيمية «وطوائف كثيرون من العلماء المتقدّمين»؟!

وابن قدامة وسع لباع في الاطّلاع، فكيف يقتصر على ابن عقيل وحده ويترك طوائف كثيرة من العلماء المتقدّمين؟!

وهذه كتب الحنابلة وغيرها مشهورة، فأين النقل فيها عن المتقدّمين؟! وهذا ممّا يعرّفك أن ابن تيميّة يكذب في الإجماع.

ومن تتبّع ذلك وجده صحيحاً، ويقل في بعض الأحيان شيئاً. وهو كذب محقّق، وإذا نقل كلام لغير لم ينقله على وجهه، وإن نقله على وجه دسّ فيه ما ليس من كلام ذلك المنقول [عنه][1].

فاعلم ذلك، وتنبّه، وحذر تقليده تهلك كما هلك

وقول ابن عقيل «لا يباح الترخص لزيارة القبور، لأنّه منهيّ عن السفر إليها».

لم يصرّح بقبور الأنبياء، ولا بقبر النبي ﷺ، ولم يُعلم مراده

وعلى تقدير إرادته ذلك فهو محطوء، وضعيف الإدراك في الاستدلال؛ ألا تراه عتمد على الحديث.

---

(١) هل ندري بلغ في الخيانة في النقل إلى هذه الدرجة، يُعدّ من متوسطي المؤمنين، فضلاً عن فضل العلماء، فضلاً عن الأئمة المجتهدين؟!

ونحن نعلم أنّ العالم لا يكون عالماً، وتثق الناس بعدالته، إلّا إذا كان أميناً أمانة لا يتطرّق إليها الشكّ أصلاً، لأنّه يتكلّم في دين الله، وإنا لا ندري من هذا حاله كيف مدحه بعض الناس؟!

لا سيما إذا لوحظ ما تقدّم من تكفيره بإجماع علماء المذاهب الأربعة

وقد أجاد وأفاد من قال: إنّ ذلك المدح صدر ممّن مدح في أوائل أمر هذا الرجل، فإنّه كان يتظاهر بما يُمدح به، ولكن لمّا تبيّن حاله لم يمدحه إلّا من يوافقه على مشربه، لا بل هذا دأبه كلّ الدهر ونصحه. وقول المؤلف «المنقول» أي عنه انتهى. مصحّحه

وما بن عقيل؟!

وسيأتي ـ إن شاء الله تعالى ـ أنّ الحديث لا دليل فيه لأحد عوامّ الفقهاء، وأنّ من تمسّك به فقد تمسّك بما لا يفيد.

[حديث «لا تشدّ الرحال» وألفاظه]

ولا بدّ من ذكر ألفاظ الحديث لتتمّ الفائدة، وقد ورد بألفاظ مختلفة.

أشهرها (لا تُشدّ الرحال إلّا إلى ثلاثة مساجد: مسجدي هذا، ومسجد الحرام، ومسجد الأقصى).

واللفظ الثاني (تشدّ الرحال إلى ثلاثة مساجد) من غير لفظ الحصر.

واللفظ الثالث (إنّما يسافر إلى ثلاثة مساجد: مسجد الكعبة، ومسجدي، ومسجد إيلياء) وإيلياء بيت المقدس.

وهذه الروايات ذكرها مسلم في فضل المدينة من حديث أبي هريرة ﷺ.

وذكر قبل ذلك في سفر المرأة من حديث أبي سعيد الخُدري ﷺ (لا تشدّ الرحال إلّا إلى ثلاثة مساجد: مسجدي هذا، والمسجد الحرام، والمسجد الأقصى).

وهذا بصيغة النهي، والثلاثة الأُوَل بصيغة الخبر.

وبصيغة النهي رواه الطبراني من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: (لا تشدّ الرحال إلّا إلى ثلاثة مساجد: مسجد إبراهيم، ومسجد محمّد، ومسجد بيت المقدس).

وهذا اللفظ رواه ابن راهويه في مسنده من حديث أبي سعيد ﷺ.

هذا ما يتعلّق بلفظ الحديث.

وأمّا ما يتعلّق بمعناه، وما يدلّ عليه.

فاعلم: أنّ الاستثناء في الحديث مُفرَّغ كما هو واضح، ولابدّ فيه من تقدير، وهو شيئان:

أحدهما: لا تُشدّ الرحال إلى مسجد إلّا إلى المساجد الثلاثة.

وعلى هذا فلا حجّة للخصم فيه.

والتقدير الثاني: لا تُشدّ الرحال إلى مكان إلّا إلى المساجد الثلاثة.

ولابدّ من تقدير أحد هذين؛ ليكون المستثنى مندرجاً تحت المستثنى منه.

والتقدير الأوّل - وهو لا تشدّ الرحال إلى مسجد - أولى من التقدير الثاني - وهو لا تشدّ الرحال إلى مكان - لأنّه على التقدير الأوّل جنس قريب؛ لما فيه من قلّة التخصيص؛ لأنّ التخصيص على تقدير إضمار الأمكنة أكثر، فيكون مرجوحاً.

ولو خطر بالبال تقدير العموم في الحديث لكان خيالاً فاسداً لسياقه، وللقرينة القطعية فيه، ولدخول التخصيص بالأدلّة السمعيّة والعملية الكثيرة جدّاً.

أمّا سياقه فلأنّ الحديث إنّما ورد لبيان شرف هذه المساجد الثلاثة وخيْرتها[1] على غيرها من المساجد، كما مرّ من أنّها مساجد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ولهذا تُضاعف الأعمال فيها ما لا تُضاعف في غيرها، والمتكلّمون على الحديث إنّما يتكلّمون في ذلك ونحوه؛ من لزوم النذر المتعلّق بها، دون الزيارة.

ولهذا لمّا تكلّم بعض المتأخّرين على الحديث وأدرج ذكر الزيارة، اعترض عليه في ذكر الزيارة، وقيل: لم يرد الحديث لذلك، وإنّما ورد لبيان شرف هذه المساجد دون غيرها.

وهذا كافٍ في بطلان الاحتجاج بالحديث لمنع زيارة القبور، والزيادة على

---

(١) قول المصنّف صوابٌ ومعنى «خيْرتها» فضلها. وفي هامش المطبوعة صوابه وخيريتها كما لا يخفى. انتهى مصححه

ذلك إنما هو على وجه التنزّل.

فمن حتجّ بالحديث لمنع الزيارة ينبغي أن لا يرسم في حزب الفقهاء ألبتّة؛ لما قرّرنا.

وإن قلنا بعموم اللفظ فكذلك؛ لأنّ وقائع الأعيان إذا تطرّق إليها الاحتمال، كساها ثوب الإجمال، وسقط بها الاستدلال. وهذا في الاحتمال وإن كان فيه بعد، فما طنّك بهذا الحديث، الذي لا احتمال فيه من لفظه؟!

وهو قرينة ظاهرة قويّة ولها شاهد ظاهر الدلالة، كما أذكره إن شاء الله تعالى، ولا سيما وقد دخله التخصيص بالأدلّة السمعيّة والعملية، مع كثرة المخصّصات على اختلاف أنواعها، فمنها ما هو فرض عين، ومنها ما هو فرض كفاية، ومنها ما هو مندوب، ومنها ما هو قُربة، ومنها ما هو مباح، وصور هذه الأنواع لا تكاد تنحصر عدّاً.

فأمّا القرينة اللفظية فذكر المساجد الثلاث في الاستثناء، وهو بعض المستثنى منه، وهذا قويّ جدّاً.

و«إلى» تكون بمعنى اللام إذا حروف الصلة ينوب بعضها عن بعض كما هو كثير في الكلام، فالمعنى لا تشدّ الرحال لمسجد إلّا للمساجد الثلاثة.

ويؤيّد هذا أنّ رجلاً من التابعين قال لابن عمر رضي الله عنهما: أُريد أن آتي الطور، قال: إنّما تُشدّ الرحال إلى ثلاثة مساجد: مسجد الحرام، ومسجد رسول الله ﷺ، ومسجد الأقصى، ودع عنك الطور، فلا تأته.

فهذا عبدالله بن عمر رضي الله عنهما من أجلّاء الصحابة رضي الله عنهم، لم يتكلّم إلّا في شدّ الرحال إلى المساجد دون غيرها، وهو أعلم بالحديث وموارده ومصادره.

وعلى ما له تكلّم العلماء في شدّ الرحال بالنسبة إلى المساجد، وقد ذكر

لقاضي عياض في كتابه «الإكمال»، ولم يتعرّض لزيارة الموتى أصلاً. وليس في الحديث تعرّض لمنع الزيارة ألبتّة.

وهذا وغيره يُعرف أنّ دعوى: أنّ الحديث يدلّ على منع الزيارة.

من كلام الجهلة العارين عن العلوم التي بها يصحّ الاستدلال والاستنباط، ومن سوء الفهم وبلادة الذهن وجموده.

وأنّ مثل هذا لا يحلّ لأحد تقليده ولا الأخذ بقوله؛ لتحقّق جهله ببعض ما قرّرنا، ﴿ومن لم يجعل الله له نوراً فماله من نور﴾.

ومثل هذا لا يزال يتخبّط في ظلمة جهله هو وأتباعه، وبالله التوفيق.

وقوله في حواب الفتوى: ولو نذر أن يأتي مسجد النبيّ ﷺ أو المسجد الأقصى؛ لصلاة أو عتكاف، وجب الوفاء بهذا النذر عند مالك والشافعي وأحمد، ولم يجب عند أبي حنيفة؛ لأنّه لا يجب عنده بالنذر إلّا ما كان من جنسه واجباً بالسمع... إلى آخره.

فقوله: «وجب الوفاء عند الشافعي» يوهم أنّ الشافعي جازم بذلك، وليس كذلك، بل هو قول مرجوح عند الشافعي، وعلّل: بأنّ مسجد النبيّ ﷺ والمسجد الأقصى لا يقصدان بالنسك، فأشبها سائر المساجد.

وقوله: «ولو نذر أن يصلّي في مسجد أو مشهد، أو يعتكف فيه، أو يسافر إلى غير هذه المساجد الثلاثة، لم يجب ذلك باتّفاق الأئمة».

وهذا أيضاً ليس بصحيح، وما رأيت أجرأ منه على الفجور، ولا أكذب في دعوى الاتفاق والإجماع، وقصده بذلك الترويج على الأغمار، ولا عليه من عصب الجبّار.

وفي كلامه مسألتان:

الأولى: إذا نذر أن يصلّي في مسجد أو مشهد، أو يعتكف فيه؛ من غير

المساجد الثلاث. وقد حكى الاتفاق على أنه لا يجب الوفاء بذلك، وهو لهتان البيّن.

ففي ذلك قولان آخرين: أحدهما يجب الوفاء مطلقاً، والثاني: إن نذرها في الجامع تعيّن، وإلّا فلا.

المسألة الثانية: إذا نذر أن يسافر إلى غير هذه المساجد الثلاثة، فإنها لا تجب عليه باتفاق الأئمة.

ثمّ أردف ذلك بقوله: «وأمّا السفر إلى بُقعة غير المساجد الثلاث، فلم يوجب أحد من العلماء السفر إليه إذا نذره، حتى نصّ العلماء على أنه لا يسافر إلى مسجد قباء؛ لأنه ليس من المساجد الثلاث».

فانظر إلى هذه الجُرأة والفجور بقوله: «حتى نصّ العلماء» والمسألة فيها خلاف. وقد قال الإمام محمد بن مسلمة المالكي: إذا قصد مسجد قباء لزمه؛ لأنّ النبيّ ﷺ كان يأتيه كلّ سبت راكباً وماشياً.

بل قال الليث بن سعد: إذا نذر المشي إلى أي مسجد كان؛ لزمه؛ سوى في ذلك المساجد الثلاثة وغيرها.

وقال الإمام ابن كج ـ من كبار أصحابنا ـ إذا نذر أن يزور قبر النبيّ ﷺ فعندي أنه يلزمه وجهاً واحداً. ولو نذر المشي إلى مسجد النبي ﷺ، ففيه قولان. أحدهما لا يلزمه، والثاني يلزمه، فعلى هذا لابدّ من ضمّ عبادة، قيل: يلزمه صلاة. وقيل: عتكاف ولو لحظة، والصحيح أنّه يتخيّر في مسجد النبي ﷺ بين الصلاة وبين زيارة قبر النبيّ ﷺ.

فجعل زيارة قبر النبيّ ﷺ طاعة، وهي أخصّ من القربة، وجعلها تقوم مقام الصلاة التي هي أفضل عبادات البدن، والمساجد موضوعة لها بالأصالة.

وقوله: وقالوا: لأنّ السفر إلى زيارة قبور الأنبياء والصالحين بدعة، لم يفعلها

أحد من الصحابة ولا التابعين، ولا أمر بها رسول الله ﷺ، ولا استحبّ ذلك أحد من أئمة المسلمين، فمن اعتقد ذلك عبادة وفعلها فهو مخالف للسُّنّة والإجماع لأُمّة.

قلت لمّا وقف بعض الأئمة على هذا الكلام الباطل، قال: هذا من التهت الصريح، وصدق رحمه الله لما أذكره، وفيه أيضاً تدليس من الفجور.

وبيان التدليس: قوله: «قالوا»:

فإنّه يوهم أنّ هذا الذي قاله لم يقله من عند نفسه، وإنّما نقله عن أئمة المسلمين، وأنّه مجمع عليه.

وهذا شأنه يدلّس في الإغراء ليحمل الناس على عقيدته الفاسدة المفسدة؛ لأنه لو عزاه إلى نفسه لما انتظم له ذلك، لعلم الحُذّاق النُّقّاد بسوء فهمه وكثرة خلطه؛ ممّا عرفوه منه في بحثه وتدوينه إذا انفرد.

فقوله: لأنّ السفر إلى قبور الأنبياء

يشمل قبر الخليل والكليم وقبر النبيّ ﷺ وغيرهم

وقوله: والصالحين.

يشمل قبور الصحابة رضي الله عنهم وغيرهم، وهو مطالب بتصحيح ما عزاه إلى أئمة المسلمين، وأنّه مجمع عليه، وهو لا يجد إلى ذلك سبيلاً، بل المنقول خلاف ذلك كما تراه.

وقوله: إنّ السفر إلى قبور الأنبياء بدعة؛ لم يفعلها أحد من الصحابة ولا التابعين.

هذا من الفجور والإفك المبين.

[زيارة قبر النبي ﷺ سنّة سائرة بين المسلمين]

ولم تزل الناس على زيارة قبر الخليل والكليم وغيرهما في سائر الأعصار من

جميع الأمصار.

وهذا بلال ـ مؤذن رسول الله ﷺ ـ سافر من الشام إلى المدينة الشريفة لزيارة قبر رسول الله ﷺ.

وممن ذكر ذلك الحافظ ابن عساكر، والحافظ عبد الغني المقدسي في كتابه «الإكمال» في ترجمة بلال.

وقال فيه: ولم يؤذن لأحد بعد النبي ﷺ ـ فيما يروى ـ إلا مرة واحدة في قدمة قدمها إلى المدينة، لزيارة قبر رسول الله ﷺ، طلب إليه الصحابة رضي الله عنهم ذلك، فأذن لهم ولم يتم الأذان.

وقيل: إنه أذن لأبي بكر ﷺ في خلافته. انتهى

وممن ذكر ذلك أيضاً إمام الأئمة في الحديث أبو الحجاج المشهور بالمزي[1].

وسبب سفر بلال ﷺ لزيارة قبره ـ عليه الصلاة والسلام ـ أنه رأى النبي ﷺ في المنام، فقال له: ما هذه الجفوة يا بلال؛ أما آن لك أن تزورني يا بلال؟

فانتبه من نومه حزيناً وَجِلاً خائفاً، فقعد على راحلته من حينه، وقصد المدينة، فأتى قبره ـ عليه الصلاة والسلام ـ فجعل يبكي عنده ويمرغ وجهه عليه، فأقبل الحسن والحسين رضي الله عنهما إليه، فجعل يضمهما ويقبلهما ثم قالا له: يا بلال نشتهي أن نسمع أذانك الذي كنت تؤذن للنبي ﷺ في المسجد، فعلا سطح المسجد، ووقف موقفه الذي كان يقف.

فلما أن قال «الله أكبر» ارتجت المدينة، فلما قال: «أشهد أن لا إله إلا الله» زادت رجتها.

فلما قال «أشهد أن سيدنا محمداً رسول الله» خرجت العواتق من خدورهن، وقالوا: أبعث رسول الله ﷺ، فما رُؤي يوم أكثر باكياً ولا باكية بالمدينة بعد

---

(١) المزي: بكسر الميم وتشديد الزاي نسبة إلى قرية بالشام. انتهى من نسخ الأصل

رسول الله ﷺ ـ من ذلك اليوم.

فهذا بلال من سادات الصحابة رضي الله عنهم قد شدّ رحله من الشام، وسافر لزيارة قبره ـ عليه الصلاة والسلام ـ فقط، وأعلم بذلك الحسن والحسين، وطار ذلك الخبر في المدينة، وكان في خلافة عمر بن الخطاب ﷺ، ولم ينكر عليه ولا أحد من الصحابة رضي الله عنهم.

ولو كان السفر لزيارة قبره مخالفاً للسنة والإجماع لأُمّة لأنكروا عليه؛ لأنّهم ينكرون أدنى شيء من المخالفات، ولا سيّما عمر وهو أمير المؤمنين، وأشدّ الناس في الإنكار وأبطشهم يداً، وأحدّهم لساناً ووقوفاً مع الحق، ولا تأخذه في الله لومة لائم.

وأيضاً فمن الشائع الذائع أنّ عمر بن عبدالعزيز ﷺ كان يُبرد البريد من الشام لأجل السلام على رسول الله ﷺ فقط

ذكر هذا غير واحد منهم القاضي عياض في أشهر كتبه وهو «الشفاء».

وذكره الإمام هبة الله في كتابه «توثيق عُرى الإيمان».

وذكره الإمام العلّامة ابن الجوزي في كتابه مثير العزم الساكن إلى أشرف الأماكن.

وذكره الإمام أبو بكر أحمد ابن النبيل في مناسك له لطيفة جرّدها من الأسانيد والتزم فيها الثبوت، ولفظه: «وكان عمر بن عبدالعزيز يبعث بالرسول قاصداً من الشام إلى المدينة، ليُقرئ النبيّ ﷺ السلام، ثمّ يرجع».

وهذا الإمام أبو بكر قديم تُوفّي في سنة سبع وثمانين ومائتين.

فهذا السيّد الجليل عمر بن عبدالعزيز يبعث الرجل لأجل السلام فقط، لا لقصد آخر، وكان ذلك في زمن صدر التابعين، وكان سفر بلال في زمن صدر الصحابة رضي الله عنهم، ولم يُنكر عليه ذلك أحد، فدل على أنّ السفر لأجل زيارة

قبره ﷺ ولأجل السلام عليه، مجمع عليه بين الصحابة و لتابعين.

فأين دعوى ابن تيميّة أنّ ذلك مخالف للسنّة ولإجماع الأُمّة.

وقد تقدّم قول عمر ﷺ لكعب الأحبار: ألا تسافر لتزور قبر رسول الله ﷺ وتتمتّع بزيارته؟! فقال: نعم يا أمير المؤمنين أفعل.

وهذا أو بعضه كافٍ في إبطال دعوى ابن تيميّة وإثبات فجوره.

وأتبرّع بزيادة، وأقتصر غاية الاقتصار

قال بعض الأئمة: وأمّا زيارة قبر النبيّ ﷺ فلم ينكرها أحد، ولم يقع في السفر إليها نزع، ولم يزل سفر الحجيج إليه في السلف والخلف

وصدق ﷺ، وهذه كتب العلماء من جميع المذاهب مصرّحة بذلك.

وقد تقدّم قول القاضي عياض: زيارة قبره ﷺ سُنّة من سُنن المرسلين، ومجمع عليها ومرغّب فيها، واحتجّ بحديث ابن عمر وأنس رضي الله عنهم، وقد ذكر غير القاضي عياض ما ذكره.

[ابن تيمية من أعظم الكذبة والفجّار]

وقد تقرّر ذلك، في ذكري ما أتبرّع به ـ مع غاية الاقتصار ـ تتحقّق أنّ ابن تيمية من أعظم الكَذَبة والفُجّار، وقد انكشف لك ذلك كما ينكشف ضوء النهار:

فمن ذلك ما ذكره القاضي أبو الطيب ـ وهو من أئمة الشافعيّة ـ قال: ويُستحبّ أن يزور قبر النبيّ ﷺ بعد أن يحجّ ويعتمر.

وكيف يزور من غير سفر، سواء كان راكباً أو ماشياً؟!

وقال المحاملي في كتابه «التجريد» ويستحب للحاج إذا فرغ من مكّة أن يزور قبر النبيّ ﷺ انتهى.

وقال الحليمي في كتابه «المنهاج»، عند ذكر تعظيم النبيّ ﷺ، وذكر جملة، ثمّ

قال وهذ كان من لذين رُزقوا مشاهدته وصحبته، وأمّا ليوم فمن لتعظيم سيان تعظيمه وزيارته.

وقال لماوردي في كتابه «الحاوي»: أمّا زيارة قبر لنبيﷺ فمأمور بها ومندوب إليها.

وقال في كتابه «لأحكام السلطانية» في باب الولاية على لحجيج، وذكر كلاماً يتعلّق بأمير لحاجّ، ثمّ قال: وإذا قضى الناس الحجّ أمهلهم لإمام لأيام لتي جرت عادتهم بها، فإذ رجعوا سار بهم على طريق لمدينة للنبيﷺ، ليجمع بين حجّ بيت الله ـ عزّوجلّ ـ وزيارة قبر رسول اللهﷺ؛ رعاية لحرمته، وقياماً ببعض حقوق طاعته، وذلك وإن لم يكن من فروض الحجّ، فهو من مندوبات لشرع لمستحبّة وعبادت الحجيج المستحسنة[1].

فتأمّل هذه لعبارة من هذا الإمام، وما اشتملت عليه من لفوائد لجليلة.

وقال لإمام لعلّامة ـ لمتّفق على دينه وكثرة علومه وعُلُوّ قدره ـ لشيخ أبو إسحاق لشيرزي، ويستحبّ زيارة قبر النبيﷺ

وذكر لقاضي حسين نحوه، وكذا الروياني.

ولا حاجة إلى لإطالة بذكر من قال بزيارة قبره ـ عليه لصلاة و لسلام ـ سوء في ذلك قبل الحجّ أو بعده.

وذكر لسبر إليه كثير من أصحاب الشافعي، من جملتهم لسيّد لجليل أبو زكريا يحيى لنووي ـ قدّس الله روحه ـ قال في كتابه «لمناسك وغيرها»، «فصل، في زيارة قبر النبيﷺ سواء كان ذلك على طريقه أم لا، فإنّ زيارته ﷺ من أهمّ لقرّبات وأربح لمساعي وأفضل الطلبات» انتهى.

---

(١) الأحكام السلطانية للماوردي ص١٠٩ الباب العاشر

[زيارة قبر النبي من أفضل المندوبات]

وإذا عرفت هذا فأتبرّع إليك بزيادة أُخرىٰ مع زيادة فائدة:

قال الحنفية: إنّ زيارة قبر النبي ﷺ من أفضل المندوبات والمستحبّات، بل تقرب من درجة الواجبات.

وممّن صرّح بذلك الإمام أبو منصور محمّد الكرماني في مناسكه، والإمام عبدالله بن محمود في شرح المختار.

وقال الإمام أبو العبّاس السروجي: وإذا انصرف الحاجّ من مكّة ـ شرّفها الله تعالى ـ فليتوجّه إلى طيبة مدينة رسول الله ﷺ لزيارة قبره، فإنها من أنجح المساعي.

وكلامهم في ذلك يطول.

[كلمات أئمة الحنابلة في استحباب زيارة قبر النبي ﷺ]

وأتبرّع بزيادة هي أبلغ في تكذيب هذا الفاجر؛ لأنّها من كلام أئمّة الحنابلة.

قال ابن الخطاب محفوظ الكلوذاني الحنبلي ـ في كتابه «الهداية» في آخر باب صفة الحجّ ـ: ستُحبّ له زيارة قبره ﷺ وصاحبيه.

وفيه فائدة، وهي استحباب شدّ الرحال الى زيارة الصدّيقين رضي الله عنهما.

وقال الإمام أحمد بن حمدان في «الرعاية[1] الكبرى». ويستحبّ لمن فرغ من نُسكه زيارة قبر النبي ﷺ وقبر صاحبيه رضي الله عنهما، وذلك بعد فرغ الحجّ وإن شاء قبله.

وذكر نحو ذلك غيرهم، ومنهم الإمام أبو الفرج بن الجوزي في كتابه «مثير

(١) هي الدعاية بالدال. منهى مصححه

لعزم». وعقد له باباً في زيارة قبره ـ عليه الصلاة والسلام ـ و ستدلّ بحديث عن عمر وأنس رضي الله عنهم.

وذكر بن قدامة في «المُغني» فصلاً في ذلك، فقال: يستحبّ زيارة قبر لنبيّ ﷺ. و ستدلّ بحديث ابن عمر وأبي هريرة رضي الله عنهم.

ولا أُطوّل بذكري من ذكره من أئمة الحنابلة تبعاً لإمامهم رضي الله عنهم.

[القول بوجوب زيارة قبر النبي ﷺ]

وأتبرّع بزيادة لفوائد جمّة ومهمّة:

فمن ذلك ما في كتاب «تهذيب الطالب» لعبد الحقّ الصقلي عن أبي عمران لمالكي أنّ زيارة قبر لنبيّ ﷺ واجبة

وقال عبد لحقّ في هذا الكتاب: رأيت في بعض المسائل لتي سُئل عنها أبو محمد بن أبي زيد، قيل له في رجل استؤجر بمال ليحجّ به، وشرطو عليه لزيارة، فلم يستطع تلك لسنة أن يزور لعذر منعه من ذلك؟ فقال: يردّ من لأُجرة بقدر مسافة لزيارة، وهي مسألة حسنة.

وفي كتاب لنوادر لأبن أبي زيد فائدة أُخرى، فإنّه بعد أن حكى في زيارة لقبور من كلام بن حبيب ومن المجموعة عن مالك ومن كلام لقرطبي ـ بإسكان لراء وبالطاء لمهملتين ـ ثمّ قال عقبة[1]: ويأتي قبور الشهداء بأحُد ويسلّم عليهم، كما يسلّم على قبره ﷺ وعلى صاحبيه، وفي الكتاب المذكور.

ويدلّ على لتسليم على أهل القبور ما جاء في السُّنّة و لتسليم على لنبيّ ﷺ وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما مقبورين.

---

(١) هي عقبة بالقاف، لا بالتاء. انتهى مصحّحه

وقال العدوي المالكي في «شرح الرسالة»: إنّ المشي إلى المدينة لزيارة قبر النبي ﷺ أفضل من المشي إلى الكعبة وبيت المقدس.

وصدق رضي الله عنه؛ لأنه أفضل البقاع بالإجماع.

فهذه نُبذة يسيرة، والمقول في ذلك كثيرة جداً، وفيها الإجماع على طلب الزيارة بعدت المسافة أو قصرت، وعمل الناس في ذلك في جميع الأعصار من جميع الأقطار.

[تجاسر السلفية على وفد الله تعالى وضيوف الرحمن]

فكيف يحلّ لأحد أن يبدعهم بالقول الزور، ويضلّل أئمّة أمّة المختار؟!

بل من المصائب العظيمة أنْ يوقع وفد الله تعالى في جريمة عظيمة، وهي عصيانهم بشدّ رحالهم لزيارة قبره عقب ما رجوه من المغفرة وبتركهم الصلاة التي هي أحد أركان الدين؛ لأنّهم إذا لم يَجُزْ لهم القصر وقصّروا، فقد تركوا الصلاة عامدين، ومن تركها متعمّداً قُتل إمّا كفراً وإما حدّاً.

ولا يصدر هذا إلّا ممّن هو شديد العداوة لوفد الله تعالى، ولحبيبهم الذي[1] يرتجون بزيارتهم له استحقاق الشفاعة التي بها نجاتهم.

[حكم ابن تيمية على مجموعة من أحاديث الزيارة بالوضع والكذب]

وسأذكر عقب هذا الأدلّة الخاصة بالحثّ على زيارته، وأتعرّض لما قدح فيها وفي لأئمة رواتها.

ومنه تعلم أنّ هذا الخبيث لا دين له يعتمد عليه، فتره وضحاً جلياً لا تشكّ فيه ولا ترتاب.

---

(١) «الذي» بالإفراد انتهى مصحّحه

فنسأل الله تعالى العافية مما يرتكبه هذا الزائغ الفاجر الكذّاب.

وأن يذيقه أشدّ العذاب، على ما أفسد في هذه الأُمّة، وسيلقى أشدّ الحساب.

وقوله «إنّ ما ذكروه من الأحاديث في زيارة قبر النبيﷺ، فكلّها ضعيفة باتّفاق أهل العلم، بل هي موضوعة لم يروِ أحدٌ من أهل السُّنَن المعتمدة شيئاً منها».

أعوذ بالله من مكر الله عزّوجلّ. انظر ـ أدام الله لك الهداية، وحماك من الغواية ـ إلى فجور هذا الخبيث، كيف جعل الأحاديث المرويّة في زيارة قبر خير البريّة كلّها ضعيفة.

ثمّ أردف ذلك بقوله: «باتّفاق أهل العلم بالحديث»، ولم يجعل الأئمّة الذين أذكرهم من أهل الحديث؟!

ولعجب أنّه روى عنهم في مواضع عديدة من كتبه، وهذا من جهله وبلادة ذهنه وعماية قلبه؛ من أنّه لا يعلم تناقض كلامه ونقضه بذلك

ثمّ إنّه لم تحمد نار خبثه بما ذكره من الفجور، حتّى أردف ذلك بأنّ الأحاديث المرويّة في زيارة القبر المكرّم موضوعة؛ يعني أنّها كذب.

وهذا شيء لم يَرَ أحد من علماء المسلمين ولا من عوامّهم فاه به، ولا رمز إليه؛ لا مَن في عصره ولا مَن قبله ـ قاتله الله تعالى ـ.

ولقد أسهرت هذه القضيّة عن زندقته بتجرّئه على الإفك على العلماء، وعلى أنه لا يعتقد حرمة الكذب والفجور، ولا يُبالي بما يقول، وإن كان فيه عظائم الأمور.

[التحذير من تقليد ابن تيمية]

وقد عرفت هذا، فينبغي أيّها المؤمن ـ الخالي من البدْعة والهوى ـ أن لا تقلّده

فيما ينقله، ولا فيما يقوله، بل تفحص عن ذلك، وتسأل غير أتباعه ممّن له رتبة في العلوم، وإلّا هلكت كما هلك هو وأتباعه[١].

[أحاديث في زيارة قبر النبيﷺ]

ولنذكر بعض الأحاديث الواردة في زيارة قبره ـ عليه الصلاة والسلام ـ وأذكر من رواها، وأحذف الأسانيد؛ لأنها لا تليق بهذه الأوراق، وقد رُويت من طُرُق بلغت بها منزلة الصحيح أو قاربت، أو منزلة الحسن، وأذكر من صحّح بعضها، وأبيّن أنه من الأئمّة الأعلام بالحديث، وأنه يُعتمد بتصحيحه، وبالله التوفيق[٢].

فمن الأحاديث في زيارة قبره ـ عليه الصلاة والسلام ـ قولهﷺ: (من زار قبري وجبت له شفاعتي).

رواه غير واحد من أئمّة الحديث، منهم الدارقطني والبيهقي وغيرهما، والحديث مرويّ بهذا اللفظ في عدّة نسخ معتمدة، وهو من حديث ابن عمر رضي الله عنهما. وخرّجه أبو نعيم في كتابه «إيجاف[٣] الزائر وإطراف المقيم للسائر في زيارة سيّدنا رسول اللهﷺ».

وخرّجه الحافظ ابن عساكر في «تاريخه» في زيارة قبره ـ عليه الصلاة والسلام ـ بعد وفاته كان كمن زاره في حياته.

وخرّجه العقيلي وغيره، فلا نطوّل بذكر من رواه من أئمّة الحديث المعتبرين

---

(١) لعلّك في دهشة ممّا مرّ مفصّلاً من تعمّد كذب هذا الرجل في نقوله واحكامه، حتّى تعدّى كذبه لخلق إلى رسول اللهﷺ! انتهى مصحّحه

(٢) يجد تفصيل الكلام عن هذه الأحاديث متناً وسنداً وبحثاً حول رواتها في (شفاء السقام) للإمام السبكي، فراجعه

(٣) لا أدري أهو إيجاف كما ذكره أم إيجاف! انتهى مصحّحه

وهو مرويٌ من طرق تبلغ الحسن.

قال أئمّة الحديث والحديث أو الأحاديث وإن لانت أسانيد مفرداتها، فمجموعها يُقوّي بعضها بعضاً، ويعتبر الحديث حديثاً حسناً، ويحتجّ به.

وممّن ذكر ذلك أبو زكريّا النووي، ذكره في «شرح المهذّب» في كتاب الحجّ.

وهي فائدة جليلة ينبغي معرفتها؛ ليعلم بها جهل هذا الفاجر المبالغ في فجوره.

وقوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ: (وجبت له شفاعتي) معناه حقّت، ولابدّ منها بوعده الصادق، وفي ذلك بشارة عظيمة لزوّار قبره الشريف، وهي أنّ من زاره محتسباً مات على التوحيد، وهذه البشارة العظيمة من ثمرة زيارة قبره المكرّم.

وفي قوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ: (وجبت له شفاعتي) تحقيق لما قلته، لأجل إضافة الشفاعة إليه، ولأنّه ـ عليه الصلاة والسلام ـ مُشفّع لا تردّ شفاعته؛ لا في حياته، ولا بعد وفاته، ولا في عرصات القيامة.

وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: (من زار قبري حلّت له شفاعتي).

رواه الحافظ البزّار في مسنده، وهو بهذا اللفظ في نسخة معتمدة، وسمعها الحافظ أبو الحسين الصدفي على الإمام أبي عبدالله مورتش[1] سنة ثمانين وأربعمائة.

ومعنى «حلّت» وجبت، وقد عزى عبدالحقّ هذا الحديث إلى البزّار والدارقطني.

وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: (من حجّ فزار قبري بعد وفاتي فكأنّما زارني في حياتي).

رواه الدارقطني في سُننه وغيرها.

---

(١) هو مرتس كما في الأصل انتهى مصحّحه

وفي رواية (ومن مات بأحد الحرمين بُعث في الآمنين يوم القيامة).

ورواه غير واحد، وهو من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، ورُوي من طرق.

ورواه الحافظ بن عدي في كتابه «الكامل» بزيادة، قال -عليه الصلاة والسلام- (من حجّ فزار قبري بعد موتي كان كمن زارني في حياتي وصحبني)، وذكر البيهقي في سننه أنّه ذكره ابن عدي، وخرّجه هو بدون هذه الزيادة، وخرّجه الحافظ بن عساكر من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قال -عليه الصلاة والسلام- (من حجّ فزار قبري بعد موتي كان كمن زارني في حياتي)، زاد السهمي (وصحبني)، ورواه الحافظ بن الجوزي بهذه الزيادة.

وقال عليه الصلاة والسلام: (من حجّ البيت ولم يزرني فقد جفاني).

رواه ابن عديّ في كتابه «الكامل» وغيره.

وهو من حديث ابن عمر رضي الله عنهما. وخرّجه الدارقطني في أحاديث مالك التي ليست في المُوطَّأ، وهو كتاب ضخم.

وقال ابن الجوزي: إنّ هذا الحديث موضوع، وقد نُسب ابن الجوزي في ذلك إلى السرف، فاعرف ذلك.

وقال عليه الصلاة والسلام: (من زار قبري أو زارني كنتُ له شفيعاً أو شهيداً).

رواه أبو داود الطيالسي في مسنده، وهو من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، ورواه بمام الأئمة ابن خزيمة، ورواه البيهقي وابن عساكر من جهة الطيالسي.

وروي بزيادة: قال أبو داود الطيالسي: حدّثنا سوار بن ميمون أبو الفرج العبدي، قال: حدّثني رجل من آل عمر رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من زار قبري -أو قال: من زارني- كنت له شفيعاً أو شهيداً، ومن مات في أحد الحرمين بعثه الله في الآمنين يوم القيامة).

وقال عليه الصلاة والسلام (من زارني متعمّداً كان في جواري يوم القيامة).

رواه أبو جعفر العقيلي وغيره، ومنهم الحافظ ابن عساكر.

وفي رواية السحامي[1]، قال: حدثنا هارون بن قزعة، عن رجل من آل الخطاب، عن النبيّ ﷺ، قال: (من زارني متعمّداً كان في جواري يوم القيامة، ومن سكن المدينة وصبر على بلائها كنت له شفيعاً أو شهيداً يوم القيامة، ومن مات في أحد الحرمين بُعث في الآمنين يوم القيامة).

ومن هو في جواره فهو في الآمنين لا محالة ﷺ.

وقال عليه الصلاة والسلام: (من حجّ حجّة الإسلام، وزار قبري، وغزا غزوة، وصلّى في بيت المقدس، لم يسأله الله فيما افترض عليه).

ورواه الحافظ أبو الفتح الأزدي في فوائده.

وهذا أبو الفتح اسمه محمد بن الحسين، وكان حافظاً من أهل العلم والفضل، وصنّف كُتُباً في علوم الحديث. ذكره الخطيب البغدادي في تاريخه، وابن السمعاني في الأنساب، وأثنى عليه محمد بن جعفر بن غيلان، وذكره في الحفظ وحسن المعرفة بالحديث.

وقال عليه الصلاة والسلام: (من زارني محتسباً كنت له شفيعاً أو شهيداً).

وفي رواية (من زارني محتسباً إلى المدينة كان في جواري يوم القيامة).

وهو من رواية أنس ﷺ، ورواه غير واحد، وممّن ذكره ابن الجوزي في كتابه «مثير العزم الساكن» وهو من طريق ابن أبي الدنيا، وروي من طرق.

وقال عليه الصلاة والسلام: (من زارني ميتاً فكأنّما زارني حيّاً، ومن زارني وجبت له شفاعتي يوم القيامة، وما من أحد من أُمّتي له سعة، ثمّ لم يزرني، فليس له عذر).

---

(١) في الأصل «الحامي» انتهى. مصحّحه، والظاهر أنّه السحامي

رواه الحافظ أبو عبد الله محمد بن محمود النجار في كتابه الدُّرَّة الثمينة في فضائل المدينة.

وعن ابن عبّاس رضي الله عنهما أنّه ـ عليه الصلاة والسلام ـ قال: (من زارني في مماتي كان كمن زارني في حياتي، ومن زار قبري حتّى ينتهي إلى قبري كنت له يوم القيامة شهيداً).

خرّجه العقيلي، ورواه ابن عساكر من جهته إلّا أنّه قال: (من زارني في المنام كان كمن زارني في حياتي) وهي فائدة جليلة.

وعن عليّ ـ كرم الله وجهه ـ أنّه ـ عليه الصلاة والسلام ـ قال: (من زار قبري بعد موتي فكأنّما زارني في حياتي، ومن لم يزرني فقد جفاني)

رواه الحسن بن يحيى بن جعفر في كتاب «أخبار المدينة»

ورواه الحافظ أبو عبد الله بن النجار في كتابه «الدُّرّة الثمينة» (من لم يزرني فقد جفاني).

ورواه الحافظ أبو سعيد عبد الملك بن محمّد النيسابوري في كتابه «شرف المصطفى ﷺ»، وهذا الكتاب في ثمان مجلّدات

وأبو سعيد هذا له مصنّفات في علوم الشريعة. تُوفّي سنة ستّ وأربعمائة بنيسابور، وقبره بها مشهور ويتبرّك به، وكان ينتفع بكلامه وبموعظه، وتنجلي بكلامه القلوب قدّس الله روحه ونوّر ضريحه.

وقال عليه الصلاة والسلام: (من جاءني زائراً لا تحمله حاجة إلّا زيارتي، كان حقّاً عليّ أن أكون له شفيعاً يوم القيامة). وفي رواية: (من جاءني زائراً لم تنزعه حاجة إلّا زيارتي).

رواه غير واحد من الأئمّة الحفّاظ المشهورين من حديث ابن عمر رضي الله عنهما. ومنهم الطبراني في «معجمه الكبير»، ومنهم الدارقطني في «أماليه»، ومنهم

أبو بكر بن المقري في «معجمه»، ومنهم العلّامة الحافظ أبو علي سعيد بن عثمان بن السكن، ذكره في كتابه المسمّى بـ«الصحاح المأثورة عن رسول الله ﷺ».

ها هنا أنبه لما أذكره: قال في خطبة كتابه هذا: «أمّا بعدُ فإنّك سألتني أن أجمع لك ما صحّ عندي من السُّنن المأثورة، التي نقلها الأئمّة من أهل البلدان، الذين لا يطعن فيهم طاعن، ممّا نقلوه، فتدبّرتُ ما سألتني عنه، فوجدتُ جماعة من الأئمّة قد تكلّفوا ما سألتني من ذلك، وقد وعيتُ جميع ما ذكروه، وحفظتُ عنهم أكثر ما نقلوه، وقتديتُ بهم، وأجبتُك إلى ما سألتني من ذلك، وجعلتُه أبواباً في جميع ما يحتاج إليه في أحكام المسلمين، فأوّل من نصب نفسه لطلب الصحيح البخاري، وتابعه مسلم وأبو داود والنسائي، وقد تصفّحت ما ذكروه وتدبّرتُ ما نقلوه، فوجدتهم مجتهدين فيما طلبته، فما ذكرته في كتابي هذا مجملاً فهو ممّا أجمعوا على صحّته، وما ذكرته بعد ذلك ممّا اختاره أحد الأئمّة الذين سمّيتهم، فقد ثبتت حجّته في قبول ما ذكره، ونسبتُه إلى اختياره دون غيره، وما ذكرته فيما ينفرد به أحد أهل النقل للحديث، فقد بيّنتُ علّته، ودللتُ على انفراده دون غيره، وبالله التوفيق». انتهى.

فانظر ـ أرشدك الله تعالى ـ هذا الاتّفاق من هذا الإمام، والحرص على تحقيق ما وضعه في كتابه؛ لم يقنع بوضع البخاري ومسلم وغيرهما مع جلالتهم، بل تتبّع ما وضعوه حتّى وضع في كتابه.

وهذا شأن الأئمّة الحافظين من الله ـ عزّ وجلّ ـ من أن يقع منهم زلل في الإخبار عن رسول الله ﷺ.

ثمّ إنّه رضي الله تعالى عنه ذكر في هذا الكتاب ـ في كتاب الحجّ في باب ثواب من زار قبر النبيّ ﷺ عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «من جاءني زائراً لم ينزعه إلّا زيارتي كان حقّاً على الله أن أكون له شفيعاً يوم

لقيامة).

ولم يذكر في هذا الباب غير هذا الحديث، وهذا حكم منه بأنّ هذا الحديث مجمع على صحّته بمقتضى الشرط الذي شرطه في الخطبة.

وهو ﷺ إمام جليل، حافظ مُتقن، كثير الحديث، واسع الرحلة، سمع بالعراق وخرسان وما وراء النهر، وسمع بالشام ومصر، وسمع من خلائق من أئمّة الحديث والأجلّاء أهل الدين، وهو من القدماء أصله بغداديّ، وسكن مصر، ومات بها في نصف المحرّم سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة رحمة الله تعالى عليه وعلى أمثاله.

وإذ كان هذا حديثاً صحيحاً فكيف يحلّ لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يجعله ضعيفاً، فضلاً عن أن يجعله كذباً؟!

وأقلّ درجات الثقة الخائف أن يقول: صحّحه فلان، وأمّا القول بوضعه وبتكذيب هذا الإمام وأمثاله، فلا يصدر إلّا من زنديق محقّق الزندقة بهذه القرينة وغيرها.

عائذاً بالله ـ عزّ وجلّ ـ من ذلك.

[طعن ابن تيمية في الأئمة والأحاديث المروية]

وإذ تقرّر لك ذلك، فانظر ـ أرشدك الله تعالى وعافاك ـ هذا الخبيث الطويّة كيف طعن في هذه الأئمّة الأعلام في علوم الحديث، الذين بهم يُقتدى، وعليهم يُعوّل، وعند ذكرهم تتنزّل الرحمة.

ورماهم بالوضع على رسول الله ﷺ.

وطعن في هذه الأحبار المرويّة عن هذه الأئمة.

وهذا شأنه ـ قاتله الله تعالى ـ كلّما جاء إلى شيء لا غرض له فيه، طعن فيه وإن كان مشهوراً ومعمولاً به بين الأئمّة.

ولا عليه لا من الله ـ عزّوجلّ ـ ولا من رسوله ﷺ، ولا من الناس.

وتنبّه لشيء عظيم رمى به هذه الأئمّة. وهو أنّ من قاعدته أنّ من كذب على النبيّ ﷺ متعمّداً أكفر، فعليه من الله ـ عزّوجلّ ـ ما يستحقّه.

وهذا وغيره يدلّ على أنّ عنده ضغينة للنبيّ ﷺ ولصاحبيه، وكذا لأُمّته؛ ليفوّت عليهم هذا الخير الذي رتّبه على زيارة قبره ـ عليه أفضل الصلاة والسلام ـ.

فاحذروه، وحذروا تزويق مقالته المطويّ تحتها أخبث الخبائث، فإنّها لا تحوز إلّا على عاميّ أو بليد الذهن، كالحمار يحمل أسفاراً، أو خالٍ من العلوم وأخبار الناس.

وبالله تعالى التوفيق، والله أعلم.

قال عليه الصلاة والسلام: «إنّ بين يدي الساعة دجاجلة[1] فاحذروهم».

رواه مسلم في صحيحه من حديث جابر بن سَمُرة ﷺ.

وقوله: «وفي الصحيحين عن النبيّ ﷺ أنّه قال في مرض موته: لعن الله اليهود والنصارى اتّخذوا قبور أنبيائهم مساجد» يحذّر ما فعلوا. قالت عائشة: ولولا ذلك لأبرزوا قبره، ولكن كره أن يُتّخذ مسجداً، فهم دفنوه في حجرة عائشة خلاف ما اعتادوه من الدفن في الصحاري؛ لئلّا يصلّي أحد عند قبره ويُتّخذ مسجداً، ويُتّخذ قبره وثناً...» إلى آخره.

[احتجاج ابن تيمية على منع الزيارة وتدليسه في كلامه]

تأمّل ـ نصرك الله تعالى وفهّمك ـ كيف بعد تضليل هذه الأئمة وفجوره؛

---

(١) هذا إخبار من المصنّف أنّ هذا الرجل دجّال وهو يؤيّد ما سبق لنا من أنّ فعله فعال دجاجلة. انتهى مصحّحه

بادّعاء أنّ هذه الأحاديث المتعلّقة بالزيارة كذب.

كيف أردف ذلك بهذا الحديث؛ محتجّاً به على منع زيارة القبر الشريف.

وفيه من أقوى الأدلّة على تدليسه وسوء فهمه؛ إذ الحديث ليس فيه تعرّض للزيارة ألبتّة. وإنّما فيه منع اتّخاذ القبور مساجد.

ونحن لم نتّخذ قبره المكرّم المعظّم مسجداً، ولا نصلّي فيه ولا إليه، بل نزوره وندعو مع الأدب والخشوع والسكينة ورؤية العظمة؛ لعلمنا بأنّه يسمعنا ويجيبنا. وعلى ذلك جرت عادة المؤمنين.

قال بعضهم: رأيت أنس بن مالك ﷺ خادم رسول الله ﷺ أتى قبر النبيّ ﷺ، فوقف فرفع يديه حتّى ظننت أنّه قد افتتح الصلاة، فسلّم على النبيّ ﷺ، ثمّ انصرف.

وقوله: «فهم دفنوه في حجرة عائشة رضي الله عنها خلاف ما اعتادوه من الدفن في الصحارى؛ لئلّا يصلّي أحد عند قبره، ويُتّخذ مسجداً، فيتّخذ قبره وثناً».

هذا أيضاً من التدليس منه وسوء الفهم على عادته، وما قاله باطل يموّه به على الضعفاء من الطلبة وغوغاء الناس.

وإنّما دفنوه في حجرة عائشة رضي الله عنها؛ لما رُوي لهم أنّ الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- يدفنون حيث يُقبضون.

وكان ذلك بعد اختلافهم أين يدفن؟ فقال بعضهم: يُدفن في مسجده، وقال بعضهم: مع إخوانه.

فقال أبو بكر ﷺ: عندي من ذلك علم فذكر لهم: أنّ النبي يُدفن موضع يقبض، فلمّا روى لهم الحديث دفنوه موضع قبضه.

وهذه من القضايا المشهورة في غاية الشهرة، ولا نعلم أنّ أحداً قال: إنّهم

دفنوه موضع قبضه للمعنى الذي ذكره.

وهذا شأنه إن وجد شيئاً يوافق هواه وخبث طويّته، ذكره ووسّع الكلام فيه وزخرفه. وإن وجد شيئاً عليه أهمله، أو حمله على محمل يعرف به أهل الجهل وتدليسه عند تأمله، وفي بعض المواضع يُعرف من غير تأمّل.

وقوله: وكانت الصحابة والتابعون لما كانت الحجرة النبوية منفصلة عن المسجد لا يدخل للصلاة هناك، ولا يتمتّع بالقبر، ولا دعاء هناك».

هذا أيضاً من الجسارة التي يُزخرف بها على العوامّ وأشباههم من سيّئي الأفهام من الطلبة، فإنّ هذا لا يدلّ على مراده من منع الزيارة، بل كلامه يدلّ على الزيارة بلا هذه الأفعال إلّا الدعاء، فليس كما قال، وسيأتي إن شاء الله تعالى.

ومع ذلك ليس مجمعاً عليه، كما زعمه وأوهمه كلامه.

فإنّ أبا أيوب الأنصاري ﷺ زار والتزم القبر، فأنكر عليه مروان بن الحكم، فوبّخه أبو أيوب، وقال في كلامه ما معناه: «بكوا على هذا الأمر إذ وليه غير أهله»[1].

ذكر ذلك أبو الحسين في كتابه «أخبار المدينة».

وروى عن ابن عمر رضي الله عنهما: أنّه وضع يده على موضع مقعد النبيّ ﷺ من المنبر، ثمّ وضعها على وجهه[2].

وكان ﷺ يتردّد إلى الأماكن التي كان يتردّد إليها رسول الله ﷺ وبر حلته لأجل التبرّك.

---

(١) في ذلك حوار صمّ قبور الصالحين، وأبو أيوب الأنصاري الذي صمّ صريح سنّة الوجود ﷺ، هو أبو أيوب وكفى. انتهى مصحّحه.

(٢) في ذلك حوار لتزاور آثار الصالحين أنّا كنت حتّى الخشب الذي كانوا يجلسون عليه، وابن عمر هو ابن عمر. انتهى مصحّحه.

وقد تقدّمت قصّة بلالﷺ لمّا شدّ رحله لزيارة قبره عليه الصلاة والسلام، فلمّا وصل الضريح المكرّم جعل يمرّغ وجهه عليه ويبكي[1].

وقوله: «ولا دعاء هناك».

قضيّة سياقه أنّ الإجماع على أنّه لا يدعو عند القبر، وهي دعوى عريضة.

ثمّ أكّد ذلك بقوله: «إنّما يفعلونه في المسجد».

ثم أردف ذلك بقوله: «وكان السلف من الصحابة والتابعين إذ سلّموا عليه، وأرادوا الدعاء، دعوا مستقبلي القبلة، ولم يستقبلوا القبر».

ثمّ قال: وأمّا وقت السلام فقال أبو حنيفة: يستقبل القبلة ولا يستقبل القبر، وقال أكثر الأئمّة: يستقبل القبر عند السلام خاصّة، ولم يقل أحد من الأئمّة: إنّه لا يستقبل القبلة عند الدعاء إلّا في حكاية مكذوبة عن مالك، ومذهبه بخلافها.

ثمّ أردف هذا بأمور يحسر بها على الأغمار، بتخيل الوقف عليها من العوامّ حسم باب الزيارة لقبره عليه الصلاة والسلام.

والحاصل من كلامه: أنه لا يُدعى عند القبر بالاتّفاق، ولا يُستقبل القبر عند

---

(١) انظر تمريغ سيدنا بلال وجهه على ضريح خير الخلق، وبلال هو بلال، تجده صورة طبق الأصل لما يحصل من كثير من الزوار اليوم والزيارة للصالحين من أهل البيت وغيرهم، ويقوم ويقعد كثير من المتصنّعين بذلك، ولا يرضون لفاعله غير الشرك بالله، ليحكموا بذلك على بلال الذي يُعدّ من أجلّاء الصحابة، وهو مؤذّن رسول اللهﷺ ليعلم أولئك المتطفّلون أنّ ذلك أثر وجد في النفوس لا يشعرون هم به، يحملهم أنفسهم على الثناء بما يجاوز حسيب رتبهم، وهو من باب قول القائل:

أمرّ على الديار ديار ليلى ... أقبّل ذا الجدار وذا الجدارا

وما حبّ الديار شغفن قلبي ... ولكنّ حبّ من سكن الديارا

هذا قصد أولئك المؤمنين في أمرهم ضريح الصالح من العباد، لا العبادة كما يتوهّم المتطفّلون المتسبّبون للظنّ بالمؤمنين. فلتعلم. انتهى مصحّحه

لدعاء بالإجماع، وأنّ الحكاية التي وقعت بين مالك وأبي جعفر المنصور كذب.

سبحانك هذا بهتان عظيم، وهذا من الفجور الذي لا أعلم أحداً فاه به، ولا رمز إليه؛ لا من العلماء ولا من غيرهم.

أما قضيّة مالك مع المنصور فقد ذكرتها في الكلام على التوسّل، فإنّها صحيحة بلا نزاع.

وأما الدعاء عند القبر فقد ذكره خلق، ومنهم الإمام مالك، وقد نصّ على أنّه يقف عند القبر، ويقف كما يقف الحاجّ عند البيت للوداع، ويدعو، وفيه المبالغة في طول الوقوف والدعاء، وقد ذكره ابن المواز في الموازية.

فأفاد ذلك أنّ إتيان قبر النبيّ ﷺ والوقوف عنده والدعاء عنده من الأمور المعلومة عند مالك، وأنّ عمل الناس على ذلك قبله وفي زمنه، ولو كان الأمر على خلاف ذلك لأنكره، فضلاً عن أن يُفتي به، أو يُقرّه عليه.

وقال مالك في رواية ابن وهب: إذا سلّم على النبيّ ﷺ ودعا يقف ووجهه إلى القبر، لا إلى القبلة، ويدعو ويسلّم، ولا يمسّ القبر بيده.

نعم في «المبسوطة»: لا أرى أنّه يقف عنده ويدعو، ولكن يسلّم ويمضي.

وإنّما ذكرت كلام «المبسوطة» لأنّ من حقّ العالم الذي يؤخذ كلامه أن يذكر ما له وما عليه؛ لأنّ ذلك من الدين.

وقال أبو عبد الله محمّد بن عبدالله السامري في كتاب «المستوعب» في باب زيارة قبر النبيّ ﷺ: «وإذا قدم مدينة رسول الله ﷺ استُحبّ له أن يغتسل لدخوله، ثمّ يأتي مسجد رسول الله ﷺ، ويقدّم رجله اليمنى في الدخول، ثمّ يأتي حائط القبر، فيقف ناحيته، ويجعل القبر تلقاء وجهه، والقبلة خلف ظهره، والمنبر عن يساره، ثمّ ذكر كيفية السلام والدعاء وأطال، ومنه: اللّهمّ إنّك قلت في كتابك المبين ـ عليه الصلاة والسلام ـ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاؤُوكَ﴾ الآية، وإنّي

قد أتيتك مستغفراً، فأسألك أن توجب لي المغفرة، كما أوجبتها لمن أتاه في حال حياته اللهمّ إني أتوجه إليك بنبيك» وذكر دعاء طويلاً، ثم قال «وإذ أراد الخروج عاد إلى القبر فودّع».

وهذا أبو عبدالله من أئمة الحنابلة، وساق هذا الكلام سياقاً لمتّفق عليه، ومن جملة ما أفاد أنّه يتوسّل بالنبيّ ﷺ، ويتوجّه به بعد وفاته كما في حياته، وأنّ الآية عامّة وشاملة للحياة وبعد الوفاة، فتنبّه لذلك.

وكذلك ذكره أبو منصور الكرماني من الحنفية، أنّه يدعو ويُطيل الدعاء عند القبر المكرّم.

وقال الإمام أبو زكريا النووي في مناسكه وغيره: فصل في زيارة قبر النبيّ ﷺ، وذكر كلاماً مطوّلاً، ثمّ قال: «فإذا صلّى تحيّة المسجد أتى القبر، فاستقبله وستدبر القبلة على نحو أربعة أذرع من جدار القبر، وسلّم مقتصداً لا يرفع صوته». وذكر كيفيّة السلام، ثمّ قال: «ويجتهد في إكثار الدعاء، ويغتنم هذا الموقف الشريف...» إلى آخره.

فهذه نُقُول الأئمّة بتطويل الدعاء عند القبر المكرّم، وقد خاب من افترى وكلّ أحد تلحقه الخيبة على قدره.

وقوله «وهذا كلّه محافظة على التوحيد، فإنّ من أُصول الشرك بالله اتّخاذ القبور مساجد، كما قال طائفة من السلف في قوله تعالى: ﴿لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّاً وَلَا سُوَاعاً وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيراً﴾.

قالوا: كان هؤلاء قوماً صالحين في قوم نوح، فلمّا ماتوا عكفوا على قبورهم ثمّ صوّروا على صورهم تماثيل، ثمّ طال عليهم الأمد فعبدوها.

وقد ذكر ذلك المعنى البخاري في صحيحه عن ابن عبّاس رضي الله عنهما، وذكره ابن جرير الطبري في تفسيره وغيره عن غير واحد من السلف...»

إلى آخره.

وأنت ـ أيها اللبيب أرشدك الله عزّوجلّ وزادك بصيرة وفهماً ـ إذا تأمّلتَ هذا الاستدلال منه قطعت بجهله وبخلطه في خبطه. وعلمت بذلك سوء فهمه وخيالاته الفاسدة، ومن نفس الدليل تعلم ذلك.

فإنّه تخيّل بذهنه الجامد وخياله الفاسد أنّ منع الزيارة والسفر إليها من المحافظة على التوحيد، وأنّ الزيارة تؤدّي إلى الشرك وعبادة الأوثان.

وهذا خيال فاسد، لأنّ اتّخاذ الصور مساجد وعيداً والعكوف وتصوير الموتى فيها، هو المحذور، والمؤدّي إلى الشرك عند تطاول الزمان، وهذا هو الممنوع منه، كما هو مصرّح به في الأحاديث الصحيحة في قوله عليه الصلاة والسلام: (لعن الله اليهود والنصارى اتّخذوا قبور أنبيائهم مساجد) يحذر ما صنعوا

وفي قوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ لمّا أخبر بكنيسة بأرض الحبشة، قال: (أولئك إذا مات منهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً، ثمّ صوّروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله عزّوجلّ).

فهذا هو الذي حذّر منه رسول الله ﷺ.

وأمّا الزيارة والسلام على الميّت والدعاء له وعنده، فلم يؤدِّ إلى ذلك ولا له تعلّق بتلك الأمور.

ومن تخيّل ذلك فهو من سوء فهمه في هذا الأمر الواضح.

ولو كان يؤدّي إلى ذلك لما شرّعه رسول الله ﷺ.

وأبلغ من ذلك لما أمره الله ـ عزّوجلّ ـ بالخروج إلى قبور الشهداء الذين أكرمهم بالشهادة، حين نزل عليه جبريل عليه السلام، وأمره بأمر الله تعالى بالخروج إلى بقيع الغرقد، بل كان تمنّاه أن لو أراد الخروج.

وأيضاً فإنّه ـ عليه الصلاة والسلام ـ قال: (زوروا القبور) كما رواه مسلم

وغيره بزيادة..

إلى غير ذلك مما علّمهم عليه الصلاة والسلام كيفيّة الزيارة، كما جاء في الأحاديث في زيارتها قولاً وفعلاً، وتواتر ذلك.

وأجمع عليه المسلمون حتى أنّ منهم من أوجب زيارتها؛ لظاهر قوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ: (زوروا القبور).

فلو كانت الزيارة من الأمور التي تؤدّي إلى الشرك ـ كاتّخاذها مساجد وعيداً والتصوير ونحو ذلك ـ لم يشرعه الله ـ عزّوجلّ ـ لنبيّه ﷺ، ولا شرّعها رسول الله ﷺ بقوله وبفعله.

وقد أطلعه الله ـ عزّوجلّ ـ على ما أراد من غيبه، وبعثه بدينه القويم، وهو الصراط المستقيم.

ولا فعلها الصحابة رضي الله عنهم الذين هم من أصفياء الله تعالى.

بل كانوا أحرص الناس على ذلك؛ خوفاً من إعادة ما جاء رسول الله ﷺ بإماتته ودفنه وتدارس أثره، والله أعلم.

وأنت أيّها العاقل الفطن إذا تصوّرت ما نقلتُهُ لك، وتعقّلْتَهُ بذهنك الصحيح، علمت وتحقّقتَ أنّه ليس لأحد أن يحرّم إلّا ما حرّم الله تعالى ورسوله، وأنّه لا يحلّ له لتهجّم على مورد الشرع ومصادره بخيالاته الفاسدة.

وأنّه بذهنه الجامد أدرك ما لم يدركه الصحابة رضي الله عنهم

ولو فتحنا هذا الباب، وتتبّعنا هذه الخيالات الفاسدة، لهدمنا أموراً كثيرة من الدين ولانحلّت عُرَه عُروة عروة، وتبدّلت بعد الجهالة، ولمات الدين، وذلك من الخسران المبين.

شعر:

فالقول ما قال النبيُّ وصحبُهُ ... فإذا اقتديتَ بهم فنعمَ المُقْتدى

[واحتجاج ابن تيمية بحديث آخر على مدّعاه]

وأعلم أنّ من جملة ما احتجّ به على منع زيارة قبره ـ عليه الصلاة والسلام ـ حديث (اللّهمّ لا تجعل قبري وثناً وعيداً، اشتدّ غضب الله على قوم اتّخذوا قبور أنبيائهم مساجد).

وهذا من أظهر الأمور على عمى قلبه وطَمْس بصيرته.

كيف يتخيّل متخيّل ـ فضلاً عن أن يعتقد معتقد ـ أنّ قبره المكرّم المعظّم يصير وثناً.

كلّا والذي رفع ذكره، وأعلى قدره وعظّمه، وملأ كتابه بذلك، لا يمكن تصوّر ذلك.

وكيف يُتصوّر وهو لا تردّ له دعوة ولو في حقّ غيره؟! فكيف بما هو في حقّه؟!

[موارد من أدعية النبي ﷺ]

وهذا من المعلوم لشائع الذائع عند المتّسع الباع، ولو عددت لك نقطة من ذلك مع الاقتصاد، لضاقت القراطيس والألواح، ولما أدرك غبار مباديه ولما لاح:

دعا عليه الصلاة والسلام لسعد بن أبي وقّاص، أن يجيب الله دعوته، فما دعا على أحد إلّا استُجيب له.

وإذا كان هذا قد نالَه ببركة دعوته، فكيف بدعائه لنفسه، لا سيّما في هذا الأمر العظيم؟!

ومرض أبو طالب فعاده عليه الصلاة والسلام، فقال: ادعُ ربّك أن يعافيني، فقال: اللّهمّ اشفِ عمّي، فقام في الحال كأنّما نشط من عقال، فقال له: يا ابن أخي أيطيعك ربّك؟ فقال: يا عمّاه لئن أطعت الله ـ عزّوجلّ ـ ليطيعنّك).

ودعا عليه الصلاة والسلام لابنته فاطمة رضي الله عنها أنّ الله لا يُجيعها،

قالت رضي الله عنها: فما جعتُ بعد.

ودعا عليه الصلاة والسلام لعليٍّ ﷺ أن يكفيه الحرّ والبرد، فكان يلبس في الشتاء ثياب الصيف، وفي الصيف ثياب الشتاء، ولا يصيبه حرّ ولا برد.

ودعا عليه الصلاة والسلام لابن عباس، فقال: اللَّهمَّ فقِّهْهُ في الدين وعلمه[1] التأويل، فكان كذلك، وكان بعد ذلك يُسمّى الحبْر وترجمان القرآن.

ودعا لعبد الرحمن بن جعفر بالبركة في صفقة يمينه، فما اشترى شيئاً إلّا ربح فيه.

ودعا عليه الصلاة والسلام لعروة بن أبي الجعد، فكان لو اشترى التراب لربح فيه.

ودعا عليه الصلاة والسلام لعبد الرحمن بن عوف ﷺ بالبركة، قال عبد الرحمن: فلو رفعت حجراً لرجوتُ أن أصيب تحته ذهباً.

وبدت عليه ناقة فدعا بردّها، فجاءها إعصار ريح حتّى ردّها عليه.

فانظر كيف من كساه خِلَع القُرب والمنزلة عنده أن جعلها سائسة بعيره.

والإعصار أحد الأعاصير، وهو الريح العاصف التي ترتفع إلى السماء كأنّها عمود.

وفي حديث أسماء بنت عميس رضي الله عنها أنّه عليه الصلاة والسلام كان يُوحى إليه ورأسه في حِجْر عليٍّ ﷺ، فلم يصلِّ العصر حتّى غَرُبت الشمس، فقال عليه الصلاة والسلام: اللَّهمَّ إنّه كان في طاعتك وطاعة رسولك، فاردد عليه الشمس. فقالت أسماء رضي الله عنها: فرأيتُها غربت، ثمّ رأيتُها طلعتْ بعدما غرُبتْ، ووقعتْ على الجبال، وذلك بالصهباء بخيبر).

---

(١) وعلمه انتهى مصحّحه

وقيل: رجعت حتّى بلغت نصف المسجد[1].

ومثل هذا كثير جداً. وقد ذكرتُ جملة من ذلك في فصل الحجّ في كتاب «تسيه لسالك على مظانّ المهالك».

يـــا مـــن أمـــدَّ أبـا هـرٍّ بـمزْودةٍ
فأوقـــرتْ مـــنهُ للـــغادينَ أحـمالُ

جـئتـاكَ نَـطْوي الفجاجَ المُـقْفراتِ عـلى
عـيسٍ لهـا فـي السُّرى وجـدٌّ وإرقـالُ

قال أبو هريرة ﷺ: (أصاب الناس مخمصة، فقال لي رسول الله ﷺ: هل من شيء؟ فقلت: نعم، شيء من التمر في المزْود. قال: فأْتني به، فأدخل يده، فأخرج قبضة، فبسطها ودعا بالبركة، ثمّ قال: ادعُ عشرة فأكلوا حتّى شَبِعوا، ثم عشرة كذلك؛ حتّى أطعم الجيش كلّهم وشبعوا، ثمّ قال: خذ ما جئتَ به، وأدخل يدك و قبض منه، ولا تُكفِئه، فقبضتُ على أكثر ما جئتُ به، فأكلتُ منه وأطعمتُ حياة رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما إلى أن قُتل عثمان ﷺ، فانتُهب مني، فذهب).

وفي رواية: فقد حملتُ من ذلك التمر كذا وكذا أوسقاً في سبيل الله تعالى.

فقد تحققتَ بهذا فضلاً عن غيره، وهو مثل الرمال كثيرة، يا صحيح الدهن وقويّ الإيمان به، أنّه لا يكون قبره وثناً ألبتة.

بل في الحديث الصحيح: (قد أيس الشيطان أن يُعبد في جزيرة العرب).

أوَ مثل هذا السيّد المُعظَّم المُكرَّم لا يُتوسّل به، ولا تُشدّ الرحال إليه؟!

قاتل الله العزيزُ من قاله، وضاعف العذاب عليه.

---

(١) هذا حديث ردّ الشمس

جـــديرٌ بـنا نـــعى إليــه ونَـدلجُ
فـــذاك الذي يُـــعى إليــه ويُـدلَجُ
جـعلنا إليــه فـــي الحـــياة احتياجنا
ونـحنُ إليــه فـي القـيامةِ أحـوجُ
جـميعُ الورى والرُّسْلِ تـحت لوائه
ومـــن ذا له عـن جـاه أحـمدَ مَـخْرجُ

أو لهذا لسيّد الدليل المبجّل لا يشدّ إليه رحل ولا يتوسّل به ؟!
قاتل الله قائله، وجعله على رَضْف[1] جهنّم يتقلّب

زكا قـدرُهُ مـن ذا يُـجاريه فـي العـلا
وأعـــلامُهُ فـــي ذِرْوة العـزِّ تُـركَزُ
زحـاماً تـرى للـرُّسْل تـحت لوائه
وكـــلُّ نـــبيٍ بـــاللِّوا يـــتعزَّزُ
زعـــيم بـتعجيل الشـفاعة عـندما
أُولو العـزمِ عـنها فـي القيامة تـعجزُ
زفـــيرُ لظـــىً عـنّا يُـردُّ بـجاهه
إذا هـــيَ مـن غـيظٍ عـلينا تـميَّزُ
زكـاة عـلى الأبـدان تسعى لقبره
فســـيروا وزوروا فـالغنائمُ تُـحرَزُ
فـــمن زارهُ نـــالَ الـسعادَة كـلَّها
ومـــن مـاتَ عـجّزاً ذاك والله أمـيزُ

(١) الرَّضف: الحجارة المحماة

فمن توسّل به ـ عليه الصلاة والسلام ـ إنّما توسّل به لعلوّ قدره ورتبته، ورتفاع منزلته وكمالها عند ربّه، وعظيم إجلاله وفضله على جميع خلقه، كما أخبر هو عن نفسه.

فإنّه سيّد الأوّلين والآخرين، وحبيب ربّ العالمين، وأحبّ الخلق إليه أجمعين.

ذلك شائع وذائع في الأقدمين والآخرين؛ حتّى في أعدائه المبطلين.

قديماً بدا قبلَ النبيّين فضلُهُ
وإن قدموا بعثاً ففي الفضل أسبقُ
قضى اللهُ أن لا يلحق الرُّسْل لاحقٌ
ولا أحدٌ منهم بأحمدَ يلْحَقُ
قطعنا بأن لا يخلق اللهُ شبهَهُ
قديماً ولا في آخر الخلق يُخلقُ
قل الحقّ هل تدري لأحمدَ مُشْبهاً
فبادر وقل: لا لا، فإنّك تصدُقُ
قرأنا أحاديثاً صِحاحاً بأنّه
عليه لواءُ الحمدِ في الحشر يخْفِقُ
قياماً له الأملاكُ والرُّسْل تحتَهُ
ومن حوله صفّواً وحفّواً وأحْدَقوا
قويّ ولكن ليّنٌ في أُناسه
رفيق ولكن بالمساكين أرفقُ
قريب لأرباب الحوائج ما ترى
لأحمدَ حُجّاباً ولا البابُ يُغلقُ

وكيف لا يكون كذلك ؟ وهو كما قيل فيه

أكـــرمُ العـــالمينَ أصـــلاً وفـــصلاً
وجـــــلالاً وســـيّد البـــطحاءِ
خُصّ بالحوضِ والشفاعة في الحشرِ
لكـــلِّ الورى ورَفْـــعِ اللـــواءِ
والمـقام المـحمود والسـبق للنّا
س دُخـولاً فـي الجـنّةِ الفـيحاء
ثـمّ يُـعطى وسـيلةً هـي أعـلى
درجـــاتِ الجـــنان ذات البقاء
هـــو جـــاري وعُـــدّتي ونـــصيري
وعـــمادي فـــي شـــدّتي ورخـــائي

وليس هذ خاصّاً بي وبفقري، بل هو كما قيل فيه.

له المـــقام الذي مـــا نـــاله أحـــدٌ والفخرُ والمجدُ والإحسانُ والحَسَبُ
وَهْـو الشـفيعُ الذي تُـنجي شـفاعتُهُ كـــلَّ الأنـــام إذا مـا مسّها العَطَبُ
مـــحمّدٌ خـــيرُ خـــلْقِ الله قـــاطبةً وَهْو الذي لفخار المجد يكتسبُ
نـــوّهْ بـــهِ يـــا مُنادي الحـيّ إنَّ بـهِ تـــزولُ عـن قـلْبيَ آلآلامُ والكُـرَبُ
عـــانٍ له مُـــقلةٌ تشـتاقُ تـــنظرُهُ ومُـــهجةٌ بـــلهيب الشـــوقِ تـلتهبُ

وكيف لا تلتهب؟! وقد شاهدت ما شاهدت مما لا يمكن لنطق به، ولا أفوه، وكيف كيف أسلوه؟!

وعـــى اللهُ بـــالبطحاءِ أيّـــامنا التـــي مـضت كـوميض البَرقِ ثَـمّ تـولّتِ

وحبّذا قِباباً بين سَلْع إلى قِبا ... لعزّتها يحلو خضوعي وذلّتي
نَعِمتُ بها لكن كأحلام نائم ... كأنّ لم تزُرْها العيسُ حتّى تولّتِ
فهل لي إلى تلك العوالم عودةٌ ... ولو دونها بيضُ الصوارم سُلّت
وألثَمُ إجلالاً ثراها وأجتلي ... شموسيَ في أرجائها وأهلّتي
سقى اللهُ ذاتَ الظلّ من دارة الحمى ... حيا نَهلتْ منهُ رُباها وعلّت
وسحّت على أعلام سَلْع مديمةً ... غمائمُ بالنوءِ الرَّويّ استهلّتِ
فتلك لَمعمَرُ اللهِ دارُ أحبّتي ... وسُكّانها كلّ المرادِ وبُغيتي
ألا ليتَ شعري هل أزورُ قِبابَها ... فتحمَدُ فيها العيسُ شدّي ورِحْلتي
وأنشدُ في أكنافها مترنّماً ... لمن نظم مدحي فيه بيت قصيدتي
ألا يا رسولَ اللهِ أنتَ وسيلتي ... إلى الله إذْ ضاقت بما رُمتُ حيلتي

و ن شئت قلت:

إلى اللهِ في غفرانِ ذنبي وزلّتي.

فالتوسّل به ـ عليه الصلاة والسلام ـ لم يزل منذ آدم عليه السلام، لا يتوقّف فيه أحد، ولا يطعن؛ إلى أن ظهر بعض زنادقة اليهود وغلاتهم في بعضه ـ عليه الصلاة والسلام ـ.

قال: وإنّه بموته بطلت حُرمتُهُ وجاهُهُ، فلا يتوسّل به، ولا يقال: يا جاه محمّد.

وتمّ دلك بتوارث سلالتهم معتقدين ذلك مُصرّين عليه.

[استدلال ابن تيمية على أن التوسّل شرك، والردّ عليه]

ثمّ زاد هذا الخبيث: أنّ التوسّل به شرك.

وقرّره بتقرير ألحقه بقوله: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾.

ودلك يدلّ على أنّه من أجهل الجهلة.

فإنّ لتوسّل به ـ عليه الصلاة والسلام ـ معناه: أسأل الله ـ عزّوجلّ ـ برسوله، وأتشفّع إليه به.

فهو سائل لله ـ عزّوجلّ ـ لا لغيره.

ولا يلزم من لتوسّل به أو بشخص والتشفّع إليه به، أن يكون عنده، ولا تتّخذه إلهاً وربّاً من دون الله، ولا جعله شريكاً في الإلهية.

ومن جعل لتوسّل بشخص، مثل هؤلاء[1]، فهو من جهله وسوء فهمه وعدم تعقّله ما يقول.

ومثل هذ لا يحلّ لأحد أن يقلّده، ولا ينظر في كلامه إلّا من له رتبة لتمييز بين لحقّ و لباطل، وإلّا هلك وهو لا يشعر.

وقد قال عليه لصلاة والسلام «حياتي خير لكم ومماتي خير لكم، قالو: يا رسول الله قد عرفنا أنّ حياتك خير لنا، فكيف وفاتك خير لنا؟ قال: «أمّا حياتي فإنّكم كلّما أحدثتم حدثاً أحدث الله لكم المحرج منه بي، فإذ متّ فلا أزل أُنادي من قبري «ربّ أُمّتي» حتّى يُنفخ في الصور، ثم لا أزل أُجاب أربعين سنة حتّى يُنفخ لأُخرى، وتعرض عليّ أعمالكم، فما كان من حسن شكرتُ الله عليه، وما كان سيّىء دعوتُ الله أن يغفره».

رو ه لإمام لعلّامة هبة الله في كتابه «توثيق عُرى لإيمان»، ورو ه غيره.

فهو ـ عليه لصلاة و لسلام ـ رحمة لنا في حياته وبعد وفاته، فكيف لا يُتوسّل به إليه، ولا نُعمل لنُزُل[2] لقناعيس[3] نحوه وإليه.

وذلك ممّا أجمع أهل لتوحيد عليه، وأجمعوا على تكفير من قال بخلاف ذلك.

---

(١) ها محذوف هو لمفعول لثاني لـ«جعل»، تقديره «شركاً» لـ«تفهم لكلام» انتهى مصحّحه

(٢) مفرده نازل، وهو لبعير لذي طلع ثانيه

(٣) مفرده قنعاس، وهو لجمل لضخم لعظيم

صرّح به أئمّة الأُمّة، وأوّلهم مالك.

وكان ابن تيميّة ممّن يعتقد ويُفتي بأنّ شدّ الرحال إلى قبور الأنبياء حرام، لا تُقصر فيه الصلاة، ويصرّح بقبر الخليل وقبر النبيّ ﷺ.

وجاء بريديّ من مصر باعتقاله على ذلك فاعتقل.

[ابن القيّم وابن كثير وتعزيره لأجل اتباع ابن تيمية]

وكان على هذا الاعتقاد تلميذه ابن قيّم الجوزيّة الزرعي، وإسماعيل بن كثير الشركويني.

فاتّفق أنّ ابن قيّم الجوزيّة سافر إلى القدس الشريف، ورقى على منبر في الحرم ووعظ، وقال في أثناء وعظه، بعد أن ذكر المسألة، وقال: ها أنا رجع، ولا أزور الخليل. ثمّ جاء إلى نابلس، وعمل له مجلس وعظ، وذكر المسألة بعينها حتّى قال: فلا يزور قبر النبيّ ﷺ

فقام إليه الناس وأرادوا قتله، فجاء منهم والي نابلس، وكتب أهل القدس وأهل نابلس إلى دمشق يعرّفون صورة ما وقع منه، فطلبه القاضي المالكي، فتردّد، وصعد إلى الصالحية إلى القاضي شمس الدين بن مسلم الحنبلي، وأسلم على يديه!

فقبل توبته، وحكم بإسلامه، وحقن دمه، ولم يعزّره لأجل ابن تيميّة.

ولمّا كان يوم الجمعة رابع شعبان، جلس القاضي جلال الدين بعد العصر بالمدرسة العادلية، وأحضر جماعة من جماعة ابن تيميّة كانوا معتقلين في سجن الشرع، فادّعى على إسماعيل بن كثير صاحب التاريخ أنّه قال: إنّ التوراة والإنجيل ما بُدّلا، وأنّهما بحالهما كما أُنزلا، وشهدوا عليه بذلك، وبُصق في وجهه، فعُزّر في مجلس بالدِّرّة، وأُحرج وطيف به، ونُودي عليه بما قاله.

ثمّ أُحضر ابن قيّم الجوزيّة، وادُّعي عليه بما قاله في القدس الشريف وفي

بالحبس، فأنكر، فقامت عليه البيّنة بما قاله.

فأُدِّب وحمل على جمل، ثمّ أُعيدوا في السجن.

ولمّا كان يوم الأربعاء أُحضر ابن قيّم الجوزيّة إلى مجلس شمس الدين المالكي، وأردو ضرب عنقه[1]، فما كان جوابه إلّا أن قال: إنّ القاضي الحنبلي حكم بحقن دمي وبإسلامي وقبول توبتي.

فأُعيد إلى الحبس إلى أن أُحضر الحنبلي، فأُخبر بما قاله، فأُحضر ولم يثبت له عُذر.

وضرب بالدِّرّة، وأُركب حماراً وطيف به في البلد والصالحية، وردّوه إلى الحبس، ولم يزل هذا في أتباعه.

وحضر شخص إلى دمشق يقال له أحمد الظاهري، وكان قد حفظ آيات المتشابه وأحاديثه، فكان يسردها على العوامّ وآحاد الناس من الفقهاء، فعظّمه أتباع ابن تيميّة وأكرموه.

ثم إنه توجّه إلى القاهرة، فشرع يسرد الآيات والأحاديث، فعلم به الإمام العلّامة الشيخ سراج الدين البلقيني فطلبه، وأعلم به برقوق، فأخذوه وقيّدوه، وكانوا يضربونه بالسياط أوّل النهار، ثم يستعملونه في العمارة، فإذا كان آخر النهار أعادوا عليه الضرب.

ثمّ بلغني أنّ آخر الأمر أن ضربوا عُنُقه.

[ابن رجب الحنبلي يكفر ابن تيمية]

وكان الشيخ زين الدين ابن رجب الحنبلي ممّن يعتقد كفر ابن تيميّة، وله عليه

---

(١) هذه قيمة من القلم يراها القارئ محتشمة أمامه في هذا السياق، فليعرفها ولا يعتز. انتهى مصحّحه

لردّ، وكان يقول بأعلى صوته في بعض المجالس: معذور لسُبكي؛ يعني في تكفيره.

والحاصل: أنّه وأتباعه من الغلاة في التشبيه والتجسيم، والازدراء بالنبي ﷺ وبعض الشيخين، وبإنكار الأبدال الذين هم خلفاء الأنبياء.

ولهم دواهٍ أُخر لو نطقوا بها لأحرقهم الناس في لحظة واحدة

فنسأل الله تعالى العافية ودوامها. إنّه على ما يشاء قدير، وبالإجابة جدير.

وجرّسوا[1] بابن القيّم وابن كثير، وطيف بهما في البلد وعلى باب الجوزيّة؛ لفتواهم في مسألة الطلاق، والله أعلم.

وأعلم، أنّي قصرت على الكلام على هذه الفتوى لإشاعتها بين العوامّ، وفيها التعرّض لمنع الوسيلة، ومنع شدّ الرحال إلى قبر سيّدنا رسول الله ﷺ، والاستدلال له لما قاله بالتحسير والتمويهات التي بيّنا بطلانها وفسادها.

وأنّ ذلك من أظهر الأُمور على فحوره في النقل والإفتاء.

وأنّه لا يحلّ أن يقلّده ولا يأخذ عنه، ولا ينظر في كلامه ولا يسمعه إلّا من يكون له رتبة التمييز بين الحقّ والباطل، وإلّا هلك وهو لا يشعر[2].

---

(١) أي جلدوا

(٢) هذا حكم من هذا الإمام الكبير على كلّ من يتبع ابن تيمية بأنه هالك في دينه، وانظر معنى الهلاك في مثل هذا المقام

ومن هنا نرثي لإخواننا الموحودين والعابرين الذين اعتزوا بهذا الرجل المسكين، ووراءه ساروا

وكان بودّنا أن نرثي إخواننا الموجودين هذا الكتاب؛ ليعرفوا منه قيمة هذا الرجل، ثمّ بعد ذلك يقصروا لأنفسهم

والحمد لله الذي عافانا مما ابتلى به كثيراً من خلقه. انتهى مصحّحه

[الدعوة إلى معارضة ابن تيمية وأتباعه السلفية قولاً وعملاً]

ثمّ من لأُمور المهمّة المقرّبة إلى الله -عزّوجلّ- وإلى رسوله وإلى وزيريه رضي الله عنهما، بسط الألسن والأيدي فيهم؛ جرياً على ما درج عليه العلماء والسلاطين، منذ أثار هذا الخبيث هذه الخبائث

وأن يُعلن بالتوسّل بسيّد الأوّلين والآخرين

وأن يُعتنى بإظهار شدّ الرحال وإعمال المُطيّ والأقدام إلى خير خلقه وحبيب لقلوب، ومن بذكره تنجلي الكروب، وبهتزّ الطروب.

وبالصلاة والسلام عليه تذهب الذنوب، التي بسببها حصل الإبعاد عن المرور وبعد الدور:

روى زيد بن أسلم أنّ عمر خرج ليلة يحرس، فرأى مصباحاً في بيت، وإذ عجوز تنفش صوفاً وتقول:

على محمّد صلاة الأبرارْ	صلّى عليه الطيّبون الأخيارْ
قد كنتَ قوّاماً بكا في الأسحار	يا ليت شعري والمنايا أطوارْ

هل تجمعُني وحبيبي[1] الدارْ

تعني رسول الله ﷺ.

قال فجلس عمر رضي الله عنه يبكي شوقاً إلى حبيبه رسول الله ﷺ، وتتصعّد أنفاسه من نار لشوق، لولا دموع لحبّين تطفيء نار الشوق لاحترقت أكبادهم بأنفسهم.

يا خليليَّ قد بلغتُ القصدا	وعرفتُ الغرام هَزْلاً وجدّا
خلّياني من ذكر سلمى ونجدِ	ودعاني من حبّ سلمى وسعدى
أنا لي في حشاشتي حبُّ بدرٍ	أقسم الدهرُ أنّه لا يبدى

(١) «وحبيبي» انتهى مصحّحه

نار وجدي بحبّه في ازديادِ ... وغرامي به تزايدَ جدّا
كُلّما رُمتُ أنّ نفسيَ عنهُ ... تستسلّى أبت ولا تستهدّى
وتراها إذا ترنّم حادٍ ... بُرباها تذوب شوقاً ووَجْدا
لا تَلُمْها إذا بدت بحنينٍ ... وأنينٍ يقدّ ذا القلبَ قدّا
فلها مَعْهدٌ وأنسٌ قديم ... ليس يفنى وإن تطاول عهدا

كان لصدّيق ﷺ من المشغوفين بمحبّة رسول الله ﷺ

قال سيف بن عمر - وكان سببُ موتِ الصّديق ﷺ وفاةَ رسول الله ﷺ ؛ كمداً عليه . فما زال جسمه يتحرّق حتّى مات.

ولكمد لحزن لمكتوم

كنتَ السوادَ لناظري ... وعليك كنتُ أحاذرُ
من شاء بعدكَ فليمتْ ... فعليكَ يبكي الناظرُ[1]

---

(١) احفظ هذين البيتين هكذا

كنت السواد لناظري ... فعليك الناظرُ
من شاء بعدك فليمتْ ... فعليك كنتُ أحاذرُ

وصلّى الله على سيّدنا ومولانا محمّد سيّد العالمين وعلى آله خير أمّة أُخرجت للناس، وعلى تابعيهم بإحسان إلى يوم الدين

انتهت هذه التعليقات في اليوم الثامن عشر من شهر رجب سنة (١٣٥٠هـ) على يد كاتبها، الذي يرجو قارئها دعوة صالحة ان رأى فيها خيراً. ونحن جميعاً نبتهل إلى ربّ الغفور الرحيم الشكور الكريم، ان تُفرغ عيوث رحماته وكراماته على جدث نضم هذا الرجل الغيور على دينه، القائم في نصره كالأسد يذود عن عرينه، الإمام أبا بكر تقي الدين الحصني، وأن يجمعنا معه في دار كرامته ﴿يوم لا ينفعُ مالٌ ولا بنونَ إلّا من أتى اللهَ بقلبٍ سليم﴾ امين

والحمد لله على إحسانه وإفضاله، والصلاة على محمد وآله، ونسأله العفو بكرمه وجلاله إنّه ذو الجلال والإكرام

والحمدُ لله أوّلاً وآخراً، وباطناً وظاهراً، والحمد لله ربّ العالمين، وصلّى الله على سيّد الأوّلين والآخرين، وأكرم السابقين واللاحقين، ورضي الله عن الصدّيقين والصحابة أجمعين، وعن التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين. آمين آمين.

الفهارس العامّة

١ ـ فهرس الآيات الكريمة

ـ آمنّا به كلٌّ من عند ربّنا، ١١٣

ـ أأمِنتُم مَنْ في السماءِ، ٢٨

ـ استوى على العرش، ٢١

ـ اعلموا أنّ الله يُحيي الارض بعد موتها قد بيّنّا لكم الآيات، ١٠٢

ـ إنّا أرسلناكَ شاهداً، ١٣٣

ـ إنّا عرضنا الأمانة على السمواتِ والأرض والجبال، ٦٢

ـ إنّ الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم ناراً كُلّما نضجت جلودهم بدّلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب، ١١٦

ـ إنّ الذين يبايعونك إنّما يبايعونَ الله، ١٣٤

ـ إنّ الذين يُبايعونك، ١٣٣

ـ إنّ الله كان عزيزاً، ١١٦

ـ إنّ الذينَ يَغُضّونَ أصواتَهُمْ عند رسول الله، ١٤٠

ـ إنّ الذينَ يُنادُونَكَ من وراء الحُجُرات أكثرُهُمْ لا يَعقِلُونَ، ١٤٠

ـ إنّ رسولَكُم الذي أُرسل إليكم لمجنونٌ، ٥٣

ـ إنّما وليُّكم اللهُ ورسُولُهُ، ١٢٣
ـ أفمن زُيِّنَ له سوءُ عمله فرآه حسناً، ٦٤
ـ أولا يذكرُ الإنسانُ أنّا خلقناهُ من قبلُ ولم يكُ شيئاً، ٥٢
ـ أولا يذكرُ الإنسانُ أنّا خلقناهُ من قبلُ ولم يكُ شيئاً، ١٠٤
ـ أو يأتي أمر ربِّكَ، ٢١
ـ بديع السموت و لأرض وإذ قضى أمراً فإنّما يقولُ له كن فيكونُ، ٥١
ـ بسم الله الرحمن الرحيم، ١٩، ٨٤
ـ تبارك اسم ربِّك ذي الجلال و الإكرام، ١١١
ـ تعالى الله عمّا يقولونَ علوّاً كبيراً، ١٠٤
ـ ثُمَّ استوى الى السَّماء، ٣٠
ـ ثمّ جعلناه نطفةً في قرار مكين، ٥٦
ـ ربِّ زدني علماً، ٥٧
ـ ربُّكم وربُّ آبائكم الأولين، ٥٣
ـ ربّنا اصرف عنّا عذاب جهنم إنّ عذابها كان غراما، ٢١
ـ الرحمنُ على العرش استوى، ٢٧، ٣١، ٥٠، ٨٨
ـ رسول ربِّ العالمين وما ربُّ العالمين ربُّ السموت و لأرض وما بينهما إن كنتم موقنين، ٥٣
ـ سبِّح اسم ربِّك الأعلى، ١٠٥
ـ سُبحانَ الذي خلق الأزواج كُلَّها، ٥٥
ـ سبحانَ ربِّك ربِّ العزةِ عمّا يصفونَ، ٨٥
ـ سبحان ربِّك ربِّ العزّة عمّا يصفون، ١٠٥
ـ سبحانه، ٤٣

ـ سبحانه وتعالى عمّا يشركون، ٤٣
ـ سبّح اسم ربّك، ١٠٥
ـ ستُكتَبُ شهادَتُهم ويُسألُونَ، ٨٦
ـ صُنعَ الله الذي أتقن كلّ شيءٍ، ١١٧
ـ عند مليكٍ مقتدرٍ، ١٠٦
ـ فالذين آمنوا به وعزّروهُ، ١٣٣
ـ فالذين كفروا قُطِّعت لهم ثيابٌ من نارٍ يُصبُّ من فوق رؤوسهمُ الحميمُ يُصهر به ما في بطونهم، ١١٧
ـ فأمّا الذين في قلوبهم زيغٌ فيتبعون ما تشابه منهُ ابتغاء الفتنة، ٥٨
ـ فأينما تُوَلّوا فثمّ وجهُ الله، ٢٩
ـ فأينما تُوَلُّوا فثمّ وجه الله، ٨٩
ـ فتبارك الله أحسن الخالقين، ٥٦
ـ فلا تضربوا لله الأمثالَ، ٤٩
ـ فنعمةُ الله على الكافرين، ١٣٦
ـ فلمّا جاءتهُم آياتُنا مُبصرةً، ١١٤
ـ فلن نزيدَكُم إلّا عذاباً، ١١٧
ـ فماذا بعد الحقّ إلّا الضّلالُ، ٦٥
ـ قالت اليهودُ يدُ الله مغلولةٌ غُلّت أيديهم، ٤٩
ـ قد أنزل الله إليكم ذِكراً، ٤٠
ـ قُلْ هُو الله أحد، ٢٢، ١٠١
ـ كُلُّ حِزبٍ بما لديهم فرحون، ٣٩
ـ كُلّما خبت زدناهُم سعيراً، ١١٧

ـ كمثل شيطانٍ إذ قال للإنسان أكفرْ . ٦٢
ـ كُنْ. ٥١
ـ لا أُقسمُ بهذا البلدِ. ١٣٥
ـ لا تجعلو دُعاءَ الرسول بينكم كدُعاء بعضكم بعضاً. ١٣٢
ـ لا تدركه الأبصارُ وهو يدركُ الأبصار وهو اللَّطيفُ الخبيرُ. ٨٥
ـ لَا تدرُنَّ آلهتكُمْ ولَا تذَرُنَّ وداً ولا سُواعاً ولا يغُوث ويعُوق ونسراً. ٢٠٢
ـ لَا ترفعُو أصْوَاتكُمْ فوقَ صوْت النَّبِيِّ. ١٤
ـ لأخذنا منه باليمين. ٤٢
ـ لله الصمد. ١٠١
ـ اللهُ أعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسالتهُ. ١٦٧
ـ لله لا إله إلّا هو ربُّ العرشِ العظيم. ٥١
ـ لا يُسأل عمّا يفعل. ٥٩
ـ لتستوو على ظهوره. ٣٠، ٣٢، ٩٩
ـ لتؤمنو بالله ورسوله وتُعزّروهُ وتُوقّروهُ. ١٣٣
ـ لَعمرُك إنّهم لَفي سكرتهم يعمهونَ. ١٣٥
ـ لقد جئت شيئاً نُكراً. ٨٥
ـ لم يلد ولم يُولد. ١٠١
ـ لهم فيها دارُ الخلدِ. ١١٧
ـ ليس كمثله شيء. ٢٢، ٢٧، ٣٢، ٣٤، ٥٠، ٥٥، ٨٤، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٤
ـ ما أشهدتهم خلق. ٥٤
ـ ما غرّك بربّك الكريم. ١١٢
ـ مَا نَعْبُدُهُمْ إلّا لِيُقَرِّبُونا إلَى اللهِ زُلْفى. ٢١١

ـ مسومة عند ربك، ٤٣
ـ مَن يُضلل اللهُ فلا هادي له ونذرهم في طغيانهم يعمهون، ٤٠
ـ من يطع الرَّسولَ فقد أطاعَ اللهَ، ١٣٣
ـ وآمنو بالله ورسوله، ١٢٣
ـ وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتو الكتاب لتبيُّنه للنَّاس ولا تكتمُونهُ، ٤٩
ـ وأُشربوا في قلوبهم العجلَ، ٦٠
ـ والذين كفرُو لهُمْ نارُ جهنَّمَ لا يُقضَى عليهم، ٢٠
ـ ويسحبون في النعلم يقولون آمنَّا به كلٌّ من عند ربِّنا، ١١٢
ـ والطيرُ صافاتٍ كلٌّ قد علم صلاتهُ وتسبيحهُ، ١٠٦
ـ والله بكلِّ شيء عليمٌ، ١١٩
ـ والله يحكم لا معقب لحكمه، ٥٩
ـ والله يعصمُكَ من النَّاس، ١٣٢
ـ وأطيعو الله واطيعوا الرسولَ، ١٢٣
ـ وأنزل لكم من الانعام ثمانية أزواج، ٣٩
ـ وأنزلنا الحديد، ٣٩
ـ وأنزلنا إليك الكتاب، ٤٠
ـ وأنَّه تعالى جدُّ ربِّنا ما اتخذ صاحبةً ولا ولداً، ٤٣
ـ وأنَّ هذا صراطي مُستقيماً فاتَّبعوه ولا تتَّبعوا السُّبلَ فتفرقَ بكم، ٦٦
ـ وأستوت على الجُوديِّ، ٣٠
ـ وبشر الذين آمنو أنَّ لهم قدم صدقٍ عند ربِّهم، ٣٦
ـ وجاء ربُّك، ٢١، ٤٥
ـ وجَعَل لكُم من الفلكِ و الأنعامِ ما تركبُون لتستوُوا على ظُهوره، ٣٠

- وجيء بالنبيين والشُّهداء، ١٢٨
- وحملها الإنسانُ إنه كانَ ظلوماً جهولاً، ٦٢
- وحَرقوا له بَنين وبناتٍ بغير علم، سبحانه، ٤٣
- وربُّك يخلق ما يشاءُ ويختارُ، ١١٥
- ورُسُلاً قد قصصناهُم عليكَ من قبل ورُسُلاً لم نقصصهم، ١٢٨
- ورفعنا لك ذكرك، ١٣٤
- وسع كُرسيُّهُ السَّموت والأرض، ٩٨
- وقالوا اتخذ الله ولداً، سبحانه، ٤٣
- وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله، ١٢٢
- وقالوا لن تمسَّنا النارُ إلا أياماً معدودة، ١١٨
- وقد خاب من افترى، ١٢٥
- وكان تحته كنزٌ لهما، ١٣٩
- وكانوا من قبلُ يستفتحون على الذين كفروا، ١٣٥
- وكانوا من قبلُ يستفتحُون على الذين كفروا، ١٣٦
- وكانوا مِن قبلُ يَستفتحُون على الذين كفروا، ١٣٦
- وكانوا من قبلُ يستفتحون على الذين كفروا، ٧٢
- ولا تتبعوا السُّبلَ فتفرَّقَ بكم عن سبيله، ٦٦
- ولقد خلقنا الإنسانَ من سلالة من طين * ثمَّ جعلناه نطفةً في قرار مكين، ٥٥
- ولمَّا بلغَ أشدَّه واستوى، ٣٠
- ولم يكن له كفواً أحدٌ ١٠١
- ولو أنَّهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول، ١٤١، ١٤٢، ١٤٣، ٢٠١

ـ وما تُغني الآياتُ والنُّذُرُ عن قوم لا يؤمنونَ، ١٢٩
ـ وما قدروا الله حقَّ قدره، ١٠٤
ـ وما قدروا الله حقَّ قدره والأرض جميعاً قبضته يومَ القيامة والسمواتُ مطوياتٌ بيمينه سُبحانه وتعالى، ٤٢
ـ وما قَدَروا اللهَ حقَّ قَدره، ٤١
ـ وما نقموا إلّا أن أغناهم الله ورسولُه من فضله، ١٢٢
ـ وما يؤمن أكثرهم بالله إلّا وهم مشركون، ٥٤
ـ ومن كلِّ شيءٍ خلقنا زوجين، ٥٥
ـ ومن لم يجعل الله له نوراً فماله من نور، ١٧٩
ـ ومن لم يؤمن بالله ورسوله فإنّا أعتدنا للكافرين سعيراً، ١٢٣
ـ ومن يطع الله والرّسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم، ١٣٣
ـ وناديناهُ مِنْ جانبِ الطُّورِ الأيمنِ، ٢٩
ـ ونفخْتُ فيه من روحي، ٢٩
ـ ونودي من شاطئ الوادي الأيمن في البقعة المباركة، ٢٩
ـ وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصيرٌ، ٨٤
ـ ويحسبون أنّهم على شيء ألا إنّهم هم الكاذبون، ٦٤
ـ هذا خلقُ الله، ٥٢
ـ هو الأوّل، ١١٨
ـ هو الأوّل والآخرُ والظّاهر والباطنُ، ٥٠ وهو بكلّ شيء عليمٌ، ١١٩
ـ هو الذي خلق السموات والأرض في ستةِ أيّام ثمّ استوى على العرش، ٨٩
ـ هُو اللهُ الحيّ القيُّومُ، ٢٧
ـ هو الله الذي لا إله إلّا هو الملكُ القدّوس، ١٠٦

- هو الله الذي لا إله إلّا هو الملك القُدُّوس، ١٠٩
- يخافون ربّهم من فوقهم، ٤٠
- يدُ الله فوق أيديهم، ٤٢
- يُرِيدونَ أن يخرجوا مِنَ النّار وما هُمْ بخارجين منها ولهم عذابٌ مُقيم، ٢٠
- يريدون أن يَخرجوا من النّارِ وما هم بخارجين منها ولهم عذابٌ مُقيمٌ، ١١٧
- يسبّحُ لهُ السمواتُ السّبعُ والأرضُ ومن فيهنّ وإن من شيء إلّا يسبّحُ بحمده، ١٠٦
- يُسبّحونَ لليل والنّهار لا يفترونَ، ١٠٧
- يوم يجمعُ الله الرُّسُل، ١٢٨
- يوم يقومُ الرُّوحُ، ١١٠

٢ ـ فهرس الأحاديث الشريفة

مرتّبة على الأطراف)

ـ أبرأت لاكمه ولأبرص وأعالج الأحمق (عيسى النبي) ٦٨

ـ أصاب الناس مخمصة فقال لي رسول الله ﷺ: هل من شيء؟ فقلت: نعم، شيء من تمر في المزود، قال: فأتني به، فأدخل يده، فأخرج قبضة، فبسطها ودعا بالبركة، ثمّ قال: ادعُ عشرة فأكلوا حتّى شبعوا، ثم عشرة كذلك، حتّى أطعم الجيش كلّهم وشبعوا، ثمّ قال: احمد ما جئتَ به، وأدخل يدك وقبض منه، ولا تُكمئه، فقمتُ على أكثر ما جئتُ به، فأكلتُ منه وأطعمتُ سائر رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما إلى أن قُتل عثمان رضي الله عنه، فانتُهب مني، فذهب ٢٠٧

ـ أكثروا عليّ من الصلاة يوم الجمعة فإنه مشهود تشهده، ١٥٣

ـ الأعلى يا محمد؟ قلت: أنت أعلم يا ربّ، فوضع كفّه بين كتفي، فوجدت بردها بين ثديي، فعلمت ما في السموات وما في الأرض»، ٣٤

ـ ألا إنّ فتنة ها ـ ويشير إلى المشرق ـ من حيث يطلع قرن الشيطان، ٨١

ـ أما حياتي فإنكم كلّما أحدثتم حدثاً أحدث الله لكم الحرج منه بي، فإذا متّ فلا أزال أنادي، ٢١٢

ـ أما لو عدته لوجدتني عنده، ٢٩

ـ ألحق الأعرابي، وبشّره بأنّ الله قد غفر له بشفاعتي»، فخرجت فلم أحده، ١٤٣

ـ اللّهمّ فقّهه في الدين وعلّمه (١) التأويل، ٢٠٦

ـ اللّهمّ اشفِ عمّي، فقام في الحال كأنّما نشط من عقال، ٢٠٥

ـ اللّهمّ لا تجعل قبري وثناً وعيداً، اشتدّ غضب الله على قوم اتّخذوا قبور

(١) وعلّمه انتهى مصحّحه

أنبيائهم مساجد، ٢٠٥

- ملأ الأعلى؟ قلت لا أعلم يا رب، فوضع كفه بين كتفي حتى وجدت برد أنامله في صدري، فتجلى لي ما بين السماء والأرض، ٣٥

- إن الشيطان ذئب الإنسان كذئب الغنم، يأخذ القاصية والنافرة والشاذة، إياكم والشِّعاب وعليكم بالعامة والجماعة والمساجد، ٥٠

- إن الفتنة ههنا، ٨٢

- إن أحدكم إذا قام في صلاته، فإنه يُناجي ربه، أو إن ربه بينه وبين القبلة، ٢٨

- إن بين يدي الساعة دجاجلة فاحذروهم، ١٩٧

- إن قلوب بني آدم بين إصبعين من أصابع الرحمن يُقلّبها كيف شاء، ٤٢

- إن لله ملائكة سيّاحين في الأرض يبلّغوني عن أمتي السلام، ١٥٣

- إنما يسافر إلى ثلاثة مساجد مسجد الكعبة، ومسجدي، ومسجد إيلياء، ١٧٦

- أن آدم عليه السلام عند قترفه قال اللهم بحق محمد عليك اغفر لي خطيئتي، ١٣٨

- أنا عند ظنّ عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، ٢٩

- أنّ الروح مَلَكٌ عظيم، ١١٠

- أنّ رجلاً ضرير البصر جاء إلى النبيّ ﷺ، فقال ادعُ لي أن يعافيني، ١٤٩

- أنّ عدياً لما عمل المِضرعي داره، ما عملها إلا بالمناصع، ١٥٢

- أنّه رأى نُخامة في القبلة، فشقّ ذلك عليه حتى رُؤي في وجهه، فقام فحكّها بيده فقال، ٢٨

- أنّه رأى نُخامة في القبلة فقال، ٢٨

- أنّه رأى نخامة في جدار الكعبة فحكّها، ثم أقبل على الناس، فقال، ٢٨

- أوحى الله إلى عيسى يا عيسى آمن بمحمد، ومُر من أدركه من أمتك أن يؤمنوا به، ١٣٨

- أولئك إذا مات منهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً، ثم صوّروا فيه تلك الصور، ٢٠٣

ـ أوّل الدين معرفته وكمالُ معرفته التصديق به، وكمالُ التصديق به توحيده، و، ١٠٠
ـ تشدّ الرحال إلى ثلاثة مساجد، ١٧٦
ـ تُعرض الفتنُ على القلوب كالحصير، فأيّ قلب أُشربها نُكت فيه نُ، ٥٩
ـ توحيد أن لا تتوهّمه، والعدل أن لا تتّهمه، ١٠٠
ـ الحجرُ الأسودُ يمينُ الله تعالى، ٤٢
ـ حديث الاستقاء، ١٢٧
ـ حديث الأصابع، ٤١
ـ حديث الضيف، ٣٨
ـ حديث العنان، ٢٩
ـ حديث القدَم، ٣٦
ـ حديث المريض، ٢٩
ـ حديث النزول، ٢١، ٣٩، ٩٩
ـ حديث أسماء بنت عميس رضي الله عنها بردّ الشمس، ٢٠٦
ـ حديث الا تشدّ الرحال، ١٧١
ـ حياتي خير لكم ومماتي خير لكم، قالوا: يا رسول الله قد عرفنا أنّ حياتك خير لنا، ٢١٢
ـ خرج رسول الله من بيت عائشة رضي الله عنها، فقال: رأس الكفر ههنا من حيث يطلع قرن الشيطان، ٨٢
ـ خرج علينا رسول الله بعد صلاة الصبح، فقال، ٣٥
ـ خلق الله آدم على صورته)، ٣٥
ـ دعا عليه الصلاة والسلام لابنته فاطمة رضي الله عنها أنّ الله لا يُجيعها، ٢٠٥
ـ دعا عليه الصلاة والسلام لعبد الرحمن بن عوف بالبركة، قال: ٢٠٦

ـ دعا عليه الصلاة والسلام لعروة بن أبي الجعد، فكان لو اشترى التراب ربح ٢٠٦
ـ دعا عليه الصلاة والسلام لعليّ أن يكفيه الحرّ والبرد، فكان يلبس في شتاء ثياب الصيف، وفي الصيف ثياب الشتاء.. ٢٠٦
ـ رأيت على كلّ ورقة من السدرة ملكاً قائماً يسبّح. ١١٠
ـ السلام عليك أيها النبيّ ورحمة الله وبركاته. ١٢٨
ـ سمعت النبيّ ﷺ يقول: (يجرح قوم من أمتي يقرؤون القرآن.. ٨١
ـ سيكون في أمتي اختلاف، وفرقة يحسنون القيل ويسيئون الفعل. ٨٢
ـ عجب ربك من قوم جيء بهم في السلاسل حتّى يُدخلهم الجنّة. ٣٨
ـ عرفتُه بما عرّف به نفسه، لا يُدرك بالحواس، ولا يُقاس بالناس. ١٠٠
ـ عرّفنا الله سبحانه وتعالى نفسه بلا كيف، وبعث سنّة. ١٠٠
ـ على باب الجنّة مكتوب: إنّي أنا الله لا إله إلّا أنا محمّد رسول الله.. ١٣٩
ـ على قلبين: على أبيض مثل الصفاة، فلا تضرّه فتنة ما دامت السموات والأرض، والآخر أسود مربادّاً كالكوز مجخّياً، لا يعرف ٥٩
ـ فأستأذن على ربّي وهو في داره، ٣٣
ـ فضحك رسول الله تعجّباً وتصديقاً له. ٤١
ـ فعلا في الجبّار تعالى، فقال وهو في مكانه: بارئ حقّف عنّا. ٣٣
ـ فقال: ثم لمّا خلقني رفعتُ رأسي إلى عرشك، فإذا فيه مكتوب ١٣٩
ـ فقال الله: من أين عرفت محمّداً؟ قال: رأيت في كلّ موضع من الجنّة مكتوباً: لا إله إلّا الله محمّد رسول الله).. ١٣٨
ـ فما جمعتُ بعد. ٢٠٦
ـ قتَلَ عليٌّ رضي الله عنه وحداً منهم، تكلّم في مجلسه كلمة فيها ردء ناسي. ٩٠
ـ قد أيس الشيطان أن يُعبد في جزيرة العرب. ٢٠٧

ـ قدم علينا أعرابيّ بعدما دُفن رسول الله صلّى الله عليه بثلاثة أيام، فرمى بنفسه، ١٤٢
ـ كان الله ولا شيء معه، ١١٩
ـ كان الله ولم يكن شيء قبله، ١١٩
ـ كان يُوحى إليه ورأسه في حجر عليّ، فلم يصلّ العصر حتّى غربت الشمس، ٢٠٦
ـ كنّا عند عمر رضي الله عنه، فقال: أيكم سمع رسول الله يذكر الفتن؟، ٥٩
ـ كنتُ جالساً عند قبر رسول الله، فجاء أعرابيّ فقال: السلام عليك يا رسول الله، سمعتُ الله يقول، ١٤٣
ـ لا إله إلّا الله محمّد رسول الله، وذلك بقلم القدرة، وذكر، ١٣٩
ـ لا تجعلوا قبري عيداً، وصلّوا عليّ، فإنّ صلاتكم تبلغني حيثما كنتم، ١٥٤
ـ لا تزال جهنّم تقول: هل من مزيد، حتّى يضع ربّ العزّة فيها قدمه)، ٣٦
ـ لا تُشدّ الرحال إلّا إلى ثلاثة مساجد، ٩٤، ١٧٢، ١٧٤، ١٧٦
ـ لا تُشدّ الرحال إلّا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، والمسجد الأقصى، ومسجدي، ١٧٢
ـ لا تشدّوا الرحال إلّا إلى ثلاثة مساجد: مسجد إبراهيم، ومسجد محمّد، ومسجد بيت المقدس)، ١٧٦
ـ لا تشدّوا الرحال إلّا إلى ثلاثة مساجد: مسجدي هذا، والمسجد الحرام، والمسجد الأقصى، ١٧٦
ـ لعن الله اليهود والنصارى اتّخذوا قبور أنبيائهم مساجد، ١٩٧
ـ لقد عجب الله من صنيعكما الليلة، ٣٨
ـ لمّا اقترف آدم الخطيئة قال: يا ربّ بحقّ محمّد لمّا غفرت لي، فقال الله: يا، ١٣٧
ـ لما خطب أمّ سلمة رضي الله عنها فاعتذرت إليه بأعذارها، و، ١٢٣
ـ لمّا قضى الله الخلق كتب في كتاب، فهو عنده فوق العرش: أنّ رحمتي غلبت غضبي، ٤٣

ـ نوح من ذهب فيه مكتوب عجباً لمن أيقن بالقدر كيف ينصب؟! ٤ ١٣٩
ـ ليس لصفته حدٌّ محدود، ولا نعت موجود). ١٠٠
ـ ما بال أحدكم يستقبل ربّه فيتنخّع أمامه، أيُحبّ أحدكم أن يستقبل فيُتنخّع في وجهه. ٢٨
ـ ما تستقل الشمس فيبقى شيء من خلق الله. ١٠٦
ـ ما من أحد يسلّم عليّ إلّا ردّ الله عليّ روحي. ١٥٣
ـ ما هذه الجفوة يا بلال. أما آن لك أن تزورني يا بلال. ١٨٢
ـ مرض أبو طالب فعاده عليه الصلاة والسلام، فقال ادعُ ربّك أن يعافيني.. ٢٠٥
ـ مس فقدت أسماء رضي الله عنها مرأيتها غربت، ثمّ رأيتها طلعت بعدما غربت، ووقعت على الجبال، وذلك بالصهباء بخيبر. ٢٠٦
ـ من جاءني زائراً لا تحمله حاجة إلّا زيارتي، كان حقّاً عليّ أن أكون له. ١٩٤
ـ من جاءني زائراً لم يمنعه إلّا زيارتي كان حقّاً على الله أن أكون له شفيعاً. ١٩٥
ـ من حجّ البيت ولم يزرني فقد جفاني، ١٩٢
ـ من حجّ حجّة الإسلام، وزار قبري، وغزا غزوة، وصلّى في بيت المقدس لم يسأله الله فيما افترض عليه. ١٩٣
ـ من حجّ فزار قبري بعد موتي كان كمن زارني في حياتي ورد تسهمي وصحبني. ١٩٢
ـ من حجّ فزار قبري بعد موتي كان كمن زارني في حياتي وصحبني. ١٩٢
ـ من حجّ فزار قبري بعد وفاتي فكأنّما زارني في حياتي. ١٩١
ـ من حجّ ولم يزرني فقد جفاني. ١٧٠
ـ من زار قبري أو زارني كنتُ له شفيعاً أو شهيداً. ١٩٢
ـ من زار قبري ـ أو قال من زارني ـ كنت له شفيعاً أو شهيداً، ومن مات في أحد الحرمين بعثه الله في الآمنين يوم القيامة. ١٩٢

ـ من ز ر قبري بعد مماتي فكأنّما ز ربي في حياتي. ١٧٠
ـ من ز ر قبري بعد موتي فكأنّما ز ربي في حياتي، ومن لم يزُر بي فقد جفاني. ١٧١
ـ من ز ر قبري بعد موتي فكأنّما زارني في حياتي، ومن لم يزرني فقد جفاني. ١٩٤
ـ من ز ر قبري حلّت له شفاعتي. ١٩١
ـ من ز ر قبري وجبت له شفاعتي) .. ١٦٩
ـ من ز ر قبري وجبت له شفاعتي) ١٩٠
ـ من ز رني بعد موتي فكأنّما ز رني في حياتي. ١٦٩
ـ من ز رني في المدينة محتسباً كان في جواري، وكنتُ له شفيعاً يوم . ١٦٩
ـ من ز رني في المقام كان كمن ز رني في حياتي. ١٩٤
ـ من ز رني في مماتي كان كمن ز رني في حياتي، ومن ز ر قبري حلّت . ١٩٤
ـ من ز رني متعمّداً كان في جو ري يوم القيامة. ١٩٣
ـ من ز رني متعمّداً كان في جو ري يوم القيامة، ومن سكن المدينة وصبر على بلائها كنت له شفيعاً أو شهيداً. ١٩٣
ـ من ز رني محتسباً كنت له شفيعاً أو شهيداً) وفي رواية (من ز رني محتسباً إلى المدينة كان في جواري. ١٩٣
ـ من ز رني ميتاً فكأنّما ز رني حيّاً، ومن زارني وجبت له شفاعتي يوم القيامة، وما من أحد من أُمّتي له سعة، ثمّ لم يزرني. ١٩٣
ـ من ز رني وز ر أبي إبراهيم في عام واحد ضمنتُ له على الله الجنة. ١٧١
ـ من سئل عن علم فكتمه أُلجم يوم القيامة بلجام من نار. ٨٠
ـ من صلّى عليّ في يوم جمعة وليلة جمعة مائة من الصلاة، قضى الله له مائة حاجة. ١٥٤
ـ من عرفك بالنبوّة و لرسالة فقد عرفني بالربوبيّة والألوهيّة. ١٣٣
ـ من فارق الجماعة شبراً فمات، مات ميتةً جاهليّة. ٤٩

ـ من لم يزرني فقد جفاني، ١٩٤
ـ وآدم بين الروح والجسد، ١٢٠
ـ وإني تدعون أقرب إلى أحدكم من عُنُق راحلته، ٢٩
ـ والذي نفسي بيده لو دلّ أحدكم حبل لوقع على الله سبحانه وتعالى، ٢٩
ـ وإنّ آدم لمُنجدل في طينته، ١٢٠
ـ وأما والدك فهم والد أخي أبي سلمة وهم على الله وعلى رسوله، ١٢٣
ـ وبعد الموت فإنّ الله حرّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء، فنبيّ الله حيّ يُرزق، ١٥٣
ـ وجهه إذ صلى، ٢٨
ـ ولا يزال عبدي يتقرّب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنتُ سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يُبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها ... ٤٤
ـ وما جهدتم منه فكِلوه إلى عالمه، ١١٢
ـ ومن مات بأحد الحرمين بُعث في الآمنين يوم القيامة، ١٩٢
ـ هل من شيء؟ فقلت نعم، شيء من التمر في المزود قال فأتني به، فأدخل يده، فأخرج قبضة، فبسطها ودعا، ٢٠٧
ـ هو الذي لم يُعط لأحد من معرفته غير الاسم والصفة، ١٠١
ـ يا أيها الناس ارفعوا على أنفسكم، إنكم ليس تدعون أصمّ ولا غائباً، إنكم تدعون سميعاً قريباً، وهو معكم، ٢٨
ـ يا رسول الله متى وجبت لك النبوّة؟ قال ﷺ (وآدم، ١٢٠
ـ يا عتبي، إلحق الأعرابي، فبشّره بأنّ الله قد غفر له، ١٤٣
ـ يا عمّاه لئن أطعت الله ـ عزّ وجلّ ـ ليطيعنّك، ٢٠٥
ـ يا محمّد إنّ الله يضع السماء على أصبع، والجبال على أصبع، والشجر على أصبع، والأنهار على أصبع، وسائر الخلق على أصبع ـ وفي لفظ ـ سبع أرضين على أصبع،

ثم يهرّهن. ٤١
ـ يا محمّد إنّي توجّهتُ بك إلى ربّي فتجلي عن بصري. اللّهمّ شفّعه فيّ وشفّعني، ١٤٩
ـ يا محمّد، هذا حسين بالعراء، مُزمّل بالدماء، مقطّع الأعضاء، يا محمّد»، ١٦٣
ـ يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: لا أدري، فوضع كفّيه بين كتفي، فوجدت بردهما بين ثديي، فعرفت كلّ شيء يسألني عنه، ٣٥
ـ يخرج قوم في آخر الزمان حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام.. ٨١
ـ يخرج قوم من أمتي يقرؤون القرآن، ليس قراءتكم إلى، ٨١
ـ ينزل ربّنا كلّ ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثُلُث الليل الآخر، يقول: من يدعوني فأستجيب له.... ٣٩

٣ ـ فهرس أهمّ الأعلام

ابن الجوزي، ٣١، ٤٤، ١٧٠، ١٨٣، ١٩٢، ١٩٣
ابن الزغواني، ٢٣، ٢٦
ابن الزغواني، ٢٤، ٤٤
ابن تَيْمِيَّة، ٦، ١١، ٢٠، ٧٥، ٧٦، ٧٨، ٧٩، ٨٣، ٨٤، ٨٥، ٨٧، ٨٨، ٩٠، ٩١، ٩٢، ٩٣، ٩٤، ٩٥، ٩٦، ٩٨، ١١٦، ١٢٠، ١٢١، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٧، ١٤١، ١٥٩، ١٦٧، ١٦٩، ١٧٤، ١٧٥، ١٨٤، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٦، ١٩٧، ٢٠٥، ٢١١، ٢١٣، ٢١٤ ٢١٦
ابن حامد، ٢٣، ٢٤، ٢٦، ٣١، ٣٧، ٤٠، ٤٣
ابن عباس، ٤٩، ٥١، ٥٤، ٥٦، ٦٤، ٨٠، ١٠٣، ١١٩، ١٣٢، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٨ ١٣٩ ١٩٤ ٢٠٢
ابن قيّم الجوزيّة الزرعي، ابن القيّم، ٢١٣، ٢١٣
ابن كثير، ٢١٣، ٢١٥ إسماعيل بن كثير
الشركويني، ٢١٣
أبا جهل، ١٩
أبو الفرج، ابن الجوزي، ٢٤، ٣١، ٤٥، ٤٦، ١١٠، ١٤٣، ١٥٢، ١٧٠، ١٨٦، ١٩٢
أبو بكر بن محمّد، المؤلف ٣، ٥، ٨، ٩
أبو جعفر المنصور، ١٤٠
أبو طالب، ٢٠٥، ٢٣٦
أبو محمّد بن حزم، ١٢٧
أحمد بن تيمية الحنبلي، ١٢٠
أحمد (ابن حنبل)، ٢٠
أحمد بن حنبل، ٢٥، ٧٦
الأعرابي، ٣٧، ١٤٢، ١٤٣، ٢٢٩، ٢٤٠
الإمام الشافعي، ٤٧، ٤٨، ٩١
الإمام أبو حنيفة، ٤٨
الإمام أحمد، ٩، ٢٠، ٢١، ٢٢، ٣٥، ٣٧، ٤١، ٤٢، ٤٦، ٥٠، ٦٣، ٧٦، ٧٩، ١١٢، ١٢٠، ١٢١، ١٨٦ = أحمد بن حنبل
الإمام مالك، ٢١، ٤٨، ٤٩، ٢٠١
الأوزاعي، ٢١
بلال ـ مؤذّن رسول الله، ١٨٢
جعفر الصادق، ٥، ٦٢، ١٠١، ١٣٣
الحسن والحسين رضي الله عنهما، ١٨٢
الحصني، الدمشقي = أبو بكر بن محمد المؤلف ٣، ٤، ٥، ٦، ٨، ٩، ١٥، ٧٦

الحنابلة، ٢٣، ٢٥، ٢٧، ٣٧، ٣٨، ٦٣، ٧٦، ٨٦، ٨٧، ٩١، ٩٣، ١٢٤، ١٧٥، ١٨٦، ١٨٧، ٢٠٢
الذهبي، ٩٧
زينب بنت علي رضي الله عنهما، ١٦٣
زين الدين بن رجب الحنبلي، ٢١٤
السلف، ٧، ٣١، ٤٧، ٥٠، ٥٨، ٥٩، ٦٦، ٦٩ ٩٩ ١٨٤ ٢٠٠ ٢٠٢
الشافعي، ٥٠، ٩١، ٩٣، ٩٤، ٩٧، ١١٢، ١٧٩ ١٨٥
العتبي، ١٤٢، ١٤٢، ١٤٣
عثمان بن حنيف، ١٤٩، ١٥٠، ١٥١، ١٦٦
عليٌّ رضي الله عنه، ٩٠، ١٠٠، ١٤٢ ٢٢٢، ١٧١ ٢٠٦، ٢٣٤
عديّاً، ٦٢، ١٠٠، ١٥٢، ٢٣١
عمر بن عبدالعزيز، ١١٣، ١٨٣
الغزالي، ١٠٨
فاطمة رضي الله عنها، ٢٠٥، ٢٣٢
القاضي عياض، ١٧٠
قرّ مسلماني، ٩٣
الكوثري، ٤، ١١، ١٣، ١٦، ١٧
مالك إمام المذهب، ٢٢، ٣١، ١٤٠
محمّد الباقر، ٦٢
محمد بن ادريس الشافعي، ٩٣
محمّد بن كرام السجستاني، ٦٣
المغيرة بن سعيد، ٦٢
النووي، ٨، ١٧، ١٢٢، ١٤٣، ١٤٤، ١٧٣، ١٧٤، ١٨٥، ١٩١، ٢٠٢
الوليد، ١٩
يزيد بن معاوية، ٢٦

٤ ـ فهرس الألفاظ

(يحتوي على أهم الألفاظ الاصطلاحية وأسماء البلدان والأيام والكتب والفرق والجماعات والآراء وما أشبه مما يحتمل أن تكون في ذكره فائدة)

آدم يكنى أبا محمد، ١٣٩
آيات الصفات، ١٧١
آيات المتشابه، ٢٢، ٥٨، ١٧١، ٢١٤
ابن السكن، «الصحاح المأثورة عن رسول الله، ١٩٥
ابن المقري «معجم» ١٩٥
ابن تيمية، ٦، ١١، ٢٠، ٧٥، ٧٦، ٧٨، ٧٩، ٨٣، ٨٤، ٨٥، ٨٧، ٨٨، ٩٠، ٩١، ٩٢، ٩٣ ٩٤ ٩٥ ٩٦ ٩٨ ١١٦ ١٢٠، ١٢١، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٧، ١٤١، ١٥٩، ١٦٧، ١٧٤، ١٧٥، ١٨٤، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٦ ١٩٧ ٢٠٥ ٢١١ ٢١٣، ٢١٤، ٢١٦، ٢٤٢وقد وصفه المؤلف بأوصاف هي)
دّعاء الإجماع على ما يقوله، ١٢١/زدراء بالنبي، ٩٠،استُتيبَ مراراً ٨٦/ لإقرء ليحمل الناس على عقيدته فاسدة لمفسدة ١٨١/الخبيث، ٧٦، ٨٣، ٩٩، ١٢٠، ١٢٢، ١٢٨، ١٧١، ١٨٨، ١٩٦، ٢١٦/الزائغ، ١٢، ٧٥، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٤، ١٨٩/الزائغ عن تنزيه الله، وتعظيم رسوله عليه الصلاة والسلام، ١٢/الزائغ عن طريق، ٧٥/ فاجر، ٧٨، ١٤١، ١٦٩، ١٨٦، ١٨٩، ١٩١/ المبتدع الجاهل، ١٢٧ هدر دمه، ٨٩/أفسد في هذه الأمّة، ١٨٩/أكفر ممّن تمرّد وجحد، ٢٠/حاطب ليل، ٨٩/من قوم حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام ٨١/رفضي، ١٢٣/زندقته بتجرّئه على لإفك على العلماء، ١٨٩/زنديق حرّان، ١٣١/زنديق مطلق، ١٢٥ زيع بن تيمية وحزبه، ١٣٠/سوء فهمه وخيالاته الفاسدة، ٢٠٣/ضالّ مبتدع، ٩٥، ١٢٦/
ضعيف الإدراك في الاستدلال، ١٧٥/من علاة المشبهة، ٦٤/فجور هذا الخبيث، ١٨٩/كتبه مشحونة بالتشبيه، ١٢٦/كذب وفجور وجهل، ١٧٣/كفر بيقين وزندقة محقّقة، ١٣١/كفر صرح لا

تردّد فيه، ١٢٨/كفّر فيها الأئمة الأربعة، ١٢٦/كفر محقّق، ٣٢، ٧٠/لا دين له يعتمد عليه، ١٨٨/لا يحلّ أن يقلّده ولا يأخذ عنه، ٢١٥/لا يحلّ لأحد أن يقلّده، ولا ينظر في كلامه، ٢١٢/لا يحلّ لأحد تقليده، ١٧٩/لا يعتقد حرمة الكذب والفجور، ١٨٩/مبتدع من زنادقة حرّان، ١٦٨/متخبّط بإدراكه بعقله، ١٢٩/من أجهل الجهلة، ٢١١/من أعظم الزائغين، ٩٩/من أعظم الكَذَبة والفُجّار، ١٨٤/ يغلط الأغبياء، ١١٤٠/من المبتدعة الذين نبغوا في زماننا، ١٢٦/انتُقد عليه، ٧٦، ٧٩، ١١٦، ١١٨، ١٢٠/تكفير عبدالله بن عبّاس، ١٢٦/الغلطة في البصيرة، ٤٠/ فجور و إفك المبين، ١٨١/من الأمور المنتقدة عليه، ١٢٥، ١٦٧

بن عساكر في «تاريخه»، ١٩٠

ستسق أمير المؤمنين عمر بالعبّاس، ١٢٧

ستشفع به، ١٤٠

لأنبياء الذين هم خلفوا الأنبياء، ٢١٥

لأحاديث المتشابهة، ٣٤

لأحاديث وإن لانت أسانيد مفرداتها، فمجموعها يُقوّي بعضها بعضاً، ١٩١

لأحكام السلطانية للماوردي، ١٨٥

الازدراء بالنبيّ، ١٢٦، ٢١٥

الاستغاثة، ١٣٠، ١٥٩، ١٦٠، ١٦١

الاستواء، ٢٢، ٢٣، ٢٥، ٢٩، ٣٢، ٤٤، ٤٦، ٤٨، ٤٩، ٨٨، ٨٩، ٩٨

لاستواء معلوم، و تكيّف مجهول، ٢١، ٤٨

لأعرابي، ٣٧، ١٤٢، ١٤٣، ٢٢٩، ٢٤٠، ٢٤٢

لأعضاء التي أثبتها الالسلفية لجسّمة للباري تعالى عن ذلك، وجهاً ٢٤/ لأصابع، ٤١، ٤٣، ٢٣٢/القدم، ٢٥، ٣٦، ٣٧، ٥٢، ١٠٤، ١١٩، ٢٣٢/القدمين، ٩٨/ليمين، ٤٢/صدراً وفخذاً وساقين ورجلين، ٢٤/عينين وفماً ولهوات وأضراساً ويدين وأصابع وكفّاً وحصراً وإبهاماً، ٢٤/ كفّيه، ٣٤/وجهاً زائداً على الذات، ٢٤.

الافعال التي تسبوها لى لباري تعالى

يتنفّس، ٢٤يُمَسّ ويَمَسّ ويُدني العبد من ذاته، ٢٤ينزل بذاته، ٢٧
لإكمال للنووي والمزي، ١٧٩، ١٨٢
لأمانة، ٦٢، ٢١٩
لانتقال، ٢١
لأوّل و لآخـــر والظّـاهر والبـاطن، ١١٩
لأهواء، ٥٩، ٦٤، ٦٦، ٦٧، ١٠٨
لآيات لمتشابهة، ٦٤
بـاطل، ٦٤، ٦٥، ٩٩، ١٠٩، ١٦٥، ١٦٨، ١٨١، ٢١٢، ٢١٥
بِدْعة، ٢٥، ٨٥
بدعة، ٦٤، ٦٨، ١٨٩
تأويل، ٢٧، ٤٥، ٤٨، ٥٠، ٥١، ٥٢
تبرّك، ١٩٩
تجريد، ١٨٤
تجسيم، ٢٣، ٢٦، ٢٧، ٣٢، ٣٧، ٤٤، ٤٦، ٧٥ ٨٥، ١٠٩، ١١٢، ١٢٦، ٢١٥
تدليس - قوله: «قالوا»، ١٨١
تدمرية لابن تيمية، ٩٨
تشبيه، ١٧، ٢٢، ٢٣، ٢٥، ٢٦، ٣٢، ٤١، ٤٢، ٤٤، ٤٥، ٤٧، ٥٠، ٦٠، ٧١، ٧٥، ٨٥، ٨٦، ٩٨، ٩٩، ١٠٩، ١١٠، ١١٦، ٢١٥
التفرقة، ١٩، ٤٤، ٩٠، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧
التقيّة، ٧٩
تمر في المزود، ٢٠٧
التناسخ، ١١
تنبيه، ٦، ٧، ٨، ١٣
التنزيه، ٢٢، ٣٧، ٤٠، ٤٨، ٥٦، ٩٩، ١٠٥، ١٠٧
التـــوحيد، ٦٤، ١٠٠، ١٠٢، ١١٠، ١١٣، ١٤٢، ١٩١، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢١٧
تورية، ٧٢
توراة والإنجيل ما بُدِّلا، ٢١٣
تـــوسّل بـالنبي، ٧٢، ١٢٦، ١٣٦، ١٤٢
التوسّل بـه، ٧٢، ١٢٧، ١٣٧، ١٤١، ١٤٧، ١٥٣، ٢١١، ٢١٢
التوسّل به شرك، ٢١١
الجامع الأموي، ٧٦، ٨٨، ١٢٤
الحاوي، ١٨٥
الحجرُ الأسودُ، ٤٢

لحرمين، ١٩١، ١٩٣، ٢٣٧، ٢٤٠
لحِضن قرية من قرى حوران، ٦
لحلف بالطلاق، ٧٨
لحسابة، ٢٣، ٢٥، ٢٧، ٣٧، ٣٨، ٦٣، ٧٦، ٨٦، ٨٧، ٩١، ٩٣، ١٢٤، ١٧٥، ١٨٦، ١٨٧، ٢٠٢، ٢٤٣
لحنفية، ١٨٦، ٢٠٢
لخبائث و لفجور، ١٣١
لخلافة، ٦٢
لدارقطني في «أماليه»، ١٩٥
لدُّرّة ليتيمة ١٧١
لدعاية لكبرى، ١٨٦
لديار لمصرية، ٩١، ٩٢، ٩٤
لرسخين في العلم، ١١٢، ١١٣
لرُّحَضاء، ٣١
لروح مَلَكٌ عظيم، ١١٠
لزيارة، ١٤٤، ١٥٧، ١٧٠، ١٧٤، ١٧٧، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٧، ١٨٨، ١٩٧، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠٣، ٢٠٤
لساق على الشدّة، ٢٥
لسامرة، ١٩، ٢٣، ٥٩، ٧١، ٩٠، ١١٥
لسجن، ٦٤، ٨٧، ٩٦، ٩٧، ٢١٤
لسفر إلى قبور الأنبياء، ١٨١
لسلف، ٧، ٣١، ٤٧، ٥٠، ٥٨، ٥٩، ٦٦، ٦٩، ٩٩، ١٨٤، ٢٠٠، ٢٠٢
لسؤال بدعة، ٢٢
لسؤال عنه بدعة، ٢١، ٤٨، ٤٩
لشام، ٦٤، ١٦١، ١٨٢، ١٨٣
لشرك، ٤٢، ٤٣، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٤
لشفاء، ١٢١، ١٤١، ١٥١، ١٨٣
لشمس ٢٠٦٠
لشهادتين، ١٢٨
لشيطان، ٥٠، ٥٧، ٦٢، ٦٤، ٦٧، ٦٩، ٩٩، ١٠٦، ١٠٨، ١٣٢، ١٥٦، ٢٠٧، ٢٢٢، ٢٣٠، ٢٣٤
لشيعة، ١٦٧
لصبهاء بخبير، ٢٠٦
لصحابة، ٣٩، ٤٩، ٦٢، ٦٩، ٧٠، ٧٤، ٨٥، ١٢٧، ١٢٩، ١٥٢، ١٦٨، ١٧٨، ١٨١، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٤، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠٤، ٢١٨
لصراط لمستقيم، ٦٦، ١١٢، ١٢٦، ١٦٨، ٢٠٤وهواسم كتاب يضا

صفات تسمية مُبتدعة، ٢٤
صفات على مقتضى الحسّ، ٢٤
صلاة على النبي، ١٤٧، ١٥٣
ضريح لمكرّم جعل يمرّغ وجهه عليه، ٢٠٠
طبراني في «معجمه الكبير»، ١٩٥
طلاق، ٧٨، ٩٣، ٩٦، ١٢١، ١٢٢، ٢١٥
طلاق ثلاث واحدة، ٧٨
عدل، ٣٠، ١٠٠، ٢٣٢
عرش، ٢١، ٢٧، ٣١، ٣٢، ٤٠، ٤٣، ٤٤، ٥٠، ٥١، ٨٨، ٨٩، ٩٨، ٩٩، ١٠٦، ١١٠، ١١١، ١٣٧، ١٣٨، ١٣٩، ٢١٩، ٢٢١، ٢٢٣، ٢٢٧، ٢٣٦
عرش كتاب، ٤٤
عصبيّة لـ«يزيد بن معاوية»، ٢٦
عقل، ٢٤، ٢٧، ٤٥، ٤٦، ٥٢، ٦٨، ٦٩، ٧١، ٧٣، ٩٠، ١٠٣، ١١٠، ١١٣، ١١٤، ١٢٩، ١٥٥
علماء ورثة الأنبياء عليهم الصلاة و سلام، ٥٧
عموم، ٢٠، ٢٢، ٢٤، ٢٥، ٣٨، ٦٣، ٦٤، ٦٥، ٦٩، ٧٠، ٧٥، ٧٨، ٨٣، ٨٥، ٨٩، ٩٦، ١٢٠، ١٢٨، ١٢٩، ١٧١، ١٩٩، ٢٠٠، ٢١٤، ٢١٥
العيب، ٦٢
الفتن، ٥٩، ٦٠، ٦١، ٧١، ٢٣٢، ٢٣٥
الفتنة، ٦، ٧، ٥٨، ٧٠، ٨١، ٨٢، ٨٣، ٢٢٩، ٢٣٠
القاهرة، ٤، ١٧، ٩٢، ٢١٤
القبلة، ٢٨، ١٤٠، ١٥٢، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٣٠، ٢٣١
القبور، ١٦٨، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٥، ١٨٧، ١٩٨، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٤
القدس، ٦٤، ٢١٣
القدس الشريف، ٦٤، ٢١٣
القدّوس، ٢٢، ١٠٨ ٥١، ٥٥، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٩، ٢٢٧
القرآن، ٧، ٢١، ٢٢، ٣٩، ٤٣، ٦١، ٦٨، ٧٢، ٨١، ٨٢، ٩٩، ١٠١، ١١٢، ١١٣، ١١٨، ١٢٢، ١٢٣، ١٣١، ١٣٢، ١٣٣، ١٤٧، ١٦٠، ١٦١، ٢٠٦، ٢٣٣، ٢٣٦، ٢٤١
القرآن مُعجز ومحشوّ بالمجازات

و لاستعارت، ١١٨
لقُصّاص، ٦١، ٦٣
لقعود، ٣١
لقلب، ٧٠، ١٠٨، ١٣٤، ٢١٧
لكرسي، ٥١، ٨٨، ٩٨
لمجاز، ٢٥، ١١٨
لمجسّمة، ٣١، ١١٥
لمجموعة عن مالك، ١٨٧
لمجيء على معنى البِرّ واللطف، ٢٥
لمدينة، ٤، ١٢٠، ١٢١، ١٢٢، ١٣٠، ١٣٥، ١٥٧، ١٥٨، ١٦٠، ١٦١، ١٦٢، ١٦٤، ١٦٦، ١٦٩، ١٧٦، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٥ ١٨٨ ١٩٣ ١٩٩ ٢٣٨
لمدينة أفضل من مكّة، ١٢١
لمذهب، ٢٤، ٢٦، ٣٧، ٩١، ١٤٠، ٢٤٤
لمساجد لثلاث، ١٧٨، ١٨٠
لمساجد لثلاثة، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٧، ١٧٩، ١٨٠
لمسجد الأقصى، ١٥٨، ١٧١، ١٧٢، ١٧٦ ١٧٩ ٢٣٥ ٢٣٦
لمسجد لحرام، ١٧١، ١٧٢، ١٧٦، ٢٣٥، ٢٣٦
لمَسد، ٢٠
لمشبّهة، ٦٠، ١١٣، ١١٥
لمشي الى قبر النبي أفضل من لمشي إلى الكعبة، ١٨٨
لمعراج، ٣٣
لمغني، ١٧٠، ١٧٤، ١٨٧
لمكس، ١٢٤، ١٢٥
لملل والنحل، ١٢٧
لمناسك، ١٨٥
لمنهاج، ١٨٤
لمولد للمؤلف ٨، ١٣٦
لمهمات للمؤلف ٦، ٧
لنبوّة، ٥٧، ١٢٠، ١٦٧، ٢٤٠
لنجار في كتابه الدُّرّة يتيمة في فضائل، ٢
لنزول، ٢١، ٢٧، ٣٩، ٤٠، ٤١، ٩٩، ٢٣٢
لنزول صفة ذاتية، ٤٠
لنوادر لأبي زيد، ١٨٧
لنووي في مناسكه، ٢٠٢
لواسطيّة، ٩١، ٩٧

هدية، ١٨٦
يد على النعمة أو القدرة، ٢٥
يهود، ٤١، ٤٢، ٤٩، ٥٩، ٧١، ٧٢، ٩٠، ١١٥، ١١٨، ١٢٥، ١٣١، ١٣٧، ١٦٦، ١٦٨، ١٩٧، ٢٠٣، ٢١١، ٢٢٢، ٢٣٦ = يهود
يمرر، ٣١، ٤٥
إنّ بحيطان آذناً، ٧٩
يجاف لزئر وطراف المغنم للسائر في زيارة سيّدنا رسول الله، ١٩٠
أبقيت فهم لله ورسوله، ١٢٢
أبو الحسين في كتابه «أخبار أبو الحسين في كتابه «أخبار المدينة»
أبو زكريّا النووي، ذكره في «شرح المهذّب»، ١٩١
أحاديث المتشابه، ٦٣
أخبار الصفات على ثلاث مراتب، ٤٥
أخبار صفات، ٢٦
أدعية نبي، ٢٠٥
أعربي، ١٤٢، ١٤٣، ٢٣٥
أمرّوا الأحاديث كما جاءت، ٢٢، ٢٦
أنا غياث من أكثر الصلاة علي، ١٤٨
أنت الملاذُ لنا وأنت المرتجى، ٧٢
أوّل الدين معرفته، ١٠٠
أهل الحقّ، ٧٩
أهل الزيغ، ٤٩، ٥٨، ٥٩، ٦٣، ٨٢، ١٢٥
أهل السُّنّة، ٢٥، ٤٩، ٥٤، ٦٧
أهل حبير، ١٣٦
أهل مكّة، ٧٥
أهوال القيامة، ٧
بحقّ النبي، ١٣٦
بحقّ محمّد، ١٣٧
بحقّ محمّد عليك، ١٣٨
بحياة محمّد، ١٣٥
بدعة، ٢١، ٢٢، ٣١، ٤٨، ٤٩، ٦٣، ٦٧، ٦٨، ٩٧، ١٨٠، ١٨١
بعد وفاته، ١٢٦، ١٣٦، ١٤١، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٠، ١٥١، ١٩٠، ١٩١، ٢٠٢، ٢١٢
بعد وفاتي، ١٩١، ٢٣٧
بغض الشيخين، ٢١٥
بقيع الغرقد، ٢٠٣

بكت مكّة لفقده، ١٣٥
بسيّك محمّد، ١٤٩
بنبيّنا محمّد، ١٥٠
بيت عائشة، ٨٢، ٢٣٣
تأديب لقوم، ٧
تأويل ستأثر الله تعالى بعلمه، ١١٣
تخريج أحاديث «الإحياء»، ٧
تفسير لقرآن إلى الأنعام»، ٧
تفسير، المسمّى بـ«النهر»، ٩٨
تناسخ لأرواح، ١٢٤
تنبيه لسالك على مضار المهالك، ٧
تنبيه لسالك على مظانّ المهالك، ١٦٩، ٢٠٧
توثيق عرى الإيمان، ١٢٢، ١٤١، ١٦٩، ١٧٠، ١٨٣، ٢١٢
توسل أبي البشر آدم٧ بالنبي، ١٣٧
تهذيب لطالب» لعبد الحقّ الصقلي، ١٨٧
ثلاثة مساجد، ٩٤، ١٧١، ١٧٢، ١٧٤، ١٧٦، ١٧٨، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٥، ٢٣٦
جزيرة لعرب، ٢٠٧
جسم، ٣٢، ٥٢، ١٠٣، ١١٥
جمهور العلماء، ١٧٣
جيفة حمار، ١٣٠
جِجر عليّ، ٢٠٦
حديثاً ليس بالأغاليط، ٦٠
حرّان، ٨٢
حرمته ميّتاً كحرمته حيّاً، ١٤٠
حرّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء، ١٥٣
حرمة الرسول، ١٣٢، ١٣٣، ١٥١
حرمة النبي، ١٣١
حوادث لا أوّل لها، ١١٨
داره، ٣٣
دعاء الرسول، ١٣٢، ٢٢٣
دفع الشُّبه، ٧
دفع شبه من شبّه وتمرّد ونسب ذلك إلى السيد الجليل الإمام أحمد، ١٥
دمشق، ٦، ٩، ٨٣، ٨٧، ٩٢، ٩٤، ٩٥، ٢١٣، ٢١٤
دين العجائز، ٤٥، ٤٦
ذُو الجلال والإكرام، ١١١
رجعت حتّى بلغت نصف لمسجد، ٢٠٧

ر رقي، ١٦٩، ١٧٠، ١٧١، ١٩١، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٤، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٣٩
زرقي بعد موتي، ١٦٩
زندقة؟! ، ١٢
زيارة لأنبياء والصالحين، ٩٧
زيارة لقبور، ١٧٧
زيارة لنبيّ، ٩٧، ١٦٥، ١٦٧
زيارة قبر الخليل والكليم، ١٨١
زيارة قبر نبيّ واجبة، ١٨٧
زيارة قبره سُنّة من سُنن المرسلين، ١٦٩
زيارة قبره عليه الصلاة والسلام، ١٥٢
زيارة قبور لأنبياء، ٩٤، ١٨٠
سجن لزندقة والكفر، ٧٨
سجن نيسابور، ٦٤
سدرة لمنتهى»، ١١١
سماع لحديث، ٦٣
سير لسانك، ٧
سير نساء لسلف العابدات، ٧
شابٌ أمرد، ٣٧
شان لمذهبَ شيئاً قبيحاً لا يُعمل الى يوم لقيامه ٢٦
شانوا مذهبنا، فعابنا لناس بكلامهم، ٤٤
شدّ الرحال، ١٦٥، ١٦٨، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٨، ١٨٦، ٢١٣، ٢١٥، ٢١٦
شرح الاربعين «النووية، ٧
شرح التعرّف لمذهب أهل تصوف»، ١٢٩
شرح الغاية، ٧
شرح المختار، ١٨٦
شرح المنهاج، ٧
شرح أسماء لله الحسنى، ٧
«شرح الرسالة» للمالكي، ١٨٨
شرح مسلم، ١٢٢، ١٧٣
شرف المصطفى لبخركوشي النيسابوري، ١٧١، ١٩٤
شفاعتي، ١٦٩، ١٩٠، ١٩١، ١٩٣، ٢٣٨، ٢٣٩
صفات الحدَث، ٢١، ٢٢، ٣٩، ٤٠، ٤٤، ٤٩، ٥٢، ١٠٠، ١٠٣
صفة ذات، ٢٥
صفة هي روح ولجت في مريم، ٢٦

صورهم تماثيل، ٢٠٢
صورة، ٢٤، ٣٤، ٣٥، ٣٧، ٥٥، ٦٢، ٧٧، ٩٦، ٩٧، ٩٩، ١٦٩، ٢١٣
طيبة مدينة رسول الله، ١٨٦
طهر بكعبة، ١١٠
عجب الله، ٣٨، ٢٣٦
عروس، ٣٧
عصمة لنبي، ١٣٢
علم لَدُنِّيّ يرد على قلوبهم من غيب هدى، ٥٧
على الله وعلى رسوله، ١٢٣
عطفان، ١٣٦
فرقة لشيعة.، ٧٨
فوائد لازدي، ١٩٣
قباء، ١٧١، ١٧٢، ١٧٤، ١٨٠
قبر إبرهيم لخليل، ٩٤
قبر لخليل إبرهيم، ١٧٢
قبر لنبي، ٩٤، ٩٧، ١٣٠، ١٦١، ١٦٤، ١٦٦، ١٦٧، ١٧٠، ١٧١، ١٧٢، ١٨٠، ١٨١، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٧، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٠، ١٩٥، ١٩٨، ٢٠١، ٢٠٢، ٢١٣
قبره أفضل بقاع الأرض، ١٢٢
قبري، ١٥٤، ١٦١، ١٦٩، ١٧٠، ١٧١، ١٩٠، ١٩١، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٤، ٢٠٥، ٢١٢، ٢٣٠، ٢٣٥، ٢٣٧، ٢٣٨
قبور الشهداء بأُحُد، ١٨٧، ٢٠٣
قبور الصحابة رضي الله عنهم وغيرهم، ١٨١
قراءة البخاري نفشارى، ٧٠
قرن الشيطان، ٨١، ٨٢، ٢٢٩، ٢٣٣
قصة العتبي، ١٤٢
قفة عظام؟، ١٢
قم مسلماني، ٩٣
قمع النفوس للمؤلف، ٧، ٩، ٦١
قواعد بعقه، ٧، ٨
كلمة حقّ أُريد بها باطل، ١٢٢
«كيف» عنه مرفوع، ٣١
لا كما يُعقل، ٢٤
لا كما يُعقل، ٢٧
لا يقال عن حنبليّ إلّا مجسّم، ٢٦
لتعازير والضرب بالسياط و لحبوس وقطع الأعناق، ٧٩
لولا أن أكتم علماً لما كتبت إليه، ٨٠

ولا محمّد لما خلقتُك، ١٣٧
ولا محمّد ما خلقتُ الجنّة والنار، ١٣٨
ليس كمثله شيء، ٢٢، ٢٧، ٣٢، ٣٤، ٥٠، ٥٥، ٨٤، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٤، ٢٢٣
ليلة القدر، ١١٠
ما جهدتم منه فكلوه الى عاله، ١١٢
ما نحن مجسّمة، ٣١
مثير الغرام، ١٨٧
مثير الغرام الساكن لابن الجوزي، ١٤٣، ١٧٠، ١٨٣، ١٩٣
مذهب الإمام أحمد، ٢٢، ٧٦، ١٢٤
مذهب السكوت أسلم، ٤٥
مسجد إبراهيم، ١٧٦
مسجد الكعبة، ١٧٦، ٢٣١
مسجد النبي، ١٧٩، ١٨٠
مسجد إيليا، ١٧٦، ٢٣١
مسجد بيت المقدس، ١٧٦
مسجد رسول الله، ١٤٠، ١٥٢، ٢٠١
مسجد محمّد، ١٧٦
مسجدي، ١٧١، ١٧٢، ١٧٦، ٢٣١، ٢٣٥، ٢٣٦
مشته، ٥٤، ١٠٠
المعجم الكبير للطبراني، ١٥٠
مقعد النبيّ من المنبر، ١٩٩
مكّة، ٧٥، ١٢٠، ١٢١، ١٢٢، ١٣٥، ١٥٦، ١٦٠، ١٦٢، ١٨٤، ١٨٦
ملائكة سيّاحين، ١٥٣
مناسكه، ١٨٦
مناظرة المنصور العباسي ومالك، ١٤٠
ميتةٌ جاهليّة، ٤٩
نابلس، ٢١٣، ٢١٤
نحملها على ظواهرها المتعارفة، ٢٥
نَزْعة سامرية، ٢٦
نزعة نصرانية، ٢٦
نعلان من ذهب، ٩٩
نفسي الفداء لقبرٍ أنتَ ساكنُهُ، ١٤٣
وسيلتك ووسيلة أبيك آدم، ١٤٠
هو كما أراد، ٢٣
يا جاه محمد، ١١، ٢١١
يا خاتم الرُّسُل الكرام، ٧٢
يا سيّد الثقلين، ٧٢
يا سيّد الكونين، ٧٢

يا سيدي شيخ فلان، ١٣٠
يـا محـمّد إنّي تـوجّهتُ بك إلى ربّي فتجلي عن بصري، ١٤٩
يا محـمّد إني تـوجّهت بك إلى ربّي في حاجتي هذه لتُقضى، ١٤٩
يُرتحى في كلّ مُعضلة، ١٤٤
يهود، ٢٣، ١١٣، ١١٨، ١٣٦
يهودية، ٢٦

٥ ـ فهرس المحتوى

هوية الكتاب ٤
المؤلف الإمام الحصني ٥
سبب تأليف الكتاب وموضوعه، ونسخته ١١
كلمة الإدارة المطبعة للطبعة الأولى عام (١٣٥٠هـ) ١٥
هذه النسخة: ١٧
مقدمة المؤلف وسبب التأليف ١٩
القائلون بالتجسيم من أئمة الحنابلة! ٢٣
عتاب المؤلف مع الحنابلة ٢٥
مرجح الحنابلة مع الهوى في التجسيم والتأويل ٢٧
تناقض دعواهم ٢٧
الاستواء لغة وتأويلاً ٢٩
كلام ابن الجوزي الحنبلي في الرد على المجسمة ٣١
مجموعة من الأحاديث المتشابهة ٣٤
اختلاف الناس في هذه الأخبار ٤٥
اتهام الإمام أحمد بالتجسيم ٤٦
كلام الإمام الشافعي وأبي حنيفة ومالك، في التأويل ٤٨
كلام السلف في التأويل ٥٠
قول البغداديين في التأويل ٥١
كلام يحيى بن معاذ في التأويل ٥٢
قول أهل التحقيق من أهل السنة والجماعة بالتأويل ٥٤
مجموعة من تأويلات ابن عباس ٥٤

قول محمد بن المنكدر بالتأويل ٥٨
حديث حديقة في لفق وسوع لأهواء ٥٩
بدعة لكرمية والحنابلة ٦٣
بدعة وأسبابها ٦٨
لتوسل بالنبي ﷺ في لقرآن ٧٢
بن تيمية لحرني ومؤلفاته ٧٥
نتساب بن تيمية إلى مذهب أحمد بن حنبل ٧٦
خدعه لعوامّ الناس ٧٧
محاباته للعلماء ٧٨
لتزام بن تيمية للتقيّة ٧٨
تزوير بن تيمية في لمصنّفات و لمصادر ٧٩
أساليب تيمية في خدع لمسلمين ٨٠
تحذير من عقائد لتيمية أهل لزيغ ٨١
لمرسوم سلطاني بشأن بن تيميه ٨٣
تاريخ بن تيمية كما نقله لموزعي بن شاكر ٨٨
كلام بن تيمية في لاسوء ووثوب الناس عليه ٨٨
تاريخ بن تيمية لأسود ٩٠
فتوى لأئمة لأربعة بكفر بن تيمية ٩٦
حكم بن حيان على بن تيمية بالتشبيه ٩٨
لتوحيد و لعدل في كلام الأئمة ١٠٠
في لتسبيح ١٠٥
في لتقديس ١٠٦

فائدة جليلة للمنزّه والمشبّه ١٠٨
حقيقة التوحيد في الذات والأفعال ١١٠
ذُو الجلال والإكرام ١١١
الدعوة إلى اتّباع العقل والنقل ١١٣
مبحث الردّ على ابن تيميّة في قوله بفناء النار ١١٦
مبحث الردّ عليه في القول بقِدَم العالَم ١١٨
تكذيب ابن تيمية للنبوّة وتوهينه لمقام النبيّ ١٢٠
تجاسر ابن تيمية على الإمام أحمد ١٢١
إدعاء ابن تيمية للاجماع، في موارد الخلاف ١٢١
ابن تيميّة رافضي ويقول بالتناسخ ١٢٣
تجويز ابن تيمية للمكْس! ١٢٤
قول ابن تيميّة بالتفرقة في احترام النبيﷺ بين حياته وموته وتكفيره الصحابة والتابعين والأئمة الأربعة ١٢٥
أقوال الأئمة في التوسل بالنبيﷺ ١٢٦
فرقة ابن تيمية مبتدعة ١٢٧
في بقاء النبي بعد موته والاستغاثة به ١٣٠
حرمة النبيﷺ وتعظيمه في القرآن ١٣١
عصمة النبيﷺ ١٣٢
التوسل بالنبيﷺ قبل مولده ١٣٦
المنكر للتوسل: أسوأ من اليهود ١٣٧
توسل أبي البشر آدمؑ بالنبيﷺ ليغفر له ١٣٧
مناظرة المنصور العباسي ومالك إمام المذهب ١٤٠

الأعرابي المتوسّل بجاه النبيّ ١٤٢
قصّة العتبي في التوسل بالنبي ﷺ ١٤٢
قصّة الراهبين مع أبي عبدالله الفرحي ١٤٤
قصّة سفيان الثوري مع المصلي على النبي ﷺ في الطواف ١٤٧
حديث عثمان بن حنيف والضرير المتوسّل بالنبي ﷺ ١٤٩
حرمة الرسول ﷺ بعد وفاته ١٥١
فضيلة الصلاة على النبي ﷺ ١٥٣
ابن تيمية في قبره ١٥٩
الاستغاثة بالنبي ﷺ على طول التأريخ ولو من بعيد ١٦٠
من أنباء التوسّل بقبر النبي ﷺ وآثاره ١٦٦
التفريق في التوسّل بين الحياة والممات، باطل ١٦٦
فتوى ابن تيمية بأن زيارة النبي في قبره معصية ١٦٧
فتاوى العلماء باستحباب زيارة القبور ١٦٨
استدلال ابن تيمية على أقواله بالباطل ١٦٩
تقليد ابن تيمية حرام لا يجوز ١٧٤
كلام ابن قدامة في الزيارة ١٧٤
حديث «لا تشدّ الرحال» وألفاظه ١٧٦
زيارة قبر النبي ﷺ سنّة سائرة بين المسلمين ١٨١
ابن تيمية من أعظم الكذبة والفجّار ١٨٤
زيارة قبر النبي من أفضل المندوبات ١٨٦
كلمات أئمة الحنابلة في استحباب زيارة قبر النبي ﷺ ١٨٦
القول بوجوب زيارة قبر النبي ﷺ ١٨٧

تجاسر السلفية على وفد الله تعالى وضيوف الرّحمن ١٨٨
حكم ابن تيمية على مجموعة من أحاديث الزيارة بالوضع والكذب ١٨٨
التحذير من تقليد ابن تيمية ١٨٩
أحاديث في زيارة قبر النبي ﷺ ١٩٠
طعن ابن تيمية في الأئمة والأحاديث المروية ١٩٦
احتجاج ابن تيمية على منع الزيارة وتدليسه في كلامه ١٩٧
واحتجاج ابن تيمية بحديث آخر على مدّعاه ٢٠٥
موارد من أدعية النبي ﷺ ٢٠٥
استدلال ابن تيمية على أن التوسّل شرك، والردّ عليه ٢١١
ابن القيّم وابن كثير وتعزيره لأجل اتباع ابن تيمية ٢١٣
ابن رجب الحنبلي يكفر ابن تيمية ٢١٤
الدعوة إلى معارضة ابن تيمية وأتباعه السلفية قولاً وعملاً ٢١٦

الفهارس العامّة

١ ـ فهرس الآيات الكريمة ٢١٩
٢ ـ فهرس الأحاديث الشريفة ٢٢٧
٣ ـ فهرس أهمّ الأعلام ٢٣٦
٤ ـ فهرس الألفاظ ٢٣٨
٥ ـ فهرس المحتوى ٢٥٠